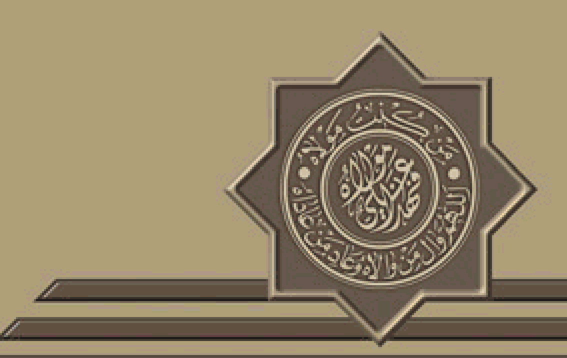
سلسلة الرحلة إلى الثقلين ٤٢

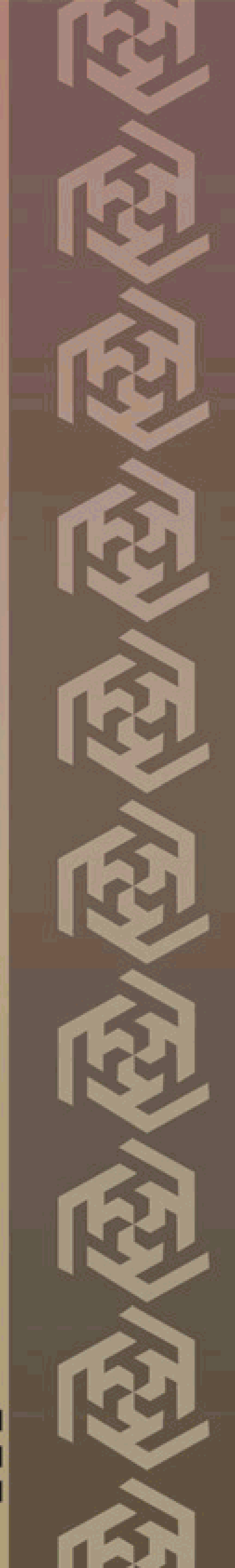


تأليف

السيد ياسين المعيوف البدراني



مركز الأبحاث العقائدية





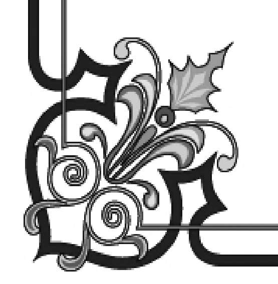
سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(٤٢)

ياليت قومي يعلمون

تأليف

السيّد ياسين المعيوف البدراني



مركز الأبحاث العقائدية

إيران ـ قم المقدّسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص. ب: ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف: ٧٧٤٢٨٠٨ - ٣٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥) (٩٨ +)
الفاكس: ٣٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥) (٩٨ +)
العراق- النجف الأشرف- شارع الرسول صلى الله عليه وآله
شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام
ص - ب ٧٢٩
الهاتف: ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٩٦٤+)
البريد الإلكتروني: info@aqaed.com
الموقع على الإنترنت: www.aqaed.com

شابك (ردمك):
اسم الكتاب: ياليت قومي يعلمون
المؤلف: ياسين المعيوف البدراني
طباعة وإخراج: ضياء الخفّاف
الطبعة:
سنة الطبع: ١٤٣٣هـ
المطبعة:


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

محمّد وآله الميامين

من الثوابت المسلّمة في عملية البناء الحضاري القويم، استناد الأُمّة إلى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة، والأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدّي لمختلف التحدّيات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلزلة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالة باستخدام أرقى وسائل التقنية الحديثة.

وإن أنصفنا المقام حقّه بعد مزيد من الدقّة والتأمّل، نلحظ أنّ المرجعيّة الدينية المباركة كانت ولا زالت هي المنبع الأصيل والملاذ المطمئن لقاصدي الحقيقة ومراتبها الرفيعة، كيف؟! وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمه المقدّسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والطهارة عليهم السلام بأبهى صورها وأجلى مصاديقها.

هذا، وكانت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني - مدّ ظلّه - هي السبّاقة دوماً في مضمار الذبّ عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة، فخطت بذلك خطوات مؤثّرة والتزمت برامج ومشاريع قطفت أينع الثمار بحول الله تعالى.

ومركز الأبحاث العقائدية هو واحد من المشاريع المباركة الذي أُسس لأجل نصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعاليمه الرفيعة.

ولهذا المركز قسم خاص يهتم بمعتنقي مذهب أهل البيت عليهم السلام على مختلف الجهات، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من إنتاجات وآثار – حيث تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاء التي منّ الله سبحانه وتعالى بها عليهم - إلى مطبوعات توزّع في شتّى أرجاء العالم.

وهذا المؤلّف – ((**ياليت قومي يعلمون**)) – الذي يصدر ضمن ((**سلسلة الرحلة إلى الثقلين**)) مصداق حيّ وأثر عملي بارز يؤكد صحّة هذا المدّعى.

على أنّ الجهود مستمرة في تقديم يد العون والدعم قدر المكنة لكلّ معتنقي المذهب الحقّ بشتى الطرق والأساليب، مضافاً إلى استقراء واستقصاء سيرة الماضين منهم والمعاصرين وتدوينها في ((موسوعة من حياة المستبصرين)) التي طبع منها عدّة مجلّدات لحدّ الآن، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف، سائلين المولى تبارك وتعالى أنّ يتقبّل هذا القليل بوافر لطفه وعنايته.

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى كلّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب، ونخصّ بالذكر فضيلة السيّد علي الرضوي الذي قام بمراجعة هذا الكتاب وإعداده للطبع، والحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الحسّون
مركز الأبحاث العقائدية
٨جمادى الأولى / ١٤٣٣هـ
الصفحة علي الإنترنت: www.aqaed.com / Muhammad
البريد الإلكتروني: muhammad@aqaed.com.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد صلى الله عليه وآله.

لقد عشت سنين من عمري في مدينتي العزيزة دير الزور على شاطئ نهر الفرات، ولمّا بلغت العشرين من العمر بدأت استنشق هواءها الروحي، وتجاوبت بكلّ مشاعري وكياني مع علمائها الأفاضل أستقي منهم السلوك الصحيح، والخلق الحسن، وبعد مرحلة طويلة من هذه الرفقة المباركة - إضافة إلى تجوالي في معظم أنحاء القطر العربي السوري طلباً للمعرفة واستزادةً منها - التقيت بعيّنات من أهل القرى والمدن ممّا جعل بيني وبينهم بعض المناقشات والمحاورات التي ولّدت عندي حافزاً جديداً لأن أعيد النظر في قراءاتي السابقة، وأن أقارن بينها وبين كتب أخرى وما تحمل في طيّاتها من قضايا التاريخ ومجرياته.

ولقد وجدت عند الكثير ممّن كنت أحاورهم وآخذ منهم تقاعساً عن اقتحام الحقيقة وصمتاً أمام الدليل الواضح متمشين في ذلك مع ما يطلب الواقع ومع ما هو موروث عن الآباء والأجداد، لكنّني عزمت على العمل الدؤوب والاستمرار في تقصّي الحقيقة ومعرفتها، تلك الحقيقة التي عتّم عليها

تاريخ المثبطين الجبناء وتقاعسهم، إلّا أنّني قلت: فليكن القرآن الكريم فيصلاً بيني وبينهم.

فلنتعلّم من القرآن الكريم، ولنرشد الغافلين، وننذر المعاندين المنحرفين عن موكب النور الإلهي.

ونحن حين نستعرض الأحداث والمبرّرات والمقدّمات والنتائج التي يكشف القرآن الكريم عنها الستار، فما ذلك إلّا واجبٌ شرعي ملقى على عاتق كلّ مسلم يؤمن بالله وبرسوله وبقرآنه الكريم.

لقد أجهدنا أنفسنا لأكثر من عشرين عاماً كي نتلاحم مع أبناء بلدنا في حوار دؤوب، إلّا أنّنا وجدنا الأعذار والإجابات التي كانت بالأمس هي نفسها أعذار اليوم لا تختلف في جوهرها ولا في مضامينها الخاوية من الحقيقة، ويتعلّل ويحتجّ البعض بطول الطريق، لكنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَـكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[1].

يا إخوتي، الحقّ والحقّ أقول: إنّ الطريق شائك وطويل واجتيازه مجهد، عبر مجتمع لم يعرف البحث عن الحقيقة، الأمر الذي لا يتيح للداعية أن يوضّح ما يريد، أو أن يمدّ بصره حتّى نهاية الطريق، ذلك لأنّ الأُمّة انحدرت وانحرفت اتّجاه مظلم خطّه لها المستعمرون والطامعون الغاشمون الذين يقفون لأُمّتنا الإسلاميّة بالمرصاد، ويضعون في سبل الداعية من الحواجز والعراقيل ما يصعب عليه تجاوزها والتغلّب عليها.

---

(١) التوبة (٩): ٤٢.

إنّ المسلّم للحق لا يستهدف من وراء دعوته مكسباً مادياً أو هدفاً دنيوياً إلّا الثواب وأداء الواجب، وإنّ الهدف من هذا العمل الشاق هو بناء الأُمّة من جديد وإعادتها إلى مركزها القرآني الذي انحرفت عنه متجاهلة طريق النجاة.

عودةٌ إلى صدر الإسلام حين اختفى الرسول الأعظمﷺ في غار ثور والعيون الكثيرة منتشرة في الصحراء تبحث عنه بغية القضاء عليه، ولكنّ الله سيتمّ نوره، وصدق من قال: إنّ هذا الطريد سوف يصل في طريقه إلى عواصم الأكاسرة والقياصرة، ولسوف يغزو العالم المتحضّر كلّه محدثاً أعظم انقلاب في التاريخ.

أمّا المثبطون فإنّهم يقولون: إنّ هذا المتنبئ لمجنون، ولكن ما هو بمجنون، والله، إن هو إلّا ذكر للعالمين، ولتعلمنّ نبأه بعد حين.

السيّد ياسين المعيوف البدراني



شرعيّة الإمامة

شرعيّة الإمامة

شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن ينظّم هذا الكون تنظيماً ربّانياً يسير بدقّة متناهية بلا خلل ولا نقص، ومن حكمته جلّ وعلا أن جعل البشرية تسير بنظم سماوية وتشريع ربّاني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثمّ جعل لهذه الأُمّة ولهذا التشريع قادةً وقيادةً من صفوة الخلق، طهرّهم الله من حبّ الدنيا وأرجاسها، ومنحهم العلم والمعرفة، فمنهم الأنبياء، ومنهم الأئمّة عليهم السلام، هؤلاء هم الذين يستحقّون أن يكونوا خلفاء على الخلق، وأمناء على الشرع، ومنهم نبيّ الله إبراهيم عليه السلام الذي خصّه الله بالنبوّة والإمامة يقول تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1].

لقد جعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام نبيّاً، ثمّ خليلاً، ثمّ أعطاه مرتبة ثالثة، تشريفاً له وهي الإمامة لتكون في ذرّيته من بعده، فكانت في الرسول الكريم محمّد صلى الله عليه وآله وفي آله، بدليل قولنا: اللّهم صلّى وسلم وبارك على محمّد، وآل محمّد، كما صلّيت، وباركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنّك حميد مجيد.

لقد ربط الله الآل بالآل، آل إبراهيم بآل محمّد، والحكم دائماً يبدأ بالأهمّ، فالخليفة أهمّ من الخليقة ؛ لأنّ كلّ مجتمع وكلّ أُمّة تحتاج إلى

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

مرشد، فلابدّ وأن يكون ذلك المرشد أكمل وأشرف الخلائق في الطهارة والصفاء ورجحان العقل وقوّة الإيمان، ولن يتسنّى ذلك إلّا للمعصوم من عند الله، ويبطل اختيار من أدنى منه مرتبةً في الناس. قال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾[١].

وهذا دليل واضح على أنّ الله سبحانه هو الذي يختار النبيّ والخليفة والإمام ؛ لأنّه أعلم بالناس من أنفسهم، ولمّا كانت الأُمّة بعد رسول الله في حاجة ماسة إلى إمام وقائد، فهل نضع هذه الإمامة والقيادة في غير الذين اختارهم الله ورسوله؟ هل ننتزع هذا الحقّ منهم وندع للناس اختيارهم؟

إنّ ذلك لعبثٌ وجهل، والناس لن يستطيعوا اختيار المعصوم وليس من حقّهم تبديله ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي اختاره.

قال الله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[٢]، ويقول تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[٣].

ما أردت الكتابة عن حياة الإمام علي وسيرته وحقّه في الإمامة أو عن زهده وشجاعته وعلمه ؛ لأنّ مثل ذلك قد يعجز عنه الكلام، ويقصر دونه التدوين، لكنّني سألجأ إلى أسلوب علمي محاولاً الإفصاح عن معنى الإمام والخلافة.

الإمامة:

إذا لم تكن الإمامة من الدين فإنّه ليس لأحد الحقّ أن يدخل في الدين

---

(١) ص (٣٨): ٢٦.

(٢) القصص (٨): ٦٨.

(٣) السجدة (٣٢): ٢٤.

ما ليس فيه، أمّا إذا كانت من الدين ونسكت عنها ونحاول إخفاءها بدوافعنا الدنيوية فإنّنا نكون بذلك قد خالفنا ما أمر به الله، وهو الذي أمر رسوله في بدء الرسالة أن يدعو عشيرته الأقربين من بني هاشم ليوسّع مدار الدعوة قائلاً سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

استجاب الرسول الكريم لأمر ربّه ودعا عشيرته الأقربين وهيّأ لهم الطعام، فحضر أربعون شخصاً من بني هاشم بادرهم الرسول الكريم بقوله: «يا بني عبد المطلب، إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً، أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، أخرجه الطبري في تاريخه[2]، ونحوه عن أحمد بن حنبل في مسنده[3]، والنسائي في خصائصه[4]، والثعلبي والطبري في تفسيريهما[5]، وابن إسحاق في السيرة الحلبيّة[6]، وابن الأثير في تاريخه[7] و...

(١) الشعراء (٢٦): ٢١٤ - ٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

(٣) مسند أحمد ١: ١٥٩.

(٤) خصائص أمير المؤمنين: ٨٦.

(٥) الكشف والبيان ٧: ١٨٢، جامع البيان عن تأويل القرآن ١٩: ١٤٨ - ١٤٩ حديث ٢٠٣٧٤.

(٦) السيرة الحلبيّة ١: ٤٦٠ - ٤٦١.

(٧) الكامل في التاريخ ٢: ٦٣.

ويعيد الرسول الكريم مكرّراً الدعوة إلى قومه فلا يجيبه منهم أحد إلّا صوت علي عليه السلام الذي لبّى الدعوة، وتعهّد بالمؤازرة والمناصرة، فيلتفت إليه صلى الله عليه وآله قائلاً: «اجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»(١).

لقد كان عليٌّ عليه السلام سند الدعوة وجدارها القوي الشامخ منذ تباشير فجرها، وبقيت عناية الله تحفّ بهذا الإمام والآيات تنزل بحقّه حتّى جاء الأمر الإلهي بدعوة الرسول إلى الحجّ (حجّة الوداع) يوم دعا الرسول الناس إلى الحجّ.

حتّى وصل عددهم إلى مائة وعشرين ألف صحابي، وبعد الحجّ وفي الرجوع إلى الأوطان أوقف الرسول الناس ليبلّغهم ما أنزل عليه من ربّه استجابة لنداء الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾(٢).

فقال في معرض كلامه من خطبة حجّة الوداع: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

فأخذ بيد علي فقال: « من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من يبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»(٣).

فتقدّم أكثر الصحابة نحو علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيهم عمر بن

(١) السيرة الحلبيّة ١: ٤٦١.

(٢) المائدة (٥): ٦٧.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ١٠٥.

الخطاب، وخاطب أبا الحسن بقوله: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم[١].

ممّا تقدم نجد أن أبرز مقصود الولاية هي الخلافة، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[٢].

نزلت هذه الآية الكريمة بحقّ الإمام علي عليه السلام مؤكّدة ولايته على المؤمنين بعد الله ورسوله أمّا آية: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...**﴾[٣]، فلم تنزل بعدها إلّا آية واحدة، وهي التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[٤].

فكان كمال الدين والتشريع في النبيّ الأُمّيّ محمّد صلى الله عليه وآله وكان إتمام النعمة بوليّه وخليفته الإمام علي عليه السلام.

وقال الذين في قلوبهم مرض ؛ إنّما نزلت هذه الآية بمعنى إكمال الدين، وأمّا الإمامة بعد الرسول فهي لا تصحّ إلّا بالمشورة بين المسلمين مفسرين ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾[٥]، ثمّ ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾[٦]، بما ليست فيهما من معنى وهدف، مخالفين بذلك ما يريده وما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وآله دعوة

(١) البداية والنهاية ٧: ٣٨٦.

(٢) المائدة (٥): ٥٥.

(٣) المائدة (٥): ٦٧.

(٤) المائدة (٥): ٣.

(٥) آل عمران (٣): ١٥٩.

(٦) الشورى (٢٢): ٣٨.

واضحة في خطبة حجّة الوداع، بلى لقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ ولكنّه أكملها بقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾.

لأنّ الله سبحانه وتعالى يعرف أنّ الرسولصلى الله عليه وآله كامل بالوحي، ولا ينطق عن الهوى، وهو المؤيّد والمسدّد من الله، وإنّ خلافةً ينصّ عليها كتابُ الله، ويوضّحها رسولهصلى الله عليه وآله لا تحتاج إلى بيعة الناس، والناس اختلفوا على قولين مشهورين: فريق قال: علي منصّب بنصّ إلهي، والرسول لا ينطق عن الهوى، والفريق الآخر قال: إنّ الخليفة هو أبو بكر باختيار أهل الشورى، فالفريقان يقرّان أنّه لا يجوز بقاء الأُمّة بدون خليفة أو إمام، فهل يمكن للناس أن يكونوا أحسن اختياراً من ربّ الناس ومن رسوله؟! قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1].

والله سبحانه هو الذي يحسن اختيار الأكثر تقىً وزهداً وعلماً والأكثر جهاداً والأسبق إلى الإسلام، وقد اتّفقت الأُمّة الإسلاميّة بمجموعها على أنّ عليعليه السلام دون غيره يمتلك كلّ هذه الصفات، وهو الذي قال فيه رسول اللهصلى الله عليه وآله: « أعلم أمّتي من بعدي علي بن أبي طالب»[2]، « أقضاهم علي»[3]، «قد زوّجتك أقدمهم إسلاماً، وأعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً»[4].

فالإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأوسع جانباً من أن ينالها الناس بعقولهم وبالتالي أن يكون لهم الحقّ في تبديل اختيار الإمام بعد أن

(١) القصص(٢٨): ٦٨.
(٢) المناقب للخوارزمي: ٨٢.
(٣) سنن ابن ماجة ١: ٥٥.
(٤) نظم درر السمطين: ١٨٧.

اختاره الله ورسوله. والإمامة عميقة عمق تاريخ الخليقة بدءاً من قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١).

وبعدها خصّ الله سبحانه نبيّه إبراهيم الخليل بعد الرسالة والنبوّة بالإمامة إذ قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٢).

لقد طلب إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يجعلها في ذريته بقوله بلسان حال القرآن ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(٣).

فاستجاب له الرحمن: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾(٤).

وقد سنّ تعالى على أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله أن يقولوا في كلّ صلاة: «اللّهم صلِ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد»(٥).

نجد في هذا الربط بين الآل والآل إشارة واضحة إلى الإمامة الحقيقية التي استمرت من ذريّة إبراهيم إلى ذريّة محمّد صلى الله عليه وآله الذي قضى عمره وهو يوصي قائلاً: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا ومن

---

(١) البقرة (٢): ٣٠.

(٢) البقرة (٢): ١٢٤.

(٣) إبراهيم (١٤): ٣٥.

(٤) الأنبياء (٢١): ٧٢ – ٧٣.

(٥) صحيح البخاري ٤: ١١٩.

تخلّف عنها غرق»[١].

وقال سيدنا محمّدﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢].

فالولاية تكون حصراً في الإمام عليعليه السلام وولده إلى يوم القيامة، إذ إنّ الولاية اختيار من قبل الله عزّ وجلّ ومن قبل رسوله بأمر من الله تعالى، لأنّها زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين.

قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾**[٣].

وقد خصّ الله سبحانه هذه الصفوة الطاهرة بالإمامة والولاية.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: «إنّ أوّل ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جلّ جلاله، الصلوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض وعن الحجّ المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت فإن أقرّ بولايتنا ثمّ مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته، وحجّه، ومن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله جلّ جلاله لم يقبل الله عزّ وجلّ منه شيئاً من أعماله»[٤].

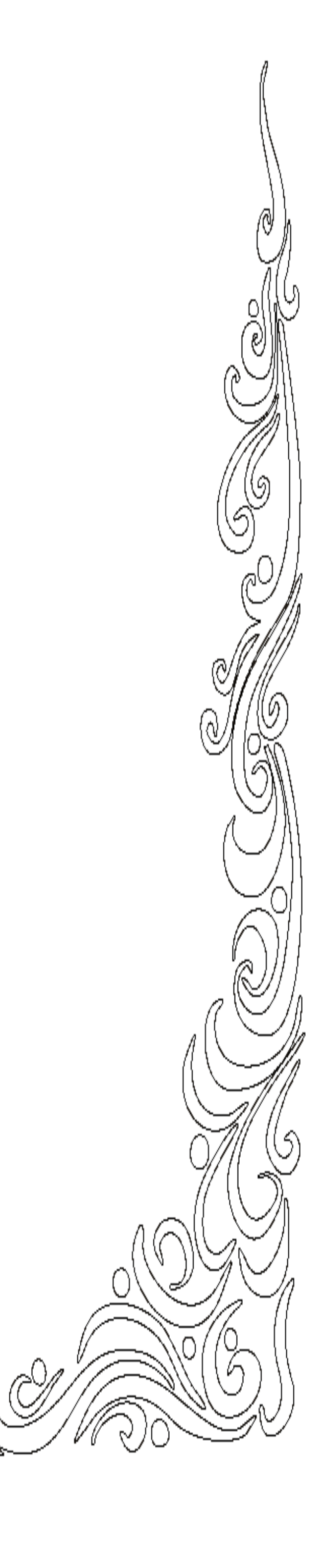
---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥١.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣٢٩.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٣٦.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق: ٣٢٨.



الإمامة ضرورة حضارية

الإمامة ضرورة حضارية

إنّ العقل السليم هو الذي يحدّد مواصفات وشروط ومؤهّلات الحاكم الصالح من خلال معطيات وحدود ومؤشّرات الشريعة الإسلاميّة.

والناس قد يختارون رجلاً غير جدير، وغير مؤهّل لتولّي مسؤولية الحكومة بدافع من الغفلة، أو سوء القصد عندما يتزاحم كثيرٌ ممّن تنقصه الكفاءة لنيل منصب الحاكم، فإذا تحقّق له ما يريد قام بتطبيق القوانين والإجراءات التي تتناسب مع قدراته وكفاءاته السياسية، لأنّ الإنسان لا يقدر إلّا بقدر ما يعرف، فنتيجة عجز هذا الحاكم تصيب مجموع الأُمّة بنتائجها السيّئة.

إنّ تولّي الحكم يحتاج إلى أرضيةٍ صلبة يمتلكها المتولّي حتّى يستطيع تطبيق القانون التشريعي الصحيح على كافّة الأصعدة الحياتية اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، لأنّه يترجم عبر كفاءاته كلّ طموحات الأُمّة الفرديّة والجماعيّة، مستنداً إلى الضوابط الشرعية والإنسانيّة، ويجب أن يمتلك الحاكم الصفات الحميدة من تقوى، وصبر، وشجاعة، وكرم، وحلم، وعلم، ومعرفة، لأنّ الحاكم هو أب للجميع، هذا وإنّ العقل منطق الواقع في الصحّ والخطأ لا يؤمن بحاكمية الجهّال والظالمين وأصحاب الشهوات الدنيوية.

إنّ العقل يرتبط ارتباطاً عميقاً بشعور أخلاقي وجداني إيماني رفيع يحتّم على الإنسان اختيار وانتخاب الأفضل، وفي هذه الآيات الكريمة تأكيدٌ على

هذا الاختيار.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

وقال جلّ جلاله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

وقال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٤).

يؤكّد القرآن الكريم أنّ الإمامة وقيادة المسلمين الشرعيّة لا تصحّ لمن أشرك بالله ولو طرفة عين، ولا لمن ظلم نفسه فإذا كان الشرك هو أعظم الظلم فكيف يليق هذا المنصب الإلهي بمن أشرك بالله معظم حياته، فلا يكون مصداقاً للآية إلّا المعصوم الذي اختاره الله ولم يشرك بحياته قط.

إنّ الإمامة والحكومة الشرعيّة هي قيادة قائمة بذاتها تتأطرّ مهمّاتها في

(١) يونس (١٠): ٣٥.

(٢) يوسف (١٢): ٥٥.

(٣) البقرة (٢): ٢٤٧.

(٤) البقرة (٢): ١٢٤.

صيانة القانون الإلهي والدعوة له، وهي ليست صحيحة في مفاهيم ابن تيمية الذي يعتبر الدين هو الفكر ومهمّته المراقبة على السلطة، ذلك لأنّ الدين يحكم من القاعدة لا من القمّة، فكأنّما يريد ابن تيمية لذلك أن يجرّد رجال الدين من أي سلطة قيادية.

ولنا في مثال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، فإنّه حين دخل مكّة فاتحاً صدع منادياً بلا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وفي هذا إشارة واضحة كلّ الوضوح إلى جعل الناس تحت سلطة الحاكم الشرعي، وإلى نبذ الحكم الجاهلي والرجعية والتخلّف.

أمّا الإمام علي عليه السلام فقد كانت جميع حروبه في خلافته ضدّ الناكثين، والقاسطين، والمارقين، من أجل هدف جوهري وهو عزل غير المؤهّلين لقيادة الحكم الإسلامي.

وفي رسالة الإمام الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية تصريح بهذا الأمر: «فليتعجب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ولكتابه...، فدع التمادي في الباطل، وادخل في ما دخل فيه الناس من بيعتي. فإنّك تعلم أنّي بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّاب حفيظ...»[1].

وفي البخاري، عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «كلّكم راعٍ، ومسؤولٌ عن رعيته،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٣٤.

والإمام راع ومسؤول عن رعيّته»[١].

وفي صحيح مسلم: «من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية»[٢].

إنّ البيعة والولاية لأهل البيتعليهم السلام ثابتةٌ شرعاً في رقاب المسلمين في كلّ زمان ومكان، وأخصّ منها رقاب العلماء الذين يجب عليهم العمل بقدر ما يمكن ويستطاع، ذلك لأنّهم يعرفون أكثر من غيرهم - والمسؤولية على قدر المعرفة - الحسابات الدقيقة والمعاني المستدقة في القرآن الكريم ومناداته بالإمامة والولاية لأهل البيتعليهم السلام بشكل مبرمج ومحسوب.

ولنضرب الأمثال فنقول: إذا قال لك شخص من أهل الخيرة إنّ هناك كنزاً تحت التراب على بعد مائة متر مثلاً فإنّك إن ذهبت مسافة مائة وعشرة أمتار فلن تجد الكنز، لأنّك لم تراع المقدار المقنّن للمساحة.

وإذا أردت أن تفتح باباً وكان أحد أسنان المفتاح معطوباً مكسوراً فإنّ الباب لن تنفتح لك ما لم تكن أسنان المفتاح مقنّنة للفتح في صناعةٍ متقنة وبصياغة محسوبة.

وقد قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «عليٌ مني وأنا منه ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو علي»[٣]، وقال: «أنا مدينة العلم وعليٌ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١٨٩.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٢٢.

(٣) مسند أحمد ٤: ١٦٥، سنن الترمذي ٥: ٣٠٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٧.

فلسفة الإمامة:

ما دام القرآن محفوظاً من الله وخالداً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو إذن امام نقرأه ونراه في كلّ زمان ومكان، إذ إنّه يشتمل على العقائد والأخلاق والسلوك والأعمال كلها في الدنيا والأخرى فهو متعلق بالإنسان بحيث لولا وجود الإنسان لما كان للعقيدة وجود، ولا للخلق تحقق، ولا للعمل بالقرآن حصول.

وبما أنّ الإمام هو الهادي والعارف بكتاب الله بعد الرسول فيصبح هو الترجمان للقرآن.

إذاً الإمام هو ترجمان القرآن وسنثبت هذا بالدليل الواضح إن شاء الله.

الإمام ترجمان القرآن:

إنّ من علم بظاهر القرآن وباطنه، وعرف تفسيره وتأويله، واطلع على متشابهه ومحكمه، وعمل بفرائضه، وكان مؤمناً ومتيقّناً بأنّه من عند الله، فهذا هو القرآن الناطق أي: القرآن العلمي والإمام الحقيقي.

إن أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم ترجمان القرآن خاصّة حيث جعلهم الرسول الأمين عدل القرآن فقال: «أنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي»[1].

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

وعن الإمام علي عليه السلام: «سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل أنزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل»[(١)].

ولعلّنا نتعرّف أكثر من ذلك في قول الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله المفضّل بن عمر عن الصراط فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة.

وأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم»[(٢)].

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[(٣)].

وقال صلى الله عليه وآله: «من مات وليس له إمام من ولدي مات ميتةً جاهلية»[(٤)].

ويقول الرضا عليه السلام: «لنا أعين لا تشبه أعين الناس وفيها نور ليس للشيطان فيها نصيب»[(٥)].

ويقول الباقر عليه السلام: «ما من أحدٌ أكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله ممّن كذبنا أهل البيت أو كذب علينا، لأنّه إذا كذبنا أو كذب علينا فقد كذب الله ورسوله لإنّا إنّما نحدّث عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله»[(٦)].

---

(١) فتح الباري ٨: ٤٥٩.
(٢) معاني الأخبار: ٣٢.
(٣) المائدة (٥): ٥٠.
(٤) عيون أخبار الرضا ٢: ٦٣.
(٥) الأمالي للشيخ الطوسي: ٢٤٥.
(٦) بحار الأنوار ٤٩: ٢٦٦.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

فلولا عصمتهم من الخطأ، وصيانتهم من الخطيئة، لما كانوا جبالاً ورواسياً، ولما كانوا مطهّرين في كتاب الله ؛ لأنّه لو وقع الإمام في الزلل في أيّ حكم أو عمل أو راح يسهو عن أمور الشرع إذاً لابتعد وافترق عن القرآن والرسول يقول: «لن يفترقا»[٢].

إنّ القرآن الكريم لا يُدركه ولا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم، وإنّ العترة الطاهرة هم الراسخون، فما جمع القرآن مع تفسيره الصحيح غير الأوصياء، لأنّ جمعه وإدراك كنهه مشروط بالطهارة التامّة التي تعطي التعبير الصحيح، فإنّ الطهارة ليست مجرّد النظافة للبدن والثياب، وإلّا لما كانت هذه الطهارة حاصلة بالتراب كما في التيمّم، ولما ترتّبت الطهارة أيضاً بغسل الوجه واليدين في الوضوء، وإنّما الطهارة هي النقاء من الدنس والنزاهة عن الرجس والغرور علاوة على النظافة الظاهرية لنكون بالتقوى جديرين بإقامة الصلاة.

وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٣]، والأئمّة عليهم السلام هم الذين يقول الله فيهم سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٤]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٥]،

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) مسند أحمد ٣: ١٤.

(٣) التوبة (٩): ١٠٨.

(٤) الأنعام (٦): ٩٠.

(٥) النحل (١٦): ١٦.

العلامات هم الأئمّة عليهم السلام والنجم هو الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

وبيّن الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبه بنهج البلاغة هذا الأمر حيث قال: «فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم؟ وكيف تعمهون؟ وبينكم عترة نبيّكم، وهم أزمّة الحقّ، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، ورِدُوهم ورود الهيم العطاش»[(١)].

كما أشار إليهم سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[(٢)].

فالعترة الطاهرة هي القادرة على إنطاق القرآن، والعثور على ما فيه من مكنونات، فلنرجع إليهم، ولنقتدي بهم كي نكون من الهادين المهتدين الذين يحبّون الرسول وآل بيته وبهم يقتدون.

الترابط العلمي بين القرآن والإمام:

القرآن نور بصر وبصيرة للبعض، وعمى بصر وبصيرة للبعض الآخر، رجوعٌ إلى الله وشفاء بإذن الله للبعض، وسقمٌ وشقاءً للبعض الآخر، فكذلك الإمام إذا تبيّن للإنسان حقّه والحقّ من حوله ومعه ثمّ أدار له ظهره وتركه فذلك هو الكفر الصريح، وسيجد الكافرون جزاءهم بما كفروا.

والقرآن الكريم هو كتابٌ شامل يعطيك في كلّ زمان ومكان جواباً ليّناً طريّاً بقدر ما هو صحيح، وهو الينبوع السماوي كما وصفه الخالق بقوله:

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٦: ٣٧٣، الخطبة ٨٦.

(٢) آل عمران (٣): ٣٣.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١)، فيجب علينا إلّا نطلب الهداية في غير القرآن لكي لا نضلّ ضلالاً بعيداً، إنّه الصراط المستقيم الذي لا يعرفه حقّ المعرفة إلّا الله سبحانه ورسوله والراسخون في العلم ألا وهم أئمّة أهل البيتعليهم السلام.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾(٢)، ومن التلازم المشترك بين القرآن والإمام أنّ القرآن هو مظهر من مظاهر صفات الله الذي لا شريك له، ولا يمكن أن يأتوا بمثله ولو اجتمعت على ذلك الإنس والجن.

والإمام إنسان كامل معصوم وهو مظهر لصفات الله، ليس كمثله أحدٌ من البشر في تقواه وفي سلوكيّته وفي قدرته على شرح وتعليم وتطبيق القرآن الكريم.

الإمام هو النجم الذي لا تطاله أيدي المتطاولين، وقد عبّر الرسول الكريمصلى الله عليه وآله عن ذلك بحديثه الشريف بقوله: إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»(٣).

فالنبيّصلى الله عليه وآله نبيّ وإمام في آن واحد أمّا الإمامعليه السلام فهو إمام وليس نبيّ، وإنّ ربط الاثنين بالغيب قائم وسارٍ ما داموا على قيد الحياة. والفارق هو أنّ النبيّصلى الله عليه وآله يتلقّى عن طريق الوحي، ويرى الملائكة والرؤية عنده حكمٌ، أمّا الإمامعليه السلام فلا يتلقّى عن طريق الوحي. ولا يرى الملائكة، والنبيّصلى الله عليه وآله مكلّف بإتيان الشريعة إلى الناس، أمّا الإمامعليه السلام فتكليفه حفظ الشريعة بدون خطأ أو

---

(١) النحل (١٦): ٨٩.

(٢) يونس (١٠): ٣٥.

(٣) مسند أحمد ٣: ١٤.

عيب وهو الذي يحلّ الخلاف والاختلاف بالحقّ وبما يرضي الله والرسول صلى الله عليه وآله.

الشريعة الإسلاميّة ثابتة لا تتغيّر، أمّا الخلاف فيحدث بين العلماء حسب تغيرات الزمن وظروفه وأحداثه، فإذا كان لا يوجد إمامٌ يرجع إليه الناس، فإنّ الخلاف سيتّسع، والتشتّت سيبقى ويستمرّ، فلا يقوم للأُمّة بناء صحيح كامل إلّا بوجود الإمام والأخذ عنه، كما وأنّ الصحابة لم يكتمل نضوجهم العقلي جميعاً، لذلك فقد كانوا يحتاجون إلى أمين بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

وقد وضع الله سبحانه وتعالى لهم الأمين، وبيّن الموازين، وأكمل الدين: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[١].

لقد جعل الله من الإمام لطفاً مقروناً بالأسباب الحافظة لخط النبوّة، وقد عبّر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله عن ذلك في مواطن كثيرة ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[٢]، منها:

١- سمى صلى الله عليه وآله علياً إماماً في حياته وذلك ما لم ينله واحدٌ من الصحابة.

٢- أعلن صلى الله عليه وآله ولاية علي عليه السلام في غدير خمّ ونزلت بذلك الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[٣].

وأعلن ولايته أيضاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[٤].

---

(١) النجم (٥٤): ٣.

(٢) المائدة (٥): ٣.

(٣) المائدة (٥): ٦٧.

(٤) المائدة (٥): ٥٥.

٣- قام الرسول الكريمﷺ بإيضاح الترابط بين القرآن الكريم وأهل البيتعليهم السلام في حديثه الصحيح: «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

الإمامة ومنطق القرآن:

فلنتأمّل ولنتساءل كم قال الرسول الكريمﷺ لعليعليه السلام: «**ألا** ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس نبيّ بعدي»[٢]؟!

لقد طلب الله سبحانه وتعالى إلى موسى الذهاب إلى فرعون وكان متهماً بجرم كبير، وهو قتل رجل من رجال فرعون، فصعب ذلك على موسى وناجى ربّه قائلاً ضارعاً إليه: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا**﴾[٣].

لقد طلب موسىعليه السلام من ربّه أن ينصره بأخيه، وليس بأيّ واحد آخر من الناس، لأنّه أعرف الناس به، وهو الذي أشرف على تربيته وإعداده، وكذلك طلب سيّد الأنبياءﷺ من ربّه أن يشرح صدره فشرح الله صدره بولاية الإمام عليعليه السلام[٤]، ثمّ خاطبه قائلاً: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ***

(١) مسند أحمد ٣: ١٤.

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٢٩.

(٣) طه (٢٠): ٢٥ - ٣٤.

(٤) ففي تفسير القمّي عن أبي عبد الله عليه السلام قال في تفسير الآية: «بعليّ، فجعلناه وصيك...»، تفسير القمّي ٢: ٤٢٨

الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[١].

فالوزر هو الحمل الثقيل الذي أحبّ الرسولﷺ أن يكون معه في حمله وزيرٌ مؤازر يساعده في حمل هذه الأعباء ويخّفف عنه، وقد اختار الرسول الكريمﷺ هذا الوزير المؤازر عندما قال لسيدنا الإمام عليعليه السلام: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى» فاختاره بذلك أخاً ووليّاً.

وقد نفذ الرسول الكريمﷺ أوامر ربّه حين قال له: **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**[٢]، فقام الرسول بدعوتهم قائلاً: «أيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم».

فلم يستجب له أحد من أهله إلّا عليعليه السلام، وكان حديث السن، وأعاد الرسولﷺ الدعوة على مسامعهم أكثر من مرّة فما استجاب له إلّا علي، فأخذ برقبته ثمّ قال: «إنّ هذا أخي، ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»[٣].

ويشهد الله وهو خير الشاهدين على أن علياًعليه السلام هو الوزير والخليفة من بعد الرسولﷺ إذ يقول: **﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾** والمعنى واضح في ذلك وهو أن الله سبحانه وتعالى قد أزر النبيّﷺ بأخيه عليعليه السلام الذي صحبه في جميع حروبه ضدّ المشركين إلّا في حرب تبوك التي كانت حرباً استعراضية بقي فيها علي على المدينة بأمر الرسولﷺ رغم إلحاحه على الذهاب، وقد قال له الرسولﷺ عندها: «خلفتك أن تكون خليفتي، قال: أتخلّف عنك يا

---

(١) الشرح (٩٤): ١ – ٣.

(٢) الشعراء (٦): ٢١٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

رسول الله؟ قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[١].

وكان إبقاء عليٍ في المدينة لأجل خوف الرسولﷺ من المرجفين والمنافقين الذين بقوا في المدينة ولم يخرجوا مع رسول اللهﷺ، فكانوا يرصدون خروج النبيّﷺ لأنّهم كانوا على علاقة وطيدة مع الروم الذين كانوا يترصّدون الهجوم الكاسح على المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٢].

فهذا سبب تخلّف عليعليه السلام على المدينة لأسباب أمنيّة وسياسيّة يعلمها ويعرفها رسول اللهﷺ.

(١) مجمع الزوائد ٩: ١١٠.

(٢) التوبة (٩): ١٠٧.

من يعيّن الإمام

إنّ الله سبحانه هو الحاكم العادل وهو ذو الصلاحية المطلقة في أُمور هذا الكون، فلا يحقّ لأحد أن يشرّع من دونه في قليل أو كثير، فشرّع لنا الشرائع، وأبان لنا المناهج، ثمّ بعث رسولهﷺ رحمة للعالمين، وليبيّن أحكامه، ويوضح دستوره، ولينذر الأُمّة، وليحثّ على تطبيق الأحكام الشرعيّة الحقّة، ويشرف على تنفيذها، فيثيب الله سبحانه من أحسن، ويجزي من أساء.

ومن الواضح أنّ المسلمين لم يبلغوا في عهد الرسولﷺ درجة من النضج الفكري والرشد الاجتماعي، ولم يستوعبوا الشريعة الإسلاميّة بصورة كاملة ممّا أدّى إلى إفراز اختلاف واسعٍ في الأحكام والمعارف الإسلاميّة، فهل تترك هذه الأُمّة من بعد الرسولﷺ من دون إمام معصوم يقوم بحفظ وبيان الأحكام وشرح المعارف فيكون حجّة الله عليهم، والسبب المتّصل بينهم وبين الله؟

إنّ التاريخ لم يعرف أمّة تنهض بدون قائد وقيادة، ولكن هل تحوز قيادة الدين لعامّة الناس؟ يقول الإمام الرضاعليه السلام: «لو لم يجعل [الله] لهم إماماً قيّماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملّة، وذهب الدين، وغيّرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، وقص منه الملحدون، وشبّهوا ذلك على المسلمين، لأنّا قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين [مع] اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتّت أنحائهم، فلو لم يجعل لهم قيّماً حافظاً لما جاء به

الرسول صلى الله عليه وآله لفسدوا نحو ما بيّنا، وغيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين»[١].

وبما أن الإمام معصوم وجب على الرعيّة اتّباعه، وقد تبين لها أنّه الحافظ للشرع الصائن للأحكام، لذلك فإنّ طاعته مفروضة بأمر الله وقد قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[٢].

فطاعة وليّ الأمر المنصوب من قبل الله تعالى مفروضة فرضاً في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣].

والأئمّة عليهم السلام منصبون بأمر الله تعالى لذلك فطاعتهم وولايتهم والاقتداء بهم واجب مفروض على كلّ مؤمن.

بيان آية: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾:

يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٤].

هذا من خلق القرآن، ترابط اجتماعي كامل وواضح بين الرعية والقائد بالمشورة والاستئناس برأي ذوي الرأي ليتحسّس الناس بمسؤوليّاتهم، وليفكّروا بجديّة أكثر في أمور الدين والدنيا، وقد يضطرّ القائد خلال

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٠٨.

(٢) النور (٢٤): ٦٣.

(٣) النساء (٤): ٥٩.

(٤) آل عمران (٣): ١٥٩.

المشاورة إلى تبيان مختلف وجوه الأمر للناس مّما يعمّق في نفوسهم أبعاد المعرفة.

لكن من واجب القائد إذا رأى في الناس ضعفاً في الإرادة، أو تحيّزاً للمصالح اتخاذ القرار المناسب الحازم، وهم مأمورون باتّباعه، لأنّ قرار القائد يتجاوز الخلافات في الرأي، ويعطي للأمّة ما تحتاج من الحيوية لتجاوز العقبات التي يرونها ضخمة بسبب ما بينهم من خلاف في الأهواء والآراء، المشاورة إذاً وجدت لتحقيق الترابط وتعميق أبعاد المعرفة في نفوس الناس، ولكن إذا دخل الضعف والتراجع في الأُمّة عندها يتحتّم على القائد أن يتخذ قراراً لا رجعة فيه، لأنّه إنّما يسير على الهدى وبحكم الله إذ هو معصوم في أفعاله وأقواله وجميع تصرفاته، فيكون بهذا العمل مربّياً وموجّهاً للأُمّة، زارعاً فيها الرؤية الصالحة.

وكيف تكون المشورة والمشاورة أو تصحّ في صدر الإسلام بين قلة من الصحابة يتفقون على اتخاذ قرار لتنصيب وكيل الله وخليفته على الناس في الأرض؟

ترى هل كان هذا هو الحقّ والصواب أم أنّه استعجال في الأمر دفعهم إليه التعلّق بالدنيا وهم يفتقرون إلى الدليل وإلى القدرة على الاختيار؟

حتّى ولو سلمنا جدلاً وقلنا بأنّهم تشاوروا فليسوا هم بمعصومين، بل إنّهم تركوا المعصوم مشغولاً بتجهيز جنازة النبي ﷺ مع أن الرسول الكريم ﷺ أراد تأكيد أمر الخليفة والإمام عند وفاته قائلاً: «آتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً»[1].

(١) صحيح البخاري ٤: ٦٦.

وكثر الخلاف واللغط حول النبي ﷺ حتّى غضب عليهم وقال: «قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع»[١].

وقد قال ﷺ أيضاً: «رحم الله علياً اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار»[٢].

يقول تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾[٣]،

قصة: دخل رجل شامي على [الإمام] الصادق عليه السلام محاججاً، فقال [الصادق] عليه السلام لهشام بن الحكم: كلّمه قال هشام: يا شامي ربّك أنظر لخلقه أم خلقه أنضر لأنفسهم [أي أعرف]؟

قال: [الشامي]: بل هو أنظر لهم.

قال: فما نظره لهم [أي ماذا صنع لهم]؟

قال: [الشامي]: أقام لهم الحجة، وأراح عنهم العلّة.

قال [هشام]: فما هي الحجّة؟

قال: الرسول ﷺ.

قال [هشام]: فما بعده [أي فما هي الحجّة التي تركها بعد الرسول]؟

قال [الشامي]: كتابه وسنّته.

قال [هشام]: فأزالا عنّا الاختلاف اليوم؟

قال [الشامي]: لا.

(١) صحيح البخاري ١: ٣٧.

(٢) للمستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٤ – ١٢٥.

(٣) يونس (١٠): ٣٥.

قال الشامي: وإلاّ فمن [أي أين الحجّة إذاً]؟

قال [هشام]: هذا ا لجالس – يعني الصادق عليه السلام – الذي يخبرنا بأخبار السماء وراثةً عن أبيه وجدِّه.

قال [الشامي] فكيف وأعلم ذلك؟

قال: سله.

فابتدأه الإمام عليه السلام وأخبره بيوم خروجه من الشام وما حدث له في طريقه فصدّق فأقرّ بوصّيته[1].

حكمة: سأل أحد الناس ما دليلكم على أنّ علياً أعلم الناس؟ قال: حاجة الكلّ إلى علي، واستغناء علي عن الكلّ دليل على أنّ علياً أعلم الكلّ.

إنّ الله سبحانه بدأ بالخليفة قبل الخليقة، والحكيم يبدأ دائماً بالأهم، فالخليفة أهمّ من الخليقة، لأنّه المبلّغ والمرشد والرحمة من الله للعباد.

قال تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[2].

وقال أيضاً جلّ وعلا: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ** ﴾[3].

وفي هذا دليل واضح على أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار الخليفة والنبي والإمام. ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[4].

---

(١) الصراط المستقيم ١: ٨٩.

(٢) البقرة (٢): ٣٠.

(٣) ص (٣٨): ٢٦.

(٤) القصص (٢٨): ٦٨.

إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله إلّا بعد أن أكمل الدين، وبيّن في كتابه الكريم الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وكلّ ما يحتاج إليه الناس. قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾[1].

إنّ الرسول الكريم - الذي لا ينطق عن الهوى - أعلن إمامة علي تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى، موضّحاً أنّ كمال الدين بالرسول والتتمّة بالإمامة بدأ من الإمام علي عليه السلام حيث يقول صلى الله عليه وآله: «عليّ منّي وأنا من علي ولا يؤديّ عنّي إلّا أنا أو علي»[2].

فإذا كان تنصيب الإمام هو من قبل الله سبحانه وتعالى ومن قبل رسوله فإنّ محاولة الناس اختيار غيره وتنصيبه يصبح عبثاً وجهلاً ومخالفة صريحة للنصّ وإن كان اختياره عن طريق الناس وأنّ الله سبحانه لم يبيّن لهم كيفيّة اختيار الإمام والخليفة فإنّ هذا عبث في قوانين الإله وما شاء تبارك، وحاشا لله أن يترك أمراً عظيماً كهذا ولم يبيّنه.

(١) المائدة (٥): ٣.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣٠٠. وانظر: مسند أحمد ٤:١٦٥

القرآن وأهل البيت عليهم السلام

إنّ ما اتّفق عليه المفسرون في موضوع الآيات التي خصّ بها الله أهل بيت النبوة عليهم السلام كثيرة وعديدة نذكر منها هنا قسماً يسيراً مكتفين به لتوضيح ما يحتاجه القارئ الكريم، ونبدأ بآية المباهلة قال تعالى: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1].

إنّ الله سبحانه وتعالى قد أظهر وأوضح وبيّن الطريق الذي يريده للمؤمنين، حيث حذّرهم من اتّباع السبل المتفرقة، ومن ترك الخط المستقيم بعد أن جسّد وأبان الخط القويم، والصراط الصحيح عند أهل البيت عليهم السلام، فجعل سبحانه قضية المباهلة أمراً فاصلاً بين الإيمان كلّه والكفر كلّه، حيث قام نصارى نجران بجمع أكبر وأعظم زعمائهم، وألبسوهم الحلية والحلل، وزيّنوهم بكلّ ما تحتاجه العظمة الدنيوية ليباهلوا الرسول الكريم محمّد صلى الله عليه وآله الذي أنكروا نبوّته، وجعلوا الفصل والحل لقضيتهم الوقوف أمام الله.

أما نبيّ الهدى ورسول الرحمة الذي لا ينطق عن الهوى فما كان منه إلّا أن استجاب كعادته لنداء السماء وأخرج معه أفضل وأطهر وأزكى البشر ليكونوا فاصلاً بين الحقّ والباطل، وتبياناً لحقيقة النبوّة، وترسيخاً لقواعد

---

(١) آل عمران (٣): ٦١.

الرسالة، إنّهم الأطهار الأبرار الأخيار عليٌ وفاطمة والحسن والحسين مع جدّهم رسول الله ﷺ.

خمسةً يقفون أمام كلّ كبرياء النصارى الذين يفاخرون أنّهم سوف يباهلون محمّداً بالعظمة والكثرة فلمّا رأوا الرسول الأمين قد خرج واحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلي خلفها.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ورجعوا كذلك بخيبتهم ولم تتمّ المباهلة[1].

إنّ المسألة ليست تكريساً لمفهوم قبلي أو تعصّب من أي نوع، لكنّها إعداد ربّاني هادف إلى صياغة الوجود الامتدادي في حركة الرسالة، ولا يمثّل هذا الامتداد وتلك الصياغة إلّا أهل بيت النبي عليهم السلام.

ولنبدأ بمحاسبة أنفسنا وفق ما أنزل الله في كتابه العظيم بحقّ هذه الفئة المطهّرة الكريمة، ونتساءل ترى هل عميت البصائر وتكابرت نفوس ذوي المصلحة عن الاقتداء بأولئك الأطهار بدل الاقتداء بأناس لم يكن لهم في التاريخ نصيب؟! اللّهم إلّا اغتصاب حقوق الآخرين، والعمل بغير أحكام الدين، وقتلهم للصالحين الذين اختارهم الله، ألا فشاهت الوجوه البغيضة المنحرفة عن الحقّ التي تصمّ الآذان عن استماع الحقيقة، أمّا أولئك الذين اختارهم الله فقد فسّروا لنا القرآن، وبيّنوا لنا أحكامه، وأوضحوا لنا الطريقة الصحيحة، فبعداً وسحقاً لكلّ متجاهل عنيد.

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢١، مسند أحمد ١: ١٨٥، سنن الترمذي ٤: ٢٩٣، التفسير الكبير للرازي ٨: ٨٥ و...

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا...** ﴾[١].

هذه الآيات الكريمة في كتابه العزيز لو قرأها منصف وتدبّرها عاقل لوجد أنّ الله سبحانه وتعالى قد أفاض لطفه وعطاءه لهذه الفئة، وسدّد خطاهم على طريق الجنّة.

ثلاثة أرغفة وصيام ثلاثة أيّام باتوا فيها طاوين ساغبين وفاءً بالنذر الذي كان بسبب مرض ابنيهما الحسن والحسين عليهما السلام، وفي كلّ يوم يصومونه يأتيهم عند إفطار اليوم الأوّل المسكين، وغداة اليوم الثاني اليتيم، أمّا في اليوم الثالث فقد جاءهم الأسير فيؤثرونه بالعطاء على أنفسهم، يفطرون على الماء وفاءً لنذرهم أمام الله.

ثلاثة أرغفة أنزلت آيات من الذكر الحكيم وبلّغت العالم أنّ الجنّة بأطايبها ملك حلال لهذه الفئة الطاهرة الطائعة، معجزةُ تتكلّم بالبشارة لأهل البيت عليهم السلام.

يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «القرآن أربعة أرباع: ربعٌ فينا أهل البيت خاصّة وربع في أعدائنا وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام»[٢].

طوبى لكم أهل البيت ما أعظمكم وما أعظم رصيدكم في كتاب الله.

وقد ألّف الحاكم الحسكاني - وهو من كبار علماء أهل السنّة - كتاباً من جلدين، وأورد فيه كلّ ما نزل في أهل البيت من الذكر الحكيم وأسماه

(١) الإنسان (٧٦): ٨ - ٢٢.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٥٧.

بشواهد التنزيل[1].

جملة من الأحاديث الشريفة بحق أهل البيت عليهم السلام:

١) يقول الرسول صلى الله عليه وآله «أنا مدينة العلم وعليٌ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[2].

٢) يقول الإمام علي: «علّمني رسول الله ألف باب من العلم، واستنبطت من كلّ باب ألف باب»[3].

٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «نزل القرآن على سبع أحرف له ظهر وبطن، وإنّ عند علي عليه السلام علم القرآن ظاهره وباطنه»[4].

٤) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله لمّا خلق السماوات والأرض دعاهن فأجبنه، فعرض عليهنّ نبوّتي وولاية علي ابن أبي طالب عليه السلام فقبلتاهما، ثمّ خلق الخلق وفوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من شقي بنا، نحن المحللون لحلاله، والمحرّمون لحرامه»[5].

٥) عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكملاً الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر

---

(١) راجع مقدمة المؤلّف في شواهد التنزيل ١: ٢٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٧، مجمع الزوائد ٩: ١١٤و...

(٣) التفسير الكبير للرازي ٨: ٢٣.

(٤) ينابيع المودّة ١: ٢١٥.

(٥) المناقب للخوارزمي: ١٣٥.

ونكير ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها...، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله...»[١].

٦) قال الرسول صلى الله عليه وآله: «علي منّي وأنا منه، ولا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو علي»[٢].

٧) وقال صلى الله عليه وآله: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة»[٣].

٨) قال الرسول صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٤].

فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى قال لعلي عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، وزيراً وخليفة وشريكاً في الأمر ما عدا النبوة.

إنّ النصوص الواردة عن الفريقين من المسلمين بحقّ هذا الرجل العملاق الذي شهدت له الأرض والسماء في غزوة أحد بعد انهزام جميع الصحابة وما بقي منهم إلّا عدد ضئيل ومنهم امرأة اسمها نسيبة، وقد تكالب عليه الأعداء فضربه بن قمأة بعظم فأدمى وجهه الكريم، وأسقط ثنيته الشريفة، ثمّ نادى بأعلى صوته: لقد قتلت محمّداً فلاذَ الصحابة كلّهم بالفرار وصمد الإمام علي عليه السلام وذبّ عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ثمّ حمل عليه السلام على المشركين بشجاعة وبسالة لم يشهد

(١) التفسير الكبير ٢٧: ١٦٦.

(٢) مسند أحمد ٤: ١٦٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٤.

(٤) صحيح البخاري ٥: ١٢٩، صحيح مسلم ٧: ١٢٠.

التاريخ مثلها، ولكن شهدت لها الأعداء الذين مزّقهم وفرّقهم أشتاتاً، وهنا دوّى صوت من السماء منادياً:

لا فتى إلّا علي ولا سيف إلّا ذو الفقار

ونتساءل ثانية: هل من الصحيح، أو العدل، أو الممكن، أو المعقول أن نسوّي وأن نساوي بين عليعليه السلام وبين أولئك الذين انهزموا عن الرسولصلى الله عليه وآله وتركوه في أرض المعركة؟! والله إنّها إذاً لقسمة ضيزى. لا يقبلها مؤمن حرّ شريف.

أمّا في معركة بدر فقد جندل عليعليه السلام لوحده خمسة وثلاثين شخصاً من الأعداء، وتشهد له السير والتواريخ، وقتل في هذه المعركة قوم قريش وسيّد مشركيها، وأشجع قادتها في المراس، وشدّة البأس وقوّة الجسم؟!

أم هل يجوز أن نسوي وأن نساوي بين عليعليه السلام وبين غيره في معركة خيبر التي بعث فيها الرسولصلى الله عليه وآله أبا بكر فرجع ولم يفتح الله عليه وأعطى الراية لعمر ابن الخطاب الذي لم يفتح الله عليه وما كان أوفر حظّاً من صاحبه أبي بكر.

وحضر الرسول الكريم وقال للصحابة: «لأعطيّن الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح عليه، قال عمر: فما أحببت الأمارة قط إلّا يومئذٍ»[(١)].

فغدوا كلّهم يرجوها فقال: «أين علي»، فقيل يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية...»[(٢)].

---

(١) السنن الكبرى ٥: ١١١ حديث٨٤٠٦.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠.

إنّ لعلي عليه السلام رهبةٌ في قلوب الأعداء، وإنّه لتعجز عن وصفه الأقلام وحتّى الفكر الإنساني يحتار ويقف ضعيفاً في وصف شخصه.

فأيّ سبب وبأيّ هدف نجد العقول الضيّقة المتعصّبة الفاقدة للمعرفة الضائعة في غياهب العاطفة العابدة للصنمية البشرية حتّى الآن يريدون الطعن به وبأبنائه والحطّ من شأنه وقدره؟!

وكلّ ذلك إكراماً لعلوج بني أمية وأمراء بني العباس، ونحن والله لا نعرف علام يستندون وعلام يعتمدون، اللّهم إلّا أن يكون ذلك نفاقاً وزلفى واتباعاً للباطل.

من المؤسف ومن المؤلم أنّ الجاهل وضعيف الإيمان كلّما مرّ به الزمن يزداد تعصّباً وضعفاً فلا ينطق بقول الحقّ، وهذا ما يؤلمنا ويحز في نفوسنا أسفاً وحزناً على أُمّتنا التي ابتلاها هؤلاء الوصوليون المرجفون بضروب من الفرقة والاختلاف رغم أنّ الأمور واضحة.

إنّ المنطق التطبيقي الصحيح الذي يقبله العقل يرفض حتّى مجرد المقارنة بين علي وبين ابن أبي سفيان، علي هو صوت الحقّ والعدل، لا يفرّق بين طائفة وأخرى من المسلمين، عليٌّ الذي يقول: «يا دنيا يا دنيا إليك عنّي... غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها»[1].

علي الذي جاءه أخوه عقيل فقيراً محتاجاً وطلب إليه أن يعطيه بعضاً من مال المسلمين فأبى عليه ذلك، ثمّ أحمى له حديدةً وأدناها منه فهرب منها وهو يئنّ من حرارتها، فقال له الإمام عليه السلام: «ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئنّ من

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٤.

حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نارٍ سجَّرها جبّارها لغضبه»[1].

إنّه علي عليه السلام الذي يقول لابن عباس لما رآه يخصف نعله فقال ابن عباس: ما قيمة هذه النعل، فقال: «والله لهي أحبّ اليّ من إمرتكم، إلّا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»[2].

بعد كلّ هذا هل من الممكن وهل من المنطقي أن نقايس معاوية بعلي عليه السلام الذي لم يرتكب معصيةً قط في حياته؟! بينما ارتكب معاوية ما لا حصر له، ويكفي أنّه شقّ الصفّ الإسلامي، وحوّل مسار الدين عن طريقه الصحيح، وأعطى الخلافة لولده الفاجر الكافر مصاحب القردة والمستهزئ بالقرآن الكريم يزيد بن معاوية.

إذ نذكر هذا عن معاوية فإنّنا مهتمّون أكثر وأكثر بالعقول المتأثّرة به والتي ترشح علينا أفكاراً ومفاهيم لا يقلّ أذاها عن أذى أفعالهم، نحن بصدد من لا يفكّرون إلّا بأنفسهم وكأنّهم مخلوقون للأكل والشرب والمتعة وحسب وكأنهم يظنّون أنّهم مخلّدون.

أو لم يقتل معاوية حجر بن عدي الصحابي الجليل رضي الله عنه لأنّه موالٍ لعلي عليه السلام وهذا الصحابي الآن مدفون بعذراء الشام.

«إذ طلب منه جلاوزة معاوية – وكان معه ولده وستة من الصحابة – أن يتبّرأ من علي عليه السلام فرفض، عندها حفروا لهم قبوراً وأحضروا أكفاناً، وكان حجر وأصحابه يصلّون عامّة الليل فلمّا كان الغد قدّموهم ليقتلوهم، فقال لهم

---

(١) المصدر السابق ١١: ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ٢: ١٨٥.

حجر بن عدي: اتركوني أتوضأ واصلّي... فقتلوه وقتلوا ستة»[١].

وكلّ ذلك كان بأمر معاوية.

هذا غيض من فيض من أعمال وأخلاق وسلوكيات معاوية، ومع ذلك فإنّ البعض يرجم الحقّ بحجارة الباطل، ويصفّق للباطل بأيد مجرمة، أو لسنا نسمع حتّى الآن في المسلمين من يقول: إنّ الحرب التي دارت بين علي ومعاوية بأمر من الله، وحكم منه، وإنّ القتلى في هذه المعركة هي سيوف قد عجّلت بأهلها إلى الجنة؟! فتعالى الله، وبرئ من الخطيئة وأهلها كيف يأمر سبحانه بالمعصية وبقتل الأنفس؟! أو لم يأمرنا تخييراً وينهانا تحذيراً؟

فكيف بعد ذلك يعذّب من أمرهم؟! إنّه التطاول والتحديّ والتمادي على حكم الله وشرعه.

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ٣: ٤٨٥.

حبّ أهل البيت عليهم السلام

حبّ أهل البيت عليهم السلام، وحكمه عند الله:

١) يقول صلى الله عليه وآله: «إنّي تاركٌ فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود من بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

٢) «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢].

ويقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾.

أولئك هم أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن، الذين سيظلّون محفوظين من الله كما حفظ سبحانه كتابه العزيز من الزيف والتحريف، لأنّ الخالق العظيم اختارهم لكي يكونوا حجّة على العباد، ولكي لا يخلو وجه الأرض منهم حتّى يظهر قائمهم المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إننا إذ نحبّ القرآن ونجلّه الإجلال كلّه لأنّه منقذ للبشرية، ومخرج لها من الظلمات إلى النور، فيجب أن نقرأه، لا كالذين قالوا سمعنا وهم لا

(١) مسند أحمد ٥: ١٨٢.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣٢٧.

يسمعون، بل نقرأه بعقول مفتوحة، وقلوب مؤمنة، حتّى نفهم الآيات التي تبيّن المكانة الرفيعة لأهل البيت عليهم السلام، فالقرآن دستور الحياة إلى أن تقوم الساعة، وأهل البيت هم ترجمان القرآن إلى أن تقوم الساعة، وهم الذين لم يخالفوا القرآن في قول، أو عمل، فعليك يا أخي المؤمن أن تعرفهم وتعرف ما خصّهم الله من خصوصيات ما أعطاها لغيرهم، وليكن مسار دربك نجاة لك ولغيرك من الزيف والانحراف، ولو استقرأنا سيرة المجتمعات الإسلاميّة عبر التاريخ واطلعنا عليها فإنّنا نرى ونسمع الكثير عن الكثير ممن ينتقلون من مذاهبهم إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنّه هو الطريق الحقيقي والخط الرسالي، وهو النجاة للبشرية مما اختلفوا فيه من مسائل معقدة، وقضايا غيبية كما وصفهم القرآن بقوله: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ** ﴾[١].

يقول الإمام علي عليه السلام:

١)«سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي»[٢].

٢)«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلّا حدّثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل»[٣].

---

(١) قال الزمخشري: «ولنجعلنّ من أمّتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية» (الكشاف عن حقائق التنزيل ٣٠: ٢٤٦) فتعيين الأئمّة يكون بجعل من الله تعالى، وقد عينهم سبحانه على لسان نبيّه وحصرهم باثني عشر خليفة وهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٥٢.

(٣) جامع بيان العلم والفضل ١: ١١٤، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣: ١٤٣.

٣)«جلس الإمام علي على منبر الكوفة وكشف عن بطنه فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنّما بين الجوانح منّي علمٌ جم [هذا] سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً فوالله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتّى ينطق الله التوراة والإنجيل فيقولا: صدق علي قد أفتاكم بما أنزل فيّ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون»[1].

إنّ الإمام علي عليه السلام وكلّ الأئمّة من بعده سواءٌ في علمهم وحكمهم وقدراتهم، إلّا أنّ الظروف تمرّ بشكل مختلف في حياة كلّ إمام ممّا يضطر الإمام إلى التعامل مع الظروف المستجدة بالشكل الذي يخدم الإسلام ويجذّره في المجتمع الإسلامي، لأنّ الأئمّة هم من شجرةٍ واحدة، وهم المعصومون عن الخطأ والزلل.

أما نحن وبسبب من التقليد الأعمى وبسبب حبّ الذات وحبّ الرياسة والتسلط فقد عميت بصائرنا حتّى أصبحنا بعيدين عن طريقهم وهو أئمّتنا وشفعائنا عند الله، وهم الذين سرت في نفوسهم روحانيّة رسول الله صلى الله عليه وآله فحملوا أريجها العطر، ونسيمها الشافي، وتلقّوا التضحيات بنفوس مطمئنّة، وتحمّلوا العناء بقلوب راضية، لا تعرف الشكّ ولا يساورها القلق.

(١) المناقب للخوارزمي: ٩٢، ينابيع المودّة ١: ٢٢٤، والنصّ للأخير.

سورة الفاتحة وصراط أهل البيت عليهم السلام

إنّ الله سبحانه وتعالى فرض الصلاة لتكون صلة بين العبد وخالقه، وجعلها معراج المؤمن إلى الله، وقسّمها خمس أوقات في اليوم حتّى يكون العبد على اتصال دائم مع ربّه، فهي رحمة وهدىً من الله للعباد.

ثمّ فرض قراءتها في الصلاة التي هي عمود الدين، وأمّ العبادات، إذا قبلت قُبل ما سواها، وإذا ردّت ردّ ما سواها، والرسول الكريم يقول: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[(١)].

فلو أنّنا تمعّنا في آياتها السبع لوجدناها ملجأً للعباد، ونجاةً لهم من النار، وهي عدل القرآن بقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾[(٢)].

ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله الأنصاري: «يا جابر ألا أخبرك بخير سورة نزلت في القرآن، فاتحة الكتاب، فيها شفاء من كلّ داء»[(٣)].

لقد خصّ الله تعالى بها محمّداً صلى الله عليه وآله وشرّفه بها، فلم يشرك بها معه أحداً من أنبيائه إلّا سليمان عليه السلام الذي أعطاه منها «بسم الله الرحمن الرحيم» في

---

(١) صحيح البخاري ٨: ٢١١، صحيح مسلم ٢: ٩، سنن الترمذي ١: ١٥٦.

(٢) الحجر (١٥): ٨٧.

(٣) كنز العمّال ١: ٥٥٩.

رسالته إلى بلقيس مع الهدهد.

يا جابر إنّها أفضل سورة أنزلها الله في كتابه الكريم، فيها شفاء من كلّ داء إلّا السام، يا جابر من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء، يا جابر ألا من قرأها منقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرها وباطنها بموالاة محمّد وآل محمّد أعطاه الله في كلّ حرف أفضل من الدنيا وما فيها، فهي غنيمة فلا تجعلوها حسرة[١].

إنّ المصلي يقف بين يدي الله خمس مرات في كلّ يوم، ثمّ يحضر قلبه مع قراءتها بخشوع وخضوع للمعبود، وعليه ألاّ يجعل نفسه أسيرة لهواه، ولا معصوب العين عن الحقيقة فيها، وعن الحقائق في مضمونها، لقد جاءت هذه السورة في نظمها ومعانيها بأعظم توضيح هادفةً تعليم الإنسان ودلالته على الطريق التي توصله إلى الله.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[٢] فإنّنا نطلب إليه تعالى أن يهدينا إلى الصراط المستقيم حتّى نصل إليه رغم أنّ السبل كثيرة ومتشعبّة، يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٣].

ولأجل أن لا نقع في متاهات السبل التي تبعدنا عن صراط الله علينا أن نتضرّع إليه تعالى أن يكشف عن بصيرتنا لندرك ونعي ما نقرأ في صلاتنا، ونتدبّر هذه السورة القصيرة التي تبيّن لنا صراط الله المستقيم بقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ والصراط المستقيم هو الإمام علي عليه السلام، حيث

(١) انظر تفسير مجمع البيان ١: ٤٩.

(٢) الفاتحة (١): ٦.

(٣) الأنعام (٦): ١٥٣.

يقول عليه السلام: «أنا الصراط المستقيم»[١]، وفي شواهد التنزيل «الصراط المستقيم علي»[٢]، ثمّ يقول سبحانه وتعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾. بمعنى صراطي يمثّله عبادي الذين أنعمت عليهم.

وإنّنا لا نرى في كتاب الله تعالى نعمةٌ على أحد كنعمته على أهل البيت عليهم السلام الذين فرض الله مودّتهم، ومحبّتهم على العباد، وطهّرهم من الرجس تطهيراً وجعلهم أئمّة في الأرض لعباده، فأيّ نعمة أكبر من هذه النعمة!

فسورة الفاتحة إذن هي عدل القرآن، وهي تمثّل أهل البيت.

(١) ينابيع المودّة ٣: ٢٠٧.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٧٩.

أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن

يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

وفي مصدر آخر: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2].

إذاً عدل القرآن هم أهل البيت عليهم السلام، وهم الثقل الثاني في الميزان، لأنّ القرآن هو النهر المتدفّق، والغذاء الشافي، والمنار الهادي الذي لا يضلّ، وهو المحدّث الصادق، والحبل المتين للتمسّك به، ومن عظيم حكمته تعالى أن جعل عدله أناساً من البشر، فجعلهم من الكتاب كالنور من النور حتّى يتمّ الترابط، فلا يكفي الكتاب بغيرهم، كما لا تتحقق الهداية التامّة بدون القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهم المعصومون الذين لا

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣٢٩.

يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

فأهل البيت عليهم السلام هم الصراط في الأرض، وهم النعمة الكبرى للناس.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده سرعة السير من الطريق إلّا بعداً»[٢].

حديث الثقلين ومكانته:

إنّ الذي رحم الإنسانية بلطفه، وبعث الأنبياء عليهم السلام بركةً منه وهداية لا يمكن أن يرجع عن لطفه - حاشاه - بعد وفاة نبيّه إلّا أن يعيّن بعده من يواصل هذه المسيرة ويحفظ هذا الدين، وهو الذي جعل أمة محمّد أفضل الأمم، وبعث فيهم أفضل الرسل، فكيف يتركها بدون أن يعيّن لها أفضل المربّين وأجدر القادة الملهمين؟!

وقد أمر سبحانه وتعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله أن يبيّن وأن يوضّح ذلك للناس وقد صرّح النبي صلى الله عليه وآله بأمر الأوصياء من بعده، وبيّن هذا الأمر المهمّ منذ أوّل البعثة في حديث المنزلة إلى آخر أيّام حياته، ومن جملة تلك التصريحات حديث الثقلين حيث قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٣].

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٠١.

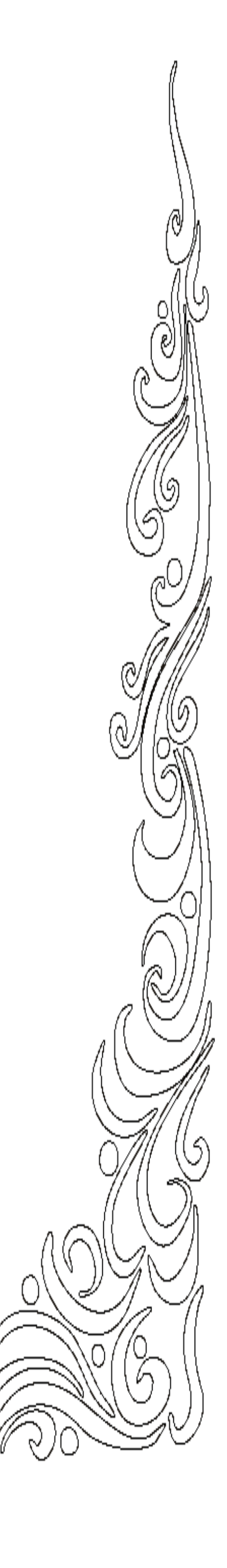
(٣) سنن الترمذي ٥: ٣٢٩.

إنّ جميع المصادر الإسلاميّة تشهد بصحّة هذا الحديث وتعترف[1] به، لكن الذين في نفوسهم مرض يعتمدون صيغة أخرى لتساعدهم على التعتيم على مكانة أهل البيت عليهم السلام وقدسيّتهم فيروون الحديث بلفظ كتاب الله وسنّتي ومع أنّ هذا الحديث ضعيف سنداً، حيث أنّه رواه بعض علماء أهل السنّة بأسانيد كلّها ضعيفة، وقد صرّح السقاف في صحيح شرح العقيدة الطحاوية[2] على كونه من الأحاديث المجعولة، إلّا أنّ البعض قد تمسّك به وجعلوه في قبال الحديث المعروف وعترتي، بينما تؤكّد أكثر من مائتي مصدر من مصادر أهل السنّة على أنّ الحديث كان «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وأنّ كلّ مؤمن يخاف الله ويغار على دين الله ليدرك مدى خطورة مثل هذا التشويه والتزييف، وآثاره المدمّرة على مجتمع المسلمين، وقد قال أحد كبار علماء المسلمين: «ما رأيت حديثاً حورب حرباً شعواء مثل حديث الثقلين، إنّ تطوّع المحاربين لهذا الحديث هو طاعة وخضوع لأعداء الحقيقة ولطمسها وعدم التعامل بها، لأنّ إظهار الحقيقة من أخطر الأمور بالنسبة لأصحاب الأهواء والمصالح والمتزلفين والمنافقين والمتشدقين بما في نفوسهم من إيمان ضعيف وما في قلوبهم من مرض».

---

(١) صححه الذهبي انظر البداية والنهاية ٥: ٣٢٨ والألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ٣٥٥ – ٣٥٦ حديث ١٧٦١.

(٢) صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ١٧٨.



هجر القرآن

هجر القرآن

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2].

يتأثر الإنسان ويهتزّ ويشعر بالقشعريرة والإعجاب المعجز عند قراءته لهذه الآيات الكريمة، ثمّ يعتريه العجب وتصيبه الحيرة والذهول والأسى عندما يرى القسم الكبير من المسلمين على بعد شاسع من هذا الكتاب العظيم، مع أنّهم يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار ولا يقدّرونه حقّ قدره.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

لقد أودع الله في كتابه الكريم من المنافع والخيرات والعظات والعبر ما لا يحيط به الواصفون، ولا يبلغ بعضه العادّون الذين يحاولون إدراك أسراره ومعجزاته.

ففيه شفاء للصدور، وبيان يزيل عمى الجهل، وحيرة الشكّ، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، وإنّ من جعله إماماً وخُلقاً له قاده إلى الجنّة، ومن

(١) النساء ٤٠): ١٧٤.

(٢) هود (١١): ١.

(٣) الإسراء (١٧): ٨٢.

رمى به خلف ظهره ساقه إلى النار.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[1].

في هذا الكتاب الكريم من الأدلّة الواضحة ما يلزم البشرية بالمتابعة لينقذهم من الجهل، والعقائد الفاسدة، والتقاليد الذميمة، وليهديهم إلى ينبوع الحقّ ﴿ **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا** ﴾[2].

إنّ هذا القرآن الكريم هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي يدفع الأهواء والشبهات عن العلماء الذين يدركون محاسن أنواره التي لا يفقهها إلّا ذووا البصائر الجليّة، ولا تقطف لطيف ثماره إلّا الأيدي الزكية، ومنافع شفائه تنالها إن شاء الله الأنفس التقية.

قالت فاطمة الزهراءعليها السلام بنت رسول الله في مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنتم عباد الله نُصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم، زعيم حقّ له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقيةٌ استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع بيّنة بصائره، منكشفة سرائره منجلية ظواهره مغتبطة به أشياعه قائداً إلى الرضوان إتباعه مؤدٍ إلى النجاة استماعه...»[3].

أخي الكريم - رعاك الله وهداك - إنّ هذا لنداءٌ من القرآن الكريم إلى

---

(١) الحديد (٥٧): ٩.

(٢) الإسراء (١٧): ٨٩.

(٣) الاحتجاج ١: ١٣٣.

العالم أجمع – على اختلاف المشارب والمذاهب – يلزمهم به ولاسيّما في عصر العلم والتحرر، والحذار الحذار من أن يتعلّق بك الشيطان فتتمسّك بدين الآباء وتشقى شقاءً أبديّاً، ثمّ تكون من الخالدين في النار.

إذاً القرآن الكريم هو القانون الإلهي الذي يعالج كلّ أبعاد القضايا في الحياة، والذي يخلّص البشرية من ألغام الدنيا. ومن ظلماتها، وإنّ من قرأه وتدبّره وعمل بمضمونه ينال شرف الدنيا والآخرة، لأنّه الرسالة التي لا يأتيها الباطل، ولا يعتريها التحريف والزيف، وهي رابطة الإنسان بربّه، وهي آخر وأعظم إطروحةٍ سماوية ومنهج ربّاني.

إنّ كلّ من لم يدرس القرآن الكريم دراسة صحيحة على يد علماءٍ عارفين بحقائقه ومضامينه فإنّه سيقع في الكثير من الشبهات التي تغيّر المفاهيم الحقيقية، لتحلّ محلّها مفاهيم مغلوطة تنمو في عقول البسطاء الذين ينعقون عن جهلٍ خلف كلّ ناعق، ويميلون مع كلّ ريح، منحرفين عن القرآن، ومبدعين بدعاً محرّمةً.

يقول تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾[١].

ويشكو الرسول الكريمﷺ من بعض قومه فيعيّر الحقّ سبحانه وتعالى من هذه الشكوى بقوله: ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴾[٢].

أو ليست هذه الشكوى من الرسول الكريمﷺ من الذين يقرؤون

(١) محمّد (٤٧): ٢٤.

(٢) الفرقان (٢٥): ٣٠.

القرآن بهذرمة خاوية ويتخذونه للمكاسب المادية بعد أن هجروا معاني القرآن الحقيقية وأهدافه الرسالية، ووجدوه ثقيلاً عليهم، فكان مثلهم مثل من يبرّ والديه بالجلوس إليهم فقط ثمّ لا يحترمهما ولا يعاملهما بإحسان ومعروف فهل هكذا يكون البرّ للوالدين؟!

مثل هؤلاء الناس إذا كانوا يريدون أن يجعلوا الإسلام مرحلةً تاريخية أو تحفةً أثرية يتواءمون معه بما يحقّق مصالحهم فنحن نرفض ذلك، لأنّنا نريد أن يكون القرآن الكريم هو بداية حياتنا بالأمس، وقضية جهادنا اليوم، ونظام وهدف مسيرتنا غداً نريده شعلةً من النور، تضيء الطريق لكلّ الشعوب المؤمنة.

وإذا كان هدف العلماء القشريين هو تمزيق المسلمين فرقاً وأحزاباً بدافع من قصر نظرهم وعدم فهمهم لمعاني القرآن الكريم، فنحن سنبقى مصرّين على الاعتصام بحبل الله المتين، ولن نعمد أبداً إلى سماعهم، والرجوع إلى جاهليتنا لنكون رهباناً في المساجد، بعيدين عن الفكر الحركي البنّاء، لن نقرأ القرآن بظاهره، مطربين على أنغامه الصوتية، راقصين عليها، متّخذين منها لهواً ولعباً مع الله سبحانه وتعالى، لأنّنا نرى أنّ الإسلام الحقّ هو غير ذلك هو الفهم الشمولي للقرآن الكريم، والعمل به، كما نرى أنّ الإسلام هو وعي بنّاء نحتمي بأسواره وحصونه المنيعة من الغزوات الثقافية الكافرة، ومن بعض جوانب الحضارة العصرية المدمّرة لكلّ القيم والأخلاق.

إنّنا نريد أن تهاجر نفوسنا إلى الله لنعبده عن إيمان، ولنخشاه عن بيّنة، نريد أن نكون كما يريد الله تعالى لنا أن نكون.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ الله وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

يجب أن نكون واعين لإسلامنا العظيم حقّ الوعي، وأن نرتبط بالقرآن الكريم ارتباطاً روحياً، فنعمل بأوامره، ولا نكتفي بالتعبّد الطقسي القشري الخاوي من الروح، ونمشي في الشوارع مطأطئي الرؤوس، مرتدين خرق التذلل لأنّ الإسلام الحنيف والقرآن الكريم يرفضان هذا ولا يقبلان به.

نأمل أن نكون من المؤمنين الذين يجهدون في حمل الصفاء والنقاء، وأن نعبّئ عقولنا ونفوسنا بالروح الثوريّة والفكر الحركي، لنكون دائماً جنوداً تحت الطلب، متأهبين متى ما دعتنا الحاجة للدفاع عن بيضة الإسلام، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[٢]

من قوة الإيمان والعقيدة والفكر والاقتصاد وكلّ ما من شأنه أن يساهم في بناء الوحدة الإسلاميّة.

كيف نطمئن إلى أعمالنا:

كلّ إنسان لا يستطيع الانتفاع مع شيء إلّا بعد الإحاطة به ومعرفته، ولا يمكن معرفة وفهم الحياة إلّا بمعرفة الموت وفهمه، إذ أنّ هذه المعرفة تحدّد للإنسان موقفه المناسب من الحياة، إنّ الذي يعرف لذّة الماء يشعر بألم

---

(١) التوبة (٩): ١١١ – ١١٢.

(٢) الأنفال (٨): ٦٠.

العطش، كذلك الذي لا يفهم أنّ الحياة فانية لن يفهم ولن يعرف الموت، وهل يطيب الطعام والشراب إلّا بعد الشعور بالجوع والعطش.

إنّ الكثير من الناس يتمنّون لو تسلّقوا سلّم المجد ليصبحوا من العظماء، يخلّدهم التاريخ، والكثير منهم خابت آمالهم، والكثير أيضاً حاول التغيير في واقعه السيئ من الحكاية، إلّا أنّهم فشلوا، فما الذي يا ترى منع أولئك الراغبين من الارتقاء والوصول إلى علوّ الهمّة وراحة الضمير؟ بلا شكّ أنّ هناك عوامل للنجاح، وأسباباً للفشل، وإنّ الإرادة عند الإنسان هي المسؤول الأوّل عن تغيير واقعه. ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[(١)].

وكلّ إنسان ينساق مع أهواء نفسه ويكون أمامها ضعيفاً تنغلق في وجهه أبواب الخير وطرق الفلاح.

تتلبس نفس الإنسان بثلاث حالات ذكرها القرآن الكريم، والله سبحانه وتعالى قد جعل الإنسان قادراً على محاسبة نفسه ليتبيّن طريقه إلى الخير أو الشر، مثله في ذلك مثل طبيب يفحص مريضاً ليشخّص الداء، وليصف له الدواء، وتتمّ المحاسبة داخلياً بين العبد وبين نفسه، والله سبحانه هو الشهيد العليم.

١) الأمارة بالسوء: وهي النفس التي غرق صاحبها في أضاليل الهوى، وفي أباطيل طاعة الشيطان، وظلام القلب، هي النفس التي لا يفرّق صاحبها بين الظلمة والنور، وبين الخير والشرّ، وبين الحقّ والباطل، مداوماً على سلوك الضلال والضياع.

---

(١) الرعد (١٣): ١١.

٢) النفس اللّوامة: وهي حالة وسط يتهادى صاحبها ما بين العبادة من جهة وما بين رضي غرائزه من جهة أخرى، وهو إنسان ضعيف الإرادة متخاذل ومتسوف ولا يملك إلّا أن يقول غداً سوف أعمل كذا وبعد غد سوف أقوم بكذا، وهي – أي اللوامة – محكمةً داخلية جعلها الله مانعاً للإنسان من إتيان القبيح، فهي تلومه وتؤلمه وتدقّ على باب قلبه وضميره لتبيّن له أخطاءه وآثامه، ولكن الإنسان يستجيب إلى داعي الهوى لهلاك نفسه في الوقت الذي تؤنبه النفس اللوامة وترتقي به إلى الشعور بعظمة العفّة والخير والصلاح، وهذه النفس في ذات الإنسان تتعامل مع الضمير الوجداني الذي فطر الله الإنسان عليه، مذكّرة إيّاه بمحكمة يوم الدينونة، أو ليس الذي خلق هذه النفس اللوامة في الإنسان هو الذي سينصب له محكمة يوم القيامة؟!

يقول تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1].

٣– النفس المطمئنّة: وهي التي تسير على صراط العبوديّة، وتسكن إلى ربّها وترضى بما رضي به، والآنّ النفس المطمئنّة غارقة في الأعمال الجليلة والوصل الروحي غير فرحة بما أتاها وغير آسفة على ما فاتها فهي لا تخشى سوء الخاتمة ولا تخاف الموت، تلك هي النفس المطمئنّة.

خرج بعض المؤمنين من بيته حزيناً لشدّة الجوع في سنة من سنّي القحط والناس يتضوّرون مثله والحزن قد أضرّ بهم فلقي في طريقه غلاماً يعبث ويلعب ويضحك سروراً فسأله: ما يسّرك يا غلام وغيرك في وضع مؤلم والناس جياع؟ قال الصبي: إنّ خزينة مولاي ملأى بالطحين فأنا لستُ حزيناً قال الرجل: فخجلت

(١) القيامة (٧٥): ١ – ٢.

من نفسي أنّ غلاماً مطمئنّاً إلى خزائن مولى من البشر وأنا لم أطمئنّ إلى مولاي الذي بيده خزائن السماوات والأرض وهي ملأى بنعم لا تحصى.

والنفس المطمئنّة تملؤها السكينة والإيمان وروح المحبّة والشوق للقاء الله سبحانه وتعالى. وهي التي يأتيها نداء الرحمن ساعة الاحتضار عندما يكشف الله عن بصيرة صاحبها فيرى موقعه من الجنّة ورفقائه المخلصين وهم فيها منعّمون.

والقرآن الكريم حين ينادي النفس المطمئنة قائلاً: ﴿**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ**﴾[1]، فهو يعني مقرّ الراحة عند الربّ ذي الجلال والإكرام ﴿ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي**﴾[2]، أي أدخلي إلى لقاء من تحبّين ومعه تؤنسين فكلّهم أنس وراحة وطمأنينة وغبطةٌ أبديّة، وكلّهم أقمار متلألئة قد أحاطها الباري بنوره.

الله سبحانه وتعالى يُهيّئ للمؤمن من يستقبله بما يليق به، ويجمعه مع من يرتاح إليه ولنضرب مثلاً على ذلك في زيارة رئيس أو ملك إلى إحدى المدن فيستقبلونه بالترحاب والاحترام.

إنّ الموت بالنسبة للمؤمن هو شميم الورد، وهو الماء القراح البارد، لأنّ ملك الموت يحمل إليه خطاباً مؤنساً من عند ربّه إذ يقول له: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً**﴾[3]، وتتراءى له رحاب الجنّة الخضراء، وحورها العين، وقصورها التي لا يدركها الوصف، مع أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الفجر (٨٩): ٢٨.

(٢) الفجر (٨٩): ٢٩.

(٣) الفجر (٨٩): ٢٧ – ٢٨.

إنّ الأرواح العالية لا يتصل بها إلا صاحب النفس المطمئنّة، وفي هذه الدنيا جمال الشمس ونور القمر، وفي الآخرة لا شمس ولا قمر إلّا نور الإيمان ومحمّد وآل محمّد، فعليك أن تأخذ من نور دنياك لآخرتك.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[1].

إذن كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى السكينة والطمأنينة وأن يتذوّق حلاوة المعرفة والإيمان وهو لم يعرف أيّ طريق يسلك في الإسلام الذي قد تعدّدت فيه السبل، ولم يعرف أيّ إمام يتّبع وعلى أيّ جهة يتعبّد؟!

إنّ الاطمئنان لا يتأتّى ولا يكون إلّا مع التقيّد بأوامر القرآن والسير على الصراط المستقيم في القرآن، بعيداً عن سيطرة الهوى أو التعصّب أو قانون العاطفة، لكي لا تتقاسمه وتتنازعه وتضلّه الأهواء المبهمة، والأقوال المصطنعة المزّيفة.

القرآن الكريم واضح كلّ الوضوح ومفهوم كلامه، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى فيه سبل الهداية والقدوة الصالحة من النبيّين والخيرة المختارة من الصالحين، فهل يجوز وهل يصح أو يعقل أن نتّبع غير الذين اختارهم الله ورسوله وأيّدهم في قرآنه الكريم؟! وكيف نطمئنّ على أنفسنا من سوء الخاتمة ومن عذاب يوم شديد إذا خالفنا القرآن واتبعنا الهوى؟

(١) الحديد (٥٧): ١٢ – ١٣.



ابحث عن الحقّ تجد أهله

ابحث عن الحقّ تجد أهله

لقد انبثق علينا الإسلام الحنيف من عمق الحياة بخطوط القدرة الخالقة من لدن حكيم عليم، وهو المدرسة الجامعة التي نتمسّك بها نجاةً وعلاجاً لكلّ جوانب الحياة ولكلّ حاجيات الإنسان الدنيوية والأخروية، الجسمية منها والروحية، الإسلام يرسم لنا بكلّ وضوح الأصول العقائدية الخمسة التي هي أساس مذهب أهل البيتعليهم السلام وهي: العدل والتوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد.

الإسلام لا يرى التقليد والتعبّد كافياً في ممارسة الأصول العقائدية التي ذكرناها، بل إنّه يوجب على كلّ فرد البحث عن صحّة هذه العقائد وبصورة مستقلّة بعيدة عن العاطفة والتقليد الأعمى، ذلك لأنّ الإسلام لا يحصر العبادة بالعبادة البدنيّة كالصلاة والصوم أو العبادة الماليّة كالخمس والزكاة لأنّ هناك ما هو أعظم من هذا وهي العبادة الفكريّة التي تحثّ الإنسان وتطلب إليه التأمّل والتفكّر في آلاء الله سبحانه وتعالى، كما تحثّنا على وجوب الاستنتاج الفكري بحثاً عن الحقيقة ووصولاً إليها، ذلك لأنّ الأصول كلّها محورها التعقّل كالعدل والتوحيد والمعاد وبالتبعية النبوّة والإمامة، إن كتاب الله يحثّنا على أن نفكّر مخلصين في آلاء الله سبحانه كي نعرف العدل والتوحيد و...

قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُواْ آلاء اللهِّ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

(١) الأعراف (٧): ٦٩.

لكن الراسخ في المجتمع وفي ترسبات الأجيال الحفاظ والدفاع عن العقائد المتوارثة، ذلك لأنّ العادة والتلقائيّة تؤثّر حتّى على ذوي الشهادات العالية وتجعلهم لا يسيرون إلّا على طريق الإتباع والتقليد المتوارث الأعمى، برغم أنّ القرآن الكريم نبّهنا وحذّرنا أن لا نقبل معتقدات ومفاهيم قديمة قبل عرضها على العقل وعلى قواعد القرآن الكريم، وقبل أن نتأمّل فيها بعمق وبفكر منفتح.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1].

يقول كتاب الله العظيم إن التقليد الأعمى يوجب الشقاء الأبدي وبشكل خاص لأهل العلم.

وقال: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[2].

إنّه من واجب الإنسان الواعي أن يجعل الفكر والتبصّر والتأمّل رائداً له في سلوك الطريق التي توصل إلى الحقّ سبحانه وتعالى، آخذاً بالعقائد الصحيحة، وتاركاً النزعات القبلية والعنصرية والقومية التي لا تولّد عنده إلّا القلق الدائم والخوف المستمر وعدم الاستقرار النفسي.

العلم والإيمان يكّمل أحدهما الآخر بحيث لا يمكن الفصل بينهما، ولو فصلنا لتسبّبنا في أضرار جسمية توقعنا بالخرافات والجمود الفكري والدوران في المكان حول النفس.

---

(١) البقرة (٢): ١٧٠.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٦٧.

يا إخوتي في مثل هذه الحال العقيمة المرّة التي نعيشها وسط مذاهب متعدّدة وطرق إسلاميّة شتّى لم لا نحاول البحث عن المذهب الحقيقي كي نتمسّك به؟

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»[1].

وعلى هذا فمن واجب المسلم أن يدرس وأن يتأمّل المذاهب المطروحة في الساحة الإسلاميّة ، وأن يعتمد على عقله وتفكيره، وعلى عوامل الاستدلال والاطمئنان المتوافرة لديه، وعند الاختلاف فإنّ الحقّ بيّن واضح لا يتعدّد ولا يأخذ مظهراً وصوراً واشكالاً شتّى، خلافاً لما يرى ويقول المصوّبة المغرضون.

يبدو أنّ هناك إشكالاً عميقاً يكمن في مناهج الدراسة في الجامعات والمعاهد الدينية، حيث تقتصر كلّ مؤسسة على تدريس اتجاه معيّن ونمط واحد من العقائد والفقه والعلوم الدينية، متجاهلةً سائر الاتجاهات والمذاهب الأخرى، وإنّ الأنكى والأخطر من ذلك هو تعبئة الطلاب فكرياً ونفسياً ضدّ كلّ ما يخالف مذهب تلك المؤسسة ومنهجها، فيتخرّج طلاب هذه العلوم بفكر منغلق وعقلية ضيّقة محدودة جاهلين الرأي الآخر ومنحازين بتعصّب أعمى ضدّ كلّ ما لا يوافق فكرهم.

إنّ احترام العالم يقاس بمدى احترامه للحقيقة، لأنّها ضالته أينما وجدت، وفي كتب الشيعة الإمامية اجتهادات قد لا يعرفها حتّى الخواص من علماء السنّة، ولو أنّهم اطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة الإمامية، ولاحترموا علماء

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٤٠٤.

المسلمين ومذاهبهم، ولقويت البواعث على تمهيد السبيل ووحدة الفكر والعقيدة بين الإخوة المؤمنين من حيث يريدون أو لا يريدون.

الحوار يولّد التقارب:

إنّ الله سبحانه وتعالى- وهو الخالق السيّد العظيم -لا يأنف أن يدخل مع عباده الضعفاء في حوار، وأن يجيب على تساؤلاتهم، وأن يشاركهم ويهديهم إلى حلّ إشكالاتهم، فهل يحقّ لأحد بعد ذلك أن يترفّع عن النقاش والحوار مع إخوانه في العقيدة؟

عندما يقول الكفّار والمشركون ويتقوّلون في نبوّة الرسولﷺ ويتهمونه بالكهانة والجنون مدعين أنّ القرآن لون من ألوان الشعر الذي نسجه محمّد، ثمّ نسبه إلى الله يردّ عليهم القرآن الكريم مستعرضاً ومناقشاً، ويدخل معهم في حواراً مثيراً للوجدان الفطري لتكون محكمة الإنسان الوجدانية الداخلية هي الحكم، وليبرز الضمير ليميّز بين الصحيح والكذب حيث يقول سبحانه: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ * أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾[2].

الله سبحانه وتعالى جعل الاختلاف سبباً إلى التمحيص والاختبار لمن

---

(١) الطور (٥٢): ٣٣ – ٣٥.

(٢) هود (١١): ١١٨ – ١١٩.

يريد أن يتمسّك بالحقيقة، وإنّ الصورة المثالية التي تتمنّاها لوحدة المسلمين يستحيل تحقيقها إلّا بوجود قيادة معصومة تخضع لها الأُمّة وتنفّذ أوامرها، لإنّها تمثّل قيادة الرسول الأعظمﷺ وما جاء به، ولكن أين هي هذه القيادة، إن القرآن الكريم لم يترك أمراً أو قضية تتعلّق بحياة الأُمّة إلّا ورسمها وأوضحها لنا، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى القيادة المعصومة التي هي عدل القرآن، تلك التي خصّها ربّها بفضائل عديدة لم يخصّ بها غيرهم من العباد.

وسنبيّن للأخ القارئ عصمة هذه القيادة مفصّلاً في المواضيع التالية إن شاء الله تعالى.

لماذا نكره كلمة شيعة؟

كان لزاماً على كلّ مطالع وكلّ عارف للحقيقة أن يكتب للناس ما يراه صالحاً لهدايتهم، وتبياناً لغفلتهم، وأن يحاول جمع كلماتهم على طريق الوحدة وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

من واجب العالم الفقيه أن يكتب للناس، وأن يوضّح لهم الحقائق، وبالتالي أن يأخذ بيدهم في طريق الهداية، وإنّنا لو رجعنا إلى تاريخ الأُمّة الإسلاميّة، وبحثنا عن الحقائق التي ولّدت عند الأجيال تلو الأجيال عاطفة الكره للشيعة، لوجدنا ما يخجل الجاهل قبل العالم، ذلك لأنّ هذا الكره تولّد عن عادةٍ متبعة وليس عن استنادٍ إلى الدين أو عن خوفٍ على الدين.

إنّ كلمة شيعة ومشايعة تعني المتابعة كما يقال: شيّعوا جنازة فلان ؛ أي تبعوها إلى المدفن، وهناك قول مأثور.

(إنّه من الأدب أن يشيّع المرء ضيفه إلى خارج البيت ولو لخطوات) فلأي سبب تتعامى البصائر عمّا جاء في كتاب الله حول هذه الكلمة.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[1] **﴿ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾**[2].

(١) الصافات (١٧): ٨٣.

(٢)القصص (٢٨): ١٥.

نحن نطرح للقارئ الكريم والمؤمن المنصف وللمسلم الباحث هذه المقارنة البسيطة ليحكم على ضوء الحقيقة التي شوّهها المغرضون أو المتعصّبون أو الجاهلون، ولنكن جميعاً على بصيرة أنّ هذه التسمية لا تغيّر شيئاً من حقيقة الإسلام، لأنّ الأصل هو العمل والتطبيق.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[١].

أخي الكريم، أطرح عليك هنا أموراً آمل أن تأخذ بيدك إلى التفكير وإعمال العقل عسى أن تكون الهداية هي الأمل والهدف.

إنّ سنّة الرسول صلى الله عليه وآله هي قوله وفعله وتقريره، فمن أخذ بقول الرسول صلى الله عليه وآله الصحيح وعمل به فهو سنّي صحيح على سنّة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ومن تقوّل بها من غير تطبيق وجعلها وقاية وذريعةً لأعماله البعيدة عن الإسلام والسنّة فإنّما هو الكاذب، والله سبحانه يقول في كتابه العزيز: ﴿ لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٢].

إنّ مسلمي الشيعة في جميع أركان الأرض وأقطار الدنيا وأمصارها هم الفئة التي لا تترك الصلاة ولا تفرط بالصيام ولا تسكت عن زكاة أو خمس، سواءً في ذلك الصغار والكبار والنساء والرجال، لقد تربّت وتأدبت هذه الطائفة تحت منبر الحسين بن علي عليه السلام وعلى يد علماء عالمين بحقيقة الدين، وهي الطائفة التي تطبّق سنّة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله قولاً وعملاً، فلو جئت إلى أحد المزارات لأحد الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ونظرت إلى المؤمنين فيها فلن تجدهم إلّا قارئين للقرآن ومقيمين للصلاة بين يدي الله وداعين متضرّعين.

---

(١) التوبة (٩): ١٠٥.

(٢) آل عمران (٣): ٦١.

إنّ التظاهر والتصنّع والمظاهر الخادعة البرّاقة وادعاء الإسلام كذباً أمور غير معروفة وغير موجودة عند رجال الشيعة ونسائهم، لأنّهم مرتبطون بعلمائهم، يستقون منهم تعاليم الدين، متمسّكين بأوامر الله ورسوله، أما شبابهم المتمسّك بدينه فتشهد لهم الدنيا بأسرها بصدقهم وإيمانهم وسيرهم على خط أهل البيت عليهم السلام الرسالي في الدفاع عن بيضة الإسلام والتفاني في سبيل الله، أولئك هم رجال وشباب ونسوة الشيعة، فلم بالله تصمونهم بالانحراف والبعد عن الإسلام، وإنّ الحقيقة لا تخفى على كلّ ذي بصيرةٍ وضمير.

إنّك لو بحثت في جميع معتقداتهم لما وجدت أبداً اختلافاً يعتدُّ به فيما بينهم، لا في العقيدة ولا في الحديث، وذلك رغم كثرة سوادهم في أنحاء الكرة الأرضية ناهيك عن أنّهم يتميّزون عن غيرهم بموالاتهم لأهل البيت عليهم السلام والأخذ عنهم في جميع النصوص الشرعيّة من الكتاب والسنّة، ولا يوجد بينهم من يخالف أخاه المؤمن بغير حقّ لا بقول ولا بعمل، وذلك لأنّهم أخذوا الحقّ عن أئمّتهم الاثني عشر ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله والذين إذا قال أحدهم حديثاً يؤكّده بالقول: حدّثني أبي عن جدي، وحدُيث جدي عن رسول الله، وحديث رسول الله عن جبريل، ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

ثمّ سلك الشيعة طريقهم آخذين فتاواهم من المراجع العظام الذين هم وكلاء الأئمّة عليهم السلام محافظين على هذا الدين إلى يومنا هذا.

وإنّ تقليدهم لمرجعٍ واحد من أقصى الدنيا إلى أقصاها هو دليل الوحدة المتماسكة فيما بينهم، وعدم وجود اختلاف في عقيدتهم وفي المحافظة على

(١) النجم (٥٣): ٣ – ٤.

القرآن والسنّة.

وقد تمسّكوا بهذا الولاء وآمنوا بالقرآن والسنّة والرسول صلى الله عليه وآله، وهم باقون على هذا الخط الرسالي مهما كثر أعداؤهم وحاربتهم الإشاعات والدعاية المغرضة والنبذ بالألقاب. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[1].

(١) المؤمنون (٢٣): ١٠٩ – ١١١.

نبذ الفرقة والخلاف

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[3].

نحن اليوم في عصر العلم، عصر غلبة الذكاء والفطنة، نحن اليوم في زمنٍ تقشّعت عن أبصار أهله غياهب القسوة، وأشرقت شموس الفضل من وجوه أهل الفضل لإزالة الجفوة والفجوة، ولم يبق إلّا أن نشرع أقلامنا لنزيل الفرقة، ولنجمع الكلمة، ولنوالف ما بين الأفئدة، ولنرفع منارة الوحدة، ولنبيّن الخطر القاتل الذي يزرعه فيما بيننا أهل التنابذ والتخاصم والتعصّب والفرقة، يجب أن ننفض غبار التخلّف المتراكم، وغبار الانحطاط، لأنّ ديننا الكريم لا يقوم إلّا على دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

---

(١) الحجرات (٤٩): ١٠.

(٢) التوبة (٩): ٧١.

(٣)آل عمران (٣): ١٠٣.

يقول الرسول الكريمصلى الله عليه وآله «ذمّة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً»[١].

وقال الإمام الصادقعليه السلام: «المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه»[٢].

إن أمر المسلمين ليس كما يزعمه إخوان العصبية، وأبناء وحلفاء الحميّة الجاهلية، الذين يمزّقون العقيدة الصحيحة، ويضرمون نار الفتنة بين المسلمين، أحفاد آكلة الأكباد ويزيد بن معاوية شارب الخمر، منذ أن كان صبيّاً وحتّى موته.

نحن اليوم في عصر النور، عصر التأمّل في حقائق الأمور، عصر الإعراض عن كلّ تعصّب ذميم، فلنأخذ بكتاب الله العظيم، وبسنّة نبيّه الكريم، وكيف بالله يمكن أن نكون إخواناً بالدين، أشداء على الأعداء، متعاونين متماسكين، إذا كان فينا من يرمي إخوانه الشيعة بالكفر والبعد عن الدين، ومن يفتي بأن لا تزوّجوهم! ولا تعاملوهم! لأنّهم مارقون!! ليتنا نعرف على أيّ قاعدة فقهيّة أو منطقيّة استند هذا العالم والآن نورد بعض المصادر من الصحاح لتنزيل الشكّ ولنتمسّك باليقين.

١) أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أسامه بن زيد قال:

بعثنا رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلمّا غشيناه قال: لا إله إلّا الله، فكفّ

---

(١) صحيح البخاري ٨: ١٤٤.

(٢) الكافي ٢: ١٦٦.

الأنصاريّ فطعنته برمحي حتّى قتلته ؛ فلمّا قدمنا بلغ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلّا الله»؟ قلت: كان متعوّذاً، فما زال يكرّرها حتّى تمنّيت أنّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[١].

وفي الصحيحين، عن المقداد بن عمرو أنّه قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفّار فاقتتلنا فضرب إحدى يديّ بالسيف فقطعها، ثمّ لاذ منّي بشجرة فقال: لله، أسلمت أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقتله» فقال: يا رسول الله، إنّه قطع إحدى يديّ، ثمّ قال ذلك بعدما قطعها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقتله فإن قتلته فإنّه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»[٢].

وأخرج البخاري عن أنس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أُمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله، فإذا قالوها وصلّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، حَرُمَت علينا دماؤهم وأموالهم»[٣].

فياليت شعري أيّ عذرٍ لمن اعتمد على غير الحقّ ورجع إلى غير أحكام الدين وخالفها ونبذها خلفَ ظهره، بلى إنّهم مرجفون والأمر على خلاف ما يظنّون.

أوردنا كلّ هذا ليعلم حكمها الفريقان، السنّة والشيعة، وغرضنا من ذلك

---

(١) صحيح البخاري ٥: ٨٨.

(٢) المصدر السابق ٥: ١٩.

(٣) المصدر السابق ١: ١٠٢.

بعث المسلمين إلى الاجتماع والى نبذ الخلاف والفرقة، لأنّ العاقل إذا قرأ أو سمع نصوص الصحاح وفتاوى العلماء وهي تحكم بإسلام من نطق بالشهادتين، فلن يحقّ له بعد هذا أن يدعو إلى الخلاف والفرقة، ولو رجعوا إلى ما أفتى به الفقهاء المنصفون من علمائهم، لأيقنوا أنّ الأمر على خلاف ما يزعمون.

رواية علماء السنّة: روى الشيخ الأكبر (محي الدين بن عربي) في باب الوصايا من فتوحاته المكيّة: إيّاك ومعاداة أهل لا إله إلّا الله، فإنّ لها من الله الولاية العامّة، فهم أولياء الله وإن أخطئوا بقراب الأرض خطايا، لا يشركون بالله لقيهم الله بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته و...».

فإذا عمد بعض علماء السنّة إلى تكفير الشيعة لا تباعهم منهج وخطّ أهل البيت عليهم السلام، فلماذا يحكمون بإيمان يزيد بن معاوية الذي تعجز الكتب عن أن تحوي سيرته من القبائح في شبابه وما هو أعظم منها بعد أن تسلّم من أبيه معاوية دفّة الحكم؟! والذي سمّوه خليفة المسلمين راضين عنه وعن كلابه وقردته وخموره وقصوره ومجونه، أمّا المحابر فقد تجفّ قبل أن تستطيع إحصاء عظيم أمره في اللعب مع الغواني وخبثه في كلّ المعاني.

إنّ فترة حكمه التي امتدت ثلاث سنين هي أشد السنين على المسلمين، وأكثرها ظلماً وجوراً، فهو قاتل سبط الرسول الكريم الحسين بن علي بن فاطمة الزهراء عليهم السلام وهو الذي استباح المدينة المنوّرة، وهتك الأعراض بقيادة النصراني مسرف بن عقبة الذي سمّوه مسلماً، وحملت ألف عذراء مسلمة بالزنا، لأنّه أباح أعراض المسلمين، ثمّ أمر بضرب الكعبة الشريفة وتهديمها بالمنجنيق، هذا الخليفة الذي لا يؤتمن على نقير ولا يولّى أمر قطمير، رفعوه

إلى أوج الخلافة، وملّكوه رقاب المسلمين، وسلّطوه على أحكام الدنيا والدين، تنفيذاً لأمر أبيه معاوية بن أبي سفيان، قبل وفاته لكنّ بعض المحدّثين والمدّعين صنفوه وليّاً من الأولياء، وقدّموا له أعذار تبرّر أفعاله المجرمة، وأعماله المشينة، ومن هؤلاء ابن تيمية في رسالته السابعة، والغزالي في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان.

ناسين أو متناسين ما نسبوه إلى الرسول الكريمﷺ أنّه قال: «ما من والٍ يلي رعيّة من المسلمين، فيموت وهو غاشٌّ لهم، إلّا حرّم الله عليه الجنّة»[1].

أيّها القارئ الكريم، من خلال ما بيّناه ترى أنت وتحكم بنفسك كيف هم يحكمون على من التزم بكتاب الله وخطّ أهل البيتعليهم السلام بالكفر، ويحكمون على يزيد الفاسق بالإيمان وأنّه خليفة للمسلمين، وأنّ اتباعهم حقّ، إنّنا نسأل جميع المنصفين ذوي الإيمان والضمير من أهل التوحيد هذا السؤال:

هل يليق أن نتهم الشيعة بأنّهم كفرة خارجون عن الإسلام؟!

إنّنا لا نعرف بأيّ ذنب، هل هو بحجّة العلم والدين والإيمان والتشيّع والتعبّد والعلم والمعارف والمدارس التي عمّروها، أم بالأوطان والمضاجع التي هجروها رغبةً في العلم وفي الدعوة إلى الله، أم لأنّهم قصروا أعمارهم على التعبّد وعلى الفكر الذي يخدم العلم، أم بالأموال التي بذلوها في سبيل ذلك، أم بالقواعد والأُسس التي أحكموا أصولها وأبرموها، أم بالأحكام التي أقاموا عليها الدليل، أم بالغاية التي أوضحوا إليها السبيل أم أنّه من أجل المسح على القدمين والجمع بين الظهرين والعشاءين، بينما كلّ الأدلّة عندهم معترف

---

(١) صحيح البخاري ٨: ١٠٧.

بها وغير مشكوك فيها.

إنّهم يكفّرون المؤمنين بتزوير الأقاويل عليهم، ويدّعون إنّنا لا نبّرئ عائشة من الإفك –والعياذ بالله – كما نقول ممّا لا يليق بشأنها، ونورد هنا ما جاء عن الإمامية بتطهير أعراض الأنبياء جميعاً من الدنس والفجور، وأنّ قواعد الشيعة تمنع ذلك عقلاً ويقولون: إنّهم أطهر ثوباً وأغلى عرضاً وأعزّ خدراً من أن يجوّز عليهنّ غير النزاهة، وفي حقّهنّ إلّا العفاف.

نعم، قالوا وقالت جميع السير من المسلمين: إنّ عائشة خرجت من بيتها بعد قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1]، وركبت الجمل بعد تحذير الرسولﷺ لهنّ، كذلك قالت الشيعة وقال جميع المسلمين إنّ القرآن الكريم عاتب نساء النبيّﷺ بمخالفة بعضهنّ له، هذا ما يقولون ويتقوّلون، فلمَ إذاً علينا كلّ هذا البهتان العظيم.

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.



نظرية عدالة الصحابة

نظرية عدالة الصحابة

من المسلّم به أنّ كلّ قضيّة لا يرعاها ويتعهّدها أهلها الحقيقيون المؤمنون بأنّها قضيّة عدل وحقّ فليس لها نصيب في النجاح، وستكون نهايتها هي التراجع والفشل والاضمحلال، وأنّ ما حدث للإسلام والمسلمين بعد وفاة الرسولﷺ هي بذرةٌ مرّة يتذوّق اليوم المسلمون ثمارها المرّة.

ذلك لأنّ الذين زرعوها دخلوا في الإسلام متأخّرين، ولم يتعمّق الإيمان في قلوبهم، وأنّهم ادعوا الإسلام لا إيماناً بالله والرسولﷺ، ولكن خوفاً على مصالحهم، كما وإنّ ترسّبات الأجيال السابقة من التعنّت والتمسّك بالجهل وعبادة الأصنام جعلت النجاح صعباً حتّى على الأنبياء، حتّى بعث الله تعالى الرسول المصطفىﷺ فقال: «ما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت»[1].

ووصمه ضعيفوا الإيمان والمشركون بالكذّاب والساحر والمجنون والشاعر، وكانَ له حتّى من قرابته القريبة أعداء ألدّاء، لكن عناية الله سبحانه أحاطت به وحمته من كيدهم، لكي تستمرّ هذه الرسالة عبر القرون والأجيال، ولكي تكون الميزان الذي يُعرف به المسلم من الكافر، والمؤمن من الدعيّ المنافق حتّى قيام الساعة.

بقي رسولنا العظيمﷺ ثلاثة وعشرين عاماً جاهداً في نشر الدعوة

---

(١) وفيات الأعيان ٥: ١٨٦.

والآيات تنزل عليه من السماء ليبلّغها للناس ويعلّمهم التشريع والأحكام، وكانت المعجزات تظهر بين الحين والآخر على يديه الكريمتين، ومع كلّ هذا فلم يؤمن إلّا القليل ممّن تمسّكوا بالقرآن ونهج الرسولﷺ وهؤلاء هم الذين شكّل منهم نواة جيشه الأوّل القليل العدد والعدّة، والقويّ بالإيمان والعقيدة، والذي انطلق من المدينة المنوّرة ليهزّ بقوّة الإيمان عروش كسرى والروم وجميع الطغاة والظالمين، عندها بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ولكن لم يدخل جميعهم بدافع الإيمان، بل دخل قوم بدافع الخوف على مصالحهم، والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية، وكانوا يبايعون الرسول الكريمﷺ وقلوبهم تقطر حقداً وكراهية وبغضاء.

لكنّ الله سبحانه وتعالى كشف أمرهم لرسولهﷺ وللناس من خلال مواقفهم المتخاذلة الضعيفة المتردّدة التي لا تشبه سلوكيّة المؤمن الحقّ بأيّ شكل من الأشكال، وأنزل الله سبحانه بحقّهم آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾[١]، ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ**﴾[٢].

لقد همّ أدعياء الإيمان هؤلاء لقتل الرسولﷺ مرّات ومرّات، ومن قرأ السير سيجد سيرة أولئك المنافقين الذين يسمّيهم بعض المؤرّخين: أصحاب عدول: وكيف يكونون عدولاً وفيهم المنافق والمرائي وعدّو الرسول وضعيف الإيمان، وإذا كان القرآن الكريم قد وصفهم بما يستحقّون فكيف يمكن وكيف نستطيع أن نخالف القرآن الكريم وأن نقول في كتاب الله ما

(١) التوبة (٩): ١٠١.

(٢) التوبة (٩): ٧٤.

ليس فيه وأن نصف مثل هؤلاء بأنّهم عدول وبأنّهم كلّهم من أهل الجنّة.

لقد كشف الله أمرهم في غزوة أحد عندما هاجم جيش المشركين جيش رسول الله في المدينة وبهدف القضاء على الدعوة وأهلها، وشاور الرسول أصحابه حول الموقع الذي يجب أن يلتقوا به مع العدو أيكون حول المدينة وقريباً منهم أم خارجها وبعيداً عنها وبعد التداول وتبادل الرأي والمشورة أجمعوا على الخروج خارج المدينة فلمّا كان الرسول الكريم مع جيشه في منتصف الطريق تراجع أولئك المنافقون عن رأيهم الذي قرّروه وقبلوا به قبل قليل وقالوا: ارجع بنا يا رسول الله، فأجابهمﷺ لا ينبغي لرسول إذا لبس لامته ودرعه وتقلّد سلاحه أن يرجع حتّى يلقى عدوّه فيحكم الله بينهما والله خير الحاكمين.

عندها غضب أولئك (الصحابة المؤمنون العدول) ورجع منهم ثلاثمائة شخص أي حوالي ثلث جيش النبيّ الكريم، فقفلوا عائدين متخاذلين عن نصرة الله والرسول في ظرف صعب مثل هذا، وطلب بعض أصحاب الرسولﷺ منه أن يسمح لهم بقتل هؤلاء المتخاذلين، فمنعهم عن ذلك حتّى لا يقال: إنّ رسول الله يقتل أصحابه، وإنّنا لا نستعين بمنافق على كافر.

قال تعالى: ﴿**إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهَ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾[1].

ممّا تقدّم نرى ونشهد أنّ إيمان الكثير من الصحابة ما كان إلّا وقاية

---

(١) المنافقون (٦٣): ١ -٢.

وذريعة وهم الـذين أغـضبوا ربّ الـسّماء فـأنزل بحقّهـم آيـات كثيـرة، لكـنّ أصحاب المصالح المرتبطة مع مصالح أولئك المنافقين، أصحاب المصالح من السلاطين والحكّام يدوّنون لهم المناقب الكثيـرة والفـضائل الجمّـة ويـروون عـنهم أحاديـث غيـر صـحيحة تقـول: «أصـحابي كـالنجوم بـأيّهم اهتـديتم اقتديتم»[1].

قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنّه زنديق وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حـقّ، ومـا جـاء بـه حـقّ، وإنّما أدّى ذلك كله الصحابة، وهـؤلاء يريـدون أن يجرحـوا شـهودنا ليبطلـوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى»[2].

بينما يقول الله فيهم سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[3].

وهم ضيعوا الإيمان الذين إذا سمعوا أيّ نبـأ دنيـوي عـن تجـارة أو غيـر ذلك يسارعون إلى الخروج من المسجد والرسول الكريم قائمٌ.

نجد في معظم الكتب حول مفهوم الصحابة أنّه هو كلّ مـن شـاهد وجـه رسول الله، أو حضر معـه أو جالـسه أو أعلـن الإيمـان فـي حياتـه، فمثـل هـذا صحابي ولا يجوز الطعن به، إنّهم يتناسون ويتغافلون ويسوون بـين المتخـاذل والمجاهد، والعالم والجاهل، وبين المسلم الذي أعلن إسلامه خوفـاً والمـسلم

(١) جامع بيان المسلم وفضله ٢: ٧٨ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١: ١٤٤/ ٥٨ وفيه: «أصحابي كالنجوم... موضوع».

(٢)الإصابة ١: ١٦٣.

(٣) الجمعة (٦٢): ١١.

الذي يملكه الإيمان، وكيف يستوي السابق واللاحق،والمطيع والعاصي، ومن قاتل مع الرسول في جميع المعارك وأبلى البلاء الحسن مع من قاتل ضد الرسول في جميع المعارك؟! أو ليس من منافاة الحقّ والمنطق أن نقارن وأن نساوي بين الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام وبين أبناء أبي سفيان! وكيف يمكن أن نصدّق من يقول: أنّ سيدنا علياً تقاتل مع سيدنا معاوية وكلّهم إلى الجنّة أولئك أناسٌ عجلت بهم سيوفهم إلى الجنّة.

إنّ أصحاب هذا المنطق المغلوط الذي لا يرضي الحقّ، ولا يرضي الله إنّما جاؤوا به لغرض في أنفسهم، وهذا الغرض عندهم هو أعزّ وأسمى من أن يرضى ا لله عنهم، إنّ علياً هو الفدائي الأوّل في الإسلام، وحامل لواء الرسول في جميع المعارك، عليٌ هو من شهدت له الأرض والسماء في بدر وحنين والخندق، مواقف رهيبة عرف فيها الشجاع من الجبان والقوي من الضعيف والصادق من الكاذب.

عليٌ هو الذي قال فيه الرسول الكريم عندما نزل ليبارز فارس الكفر ورجلهم الأوّل عمرو بن ود العامري يوم الخندق، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «برز الإيمان كله للشركِ كله»[١].

وهو الذي قتل عمرو بن ود ونصر المؤمنين ودفع بالمشركين إلى الهزيمة والخذلان ونزلت الآية الكريمة التي تقول: ﴿**وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾[٢].

---

(١) ينابيع المودّة ١: ٢٨١.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٢٥، مناقب آل أبي طالب بن شهرآشوب ٢: ٣٢٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٨٤.

عليٌّ الذي يمثل الإيمان كله وأخلاق القرآن الكريم كيف يمكن أن نساوي بينه وبين معاوية الذي ما آمن بالله ورسوله لا هو ولا أبوه إلّا متأخراً جدّاً وبعد فتح مكّة في أواخر أيام الرسول الكريم، لقد دخل مثل هؤلاء في الإسلام مرغمين حين جمع الرسول رجال مكّة كلّهم وقال ما تظنون إنّي فاعل بكم، قالوا أخٌ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1]، هؤلاء الطلقاء لم يؤمنوا وإنّما تظاهروا بالإسلام، حينما جهّز الرسول الكريم جيش أسامة بن زيد وأعطاه اللواء لم يبق من حياته الكريمة إلّا ثمانية أيام تخاذل هؤلاء (الصحابيون) عن الجهاد بحجّة إنّ أسامة بن زيد شابٌ صغير، وبحجّة أنّ الرسول الكريم أبقى علياً معه لكي يشرف على تمريضه ويرعاه في أيامه الأخيرة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «جهّزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه»[2].

كيف يمكن أن نسوّي بين كافّة الصحابة بدرجة واحدة وكثيرون منهم ارتدّوا عن الدين فور وفاة الرسول أو ليس ذلك دليلاً قاطع على ضعف إيمانهم؟ وفساد طويتهم؟ ولقد بالغ بعض المؤرِّخين واختلقوا من الأكاذيب ما لا يمكن تصديقه عقلياً فكتبوا الصحائف الطوال في ذكر المناقب الحميدة والفضائل العديدة التي على زعمهم كان يتمتّع بها يزيد بن معاوية، وهو كما نعلم قضى حياته غارقاً في الخمر بين قيان القصور وبين القردة والطيور.

تاريخ لا يتميّز بين الغثّ والسمين إذ يكتب عن معاوية على لسان المؤرِّخ ابن الجوزي بعد أن أورد فضائل معاوية ومزاياه في باب الموضوعات

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٩: ١١٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٣.

قال: عن إسحاق بن راهويه شيخ البخاري أنّه قال: «لم يصح في فضائل معاوية شيءٌ أبداً»[١].

وجاء في آثار محمّد عبده شيخ وإمام الديار المصرية أنّ معاوية قد اصطنع لنفسه الكثير من الأحاديث على لسان أُناس من الصحابة والتابعين جاعلاً لنفسه الفضائل وملصقاً بالإمام علي كلّ القبائح، كما قضى معاوية وشجعّ على الطعن في الإمام والبراءة منه يتطرق، محمّد عبده إلى ذكر (الصحابي) أبو هريرة الذي لم يلحق من الإسلام مع الرسولﷺ إلّا سنة ونصف السنة[٢].

يقول الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة: «وقال الحاكم: سمعت أبا العباس محمّد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: لا يصحّ في فضل معاوية حديث»[٣].

ويروي الطبري أن الحسن البصري كان يقول ويكرّر القول: «أربع خصال كنَّ في معاوية ولو لم يكن فيه منهن إلّا واحدة لكانت موبقة»[٤]:

١) انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء حتّى ابتزها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة.

٢) استخلافه ابنه بعده على رقاب المسلمين وهو سكير خمير يلبس

---

(١) تحفة الأحوذي ١٠: ٢٣١.

(٢) راجع شيخ المضيرة أبو هريرة: ٢٠١ و ٢٠٣.

(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: ٤٣٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٢٠٨.

الحرير ويضرب بالطنابير.

٣) وادعاؤه زياداً. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

٤) قتله حجر بن عدي وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه ويل له من حجر وأصحابه.

ونذكر قول الرسول الكريم لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية يا عمار»[١] ومن هو قائد هذه الفئة الباغية أقرأ السيرة والتاريخ ليتضح لك.

عودةٌ إلى الحديث الذي يروونه: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٢].

فإنّنا حتّى لو سلّمنا أن هذا الحديث صحيح فهل يهتدي الإنسان بجميع النجوم في السماء ام أنّ هناك نجوم خاصّة يُهتدى بها كالثريا وسهيل وقطب الجدي... الخ مما يصلح لأن يكون علامات لاهتداء أهل السيرّ والبحر ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٣].

فكيف يمكن لحديث رسول الله أن يخالف كتاب الله؟! وكيف يمكن أن يُخطئ كتاب الله؟! حاشاه وأن يقول إن الإنسان ليهتدي بجميع النجوم.

يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «النجم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب

(١) صحيح مسلم ٨: ١٨٦ وسنن الترمذي ٥: ٣٣٣ وفضائل الصحابة للنسائي: ٥١.

(٢) تحفة الأحوذي ١٠: ١٥٥.

(٣) النحل (١٦): ١٦.

إبليس»[١].

ويقول ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل أمّتي»[٢].

ويقول الرسول ﷺ أيضاً: «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٣].

من خلال هذه النبذة القصيرة وفي التأمّل والتمعّن فيما تقدّم يتضح لنا بالمنطق التطبيقي الذي يتفق مع العقل أنّ الكثير من الأحاديث وضعت لكي ترفع مكانة شخصيات خسيسة منحطّة ولكي تطمس معالم شخصيّات أخرى خصّها الله بالفضل والهدى والعلم والحلم والفصاحة والتقى فكانوا للعباد مناراً وهدى، لكن الحكّام المتسلّطين من بني أُمية وبني العباس جاؤوا بما لا يرضي الله وافتعلوا الأكاذيب والأباطيل ونحن لا نريد من الأخ القارئ إلّا أن لا يُخدع بباطلهم وأن لا يبقى معصوب العينين ضيّق النظر منقاداً لمنطق العاطفة بل نريد له أن يكون حرّ الإرادة في مطالعاته وفهمه وأن يحكم بالإنصاف على ما يقرأ وأن لا يسكت على الظلم والتحريف والمنكر لأنّ الساكت عن الحقّ شيطان أخرس ولأننا جميعاً سوف نقف بين يدي الديان العظيم يوم الدينونة.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾[٤].

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٩.

(٢) نظم درر السمطين: ٢٣٤ والجامع الصغير ٢: ٦٨٠، ح٩٣١٣، وكنز العمّال ١٢: ٩٦، ح٣٤١٥٥.

(٣) ينابيع المودّة ١: ٧١، ح١.

(٤) البقرة (٢): ١٥٩.

حادثة الغار مع الهجرة

الوحدة الإسلاميّة أمنية كبرى للمسلمين جميعاً يسعون جاهدين لتحقيقها إيماناً منهم أنّ في التماسك قوّة وعزّة ومنعة، لكن الطريق صعب وعسير وليس بالأمر السهل اليسير ما دامت العقول مربوطة إلى بيئة معينة وإلى دراسات خاصّة ومطالعات محدودة ضيّقة وبعيدة عن فهم جوهر الإسلام وسنبقى كذلك ما دام عند الكثير منّا خوفٌ من قول الحق، خوفٌ من إظهار ما في النفوس، وتستّر على كلمة الحقّ فلا يطلع واحدٌ منا على ما عند الآخر، ويبقى كلٌّ منّا مجهولاً عند أخيه غامضاً في عقيدته ورأيه، وقد يحمله محامل سيّئة لا يكون قاصداً إياها، لذلك نحن نريد أن يكون للحقّ حوار، وللحقيقة تبيان وإظهار بغير إفراط وتفريط.

مثلاً فُسِّرت بعض الآيات الكريمة في ظرف معيّن من الزمان تفسيراً لم يكن لصاحب التفسير فيه أيّة حرّيّة في إعطاء رأيه أو أنّه كان مجبراً على قول ما لا يؤمن به أو أنّ معرفته وقدرته على التفسير محدودة فلماذا ونحن الآن في عصر الانفتاح على نور العقل نتمسّك بكلّ ما جاء به الماضي صحيحاً كان أم غير صحيح؟!

إنّ القرآن الكريم يزخر بآيات كثيرة بيَّنها الباري ﷻ وخصّ بها أهل البيت عليهم السلام، ويشهد بذلك جميع المفسِّرين، وهي واضحةٌ حتّى بجزئياتها الدقيقة فلماذا يعمد بعض الناس إلى تفسير مغلوط، وينسبون معانيها إلى غير

أهلها، إننا من هذا المنطلق نعلّق باختصار على هذه الآية الكريمة: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[1].

أراد بعض المفسّرين لهذه الآية الكريمة أن ينسبوا لأبي بكر منقبة كبيرة وفضلاً كثيراً محتجّين بصحبته للنبي قائلين أو ليس هو صاحب الرّسول في الغار؟ ونحن نقول لهم بلى لقد صحب الرسول في الغار لكن هذه التسمية تعبّر عن كلّ رفقة ومصاحبة حتّى أنّها وردت في أمكنة كثيرة من القرآن الكريم بحقّ غير الصالحين مثلاً يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[3]. ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[4]. ويقول سبحانه: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

إنّ لفظة صحب – صاحب – صحبة – لا تعني المساواة في الفضل وإنّما تعني أي صحبة عادية أخرى ولو كانت صحبة الطريق كله فإن الآية الكريمة ليس لها أية علاقة في ماهية الشخصية الإسلاميّة وإعطائها ما تستحق من ثناء بل إنّها كانت في صدد الإرادة الإلهية التي تصدرها السماء مخترقةً جميع النواميس والقوانين لتنزل على قلب المصطفى الأمين ﷺ ذلك القلب الذي جعله الله منهلاً للمعرفة وصلةً للوصل بين العبد وربّه ليبيّن وليوضّح قيمة العقل.

(١) التوبة (٩): ٤٠.

(٢) الكهف (١٨): ٣٧.

(٣) لقمان (٣١): ١٥.

(٤) النساء (٤): ٣٦.

قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[١].

هذه الآية الكريمة تذكر حماية الله لنبيه ولرسالته فقط لا لغيرهما وتعطي الدليل على أنّ خروج النبيّ صلى الله عليه وآله كان خروجاً اضطرارياً لابدّ منه وأنّ الذي دفعه إلى ذلك هو عزم المشركين وتصميمهم على قتله.

فتبدأ الآية بذكر الخروج وحيداً ثمّ تذكر أنّ النصر له وحده خاصّة حسب سياق الآية (نصره الله إذ أخرجه) تتكلّم بإفرادية الرسول والتوجيه له وحده ثمّ تبدأ الآية بعملية الصحبة فتبين، الحالة التي نطقت بها السماء عمّا حدث في بطن الغار.

تقول بعض الروايات أنّ أبا بكر لحقّ بالرسول بعد خروجه ولم يكن يعلم به حتّى منتصف الطريق المؤديّة إلى الغار، فالآية لم تقل: (ثاني اثنين) لتبيّن أهمية الصحبة، بل أرادت أن تبيّن حالةً قد طرأت في بطن الغار إمّا خوفاً على الرسول وإمّا خوفاً من الأعداء، فأمّا الخوف على الرسول صلى الله عليه وآله فإنّ الله سبحانه قد بعث العنكبوت لتنسج غطاءً من خيوطها العنكبوتية على باب الغار، وبعث الحمامة أيضاً فعشعشت وباضت ليبتعد الأعداء عن إيجاد الرسول، وبالرغم من هذا كلّه فإنّ الحزن أو الخوف يعتري أبا بكر وينهاه الرسول عما اعتراه من الحزن والخوف، وأنّ الله لا ينهى عن شيء شرّعه أو أمر به، وأنّ الخوف حالةٌ فطرية تعتري جميع المخلوقات عندما تفاجئها بعض المفاجآت، ولكن النهي هنا كان موجّهاً من الله، وبينما أنَّ الحزن بكاء والله يقول بحق يعقوب عليه السلام: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾[٢]، لكن الله لم ينه يعقوب عليه السلام عن

---

(١) التوبة (٩): ٤٠.

(٢) يوسف (١٢): ٨٤.

حزنه على يوسف عليه السلام، ونحن لا نعرف سبب نهيه عن حزن أبي بكر وأمر نبيه أن ينهاه بلفظ لائم إذ يقول له: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا﴾ أي لماذا تخاف ما دام الله معنا، وآياته تسخّر لنا العنكبوت والحمامة وبعد ذلك تخرج الآية إلى انفرادية الرسول لوحده ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فلماذا لا تتعرّض الآية للاثنين بالنهي؟

لقد أمر الله سبحانه بإتمام نوره ونصرة نبيه وتأييده من السماء، وهذا ما يليق بمقام الأنبياء.

إنّ الصحبة المذكورة بالقرآن لها مفخرة اجتماعية وتقدير عند الناس أمّا بالنسبة للقرآن فلمنطقه معنى آخر لا ينسجم مع المفخرة والمقاصد الاجتماعية الوضعية، لأنّ المقياس عند الله ليس ما يتراءى من ظواهر الأعمال وليس على ما تقدّمه الأنساب والأحساب، ولقد صحب الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الهجرة أكثر من ثلاث رجال، منهم أبو بكر، ومنهم حامل الطعام، ومنهم الدليل على الطريق بالأجرة والمال.

ومن الآيات التي جمعت الرسول والصحابة في بعض المواطن مثل حنين، وقد قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فكانت الآية شاملة بالسكينة للرسول ومن معه جميعاً، وذلك بخلاف آية الغار التي أفردت الألطاف السماوية لشخص واحد فقط وليس للاثنين معاً، وهنا يتداعى إلى الفكر حدثٌ هام وحالةٌ حدثت مع بدء الهجرة وهي:

«لما أراد الهجرة خلّف علي بن أبي طالب بمكّة لقضاء ديونه وردّ

(١) الفتح (٤٨): ٢٦.

الودايع التي كانت عنده فأمر ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشهﷺ وقال له: «اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي... ففعل ذلك علي، فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالبقاء والحياة؟ فاختار كلاهما الحياة.

فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّدﷺ فبات على فراشه (يفديه) بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرائيل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل ينادي: بخ بخٍ من مثلك يا بن أبي طالب، فنادى الله عزّ وجلّ الملائكة وأنزل على رسولهﷺ وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾[1].

(١) الكشف والبيان ٢: ١٢٥، البقرة (٢): ٢٠٧.

الغلاة المنسوبون إلى أهل البيت عليهم السلام

الغلاة المنسوبون إلى أهل البيت عليهم السلام

تعوّدت بعض الأقلام المأجورة واستمرت أن تعيش في النفاق وعلى النفاق، مقدمةً نتاجها الفكري للمجتمع الذي تعيش فيه مزيّفاً ومغلوطاً.

وذلك بدافعٍ من مصلحة دنيوية تافهة أو بهدف التشويش وخلق الفتنة ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[1]، إنّ موضوع الغلاة يقول تجّار المطاعن بين المسلمين أنّه في عصر الصادق عليه السلام من أواخر عهد بني أُميّة وحتّى بداية عهد العبّاسيين كثر بشكل ملحوظ التدوين للحديث والبحث الموسّع في علم الكلام والفلسفة، وكانت الكوفة آنذاك مركزاً هامّاً من مراكز التجارة والصناعة بمختلف أنواعها، وكان هناك رواج كبير في البلاد عن طريق الكوفة التي كانت تُحاط بقرى كثيرة ممتلئة بالنصارى وبرعايا من الفرس عرفوا بحمراء الديلم.

فبدأت الهجرة إليها من شتّى الجهات مما ساعد أعداء الإسلام على نشر عقائدهم عن طريق الخداع والتضليل ؛ إذ كانوا يتسلّلون إلى مجالس العلم ويدخلون في حلقاته مدّعين انتماءهم لمدرسة الإمام الصادق عليه السلام التي سمحت الدولة العبّاسية بفتحها لكي تخفّف عن نفسها نقمة الناس الناقمين ولكي تتقي الثورات العلوية فأعطت الإمام الصادق عليه السلام الحرّية في نشر العلوم

---

(١) البقرة (٢): ١٩١.

الإسلاميّة حتّى بلغ عدد العلماء في هذه المدرسة أربعة آلاف عالم.

لقد دخل الغلاة عن هذا الطريق إلى هذه المدرسة لينشروا عقائدهم وليشوّهوا سمعة أهل البيت وليكثروا من الدسّ عليهم مما دفع بالإمام الصادق أن يعلن البراءة من كلّ مقالٍ يدسّ على الإسلام ما ليس فيه.

وأخصّ بالذكر منهم أبا الخطاب الأسدي الكوفي الذي كان يقود هذه الحملة المجرمة ضد مذهب أهل البيت، فأعلن الإمام الصادقعليه السلام البراءة منه، وقال بجواز لعنه[1]، لإنّه نجح إلى حدّ بعيد في أن يدسّ عقيدته وباسم أهل البيتعليهم السلام مشوّشاً ومخالفاً لروح الإسلام الحنيف.

الغلاة الذين يكذبون على أنفسهم وعلى الناس وعلى التاريخ ليسوا من أهل البيت، ولا من مذهب أهل البيت، وإنّ دراساتهم لا تزال ناقصةً وغامضة إلى يومنا هذا ؛ لأنّها لا تقوم على دليل وبيّنة أو على منطق تطبيقي يستقبله العقل ويقبله وإلّا فأين كتبهم ومؤلّفاتهم وكتب عقائدهم التي ذهبت مع ذهاب هؤلاء الغلاة الذين أزالهم ومحاهم علماء أهل البيت الذين لا ينفصلون عن القرآن والسنّة.

---

(١) معاني الأخبار: ٣٨٨، حديث٢٦ وفيه عن أبي عبد اللهعليه السلام: «... لعن الله أبا الخطاب...».

الشفاعة

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[1].

إنّ قراءة القرآن الكريم بلا تفكّر أو تبصّر وبلا تفهّم دقيق يعكس على الإنسان أخطاء مهلكة فما أكثر الذين يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار بينما نساؤهم كاسيات عاريات بأخلاق سيئة وأولادهم من غير المؤمنين.

لقد أصبح التعامل مع القرآن الكريم ظاهرياً وسطحي الفهم حتّى لتمرّ معانيه ومفاهيمه أمام أعين الكثيرين كما يمرّ الذهب أمام أعين المتوحشّين يرون بريقه ولا يعرفون قيمته، بينما كان بعض الصحابة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله يقفون عند كلّ آية لتيدبّروها وليعرفوا ما الذي تهدف إليه وما الذي تعالجه من مشاكل الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[2].

إنّ الذين يقرؤون بفهم يتجذّر في أعماقهم التوحيد والإيمان حتّى ليصبح أحدهم قلعةٌ قوية منيعةٌ على الخرافات والأباطيل والانحراف عن طريق الحقّ، أمّا القشريون وهم كثر لسوء الحظّ فقد أوصلتهم الحالة التي هم فيها إلى الوقوع بأخطاء جسيمة في كثير من الأمور التي تؤدّي إلى الشرك

---

(١) التوبة (٩): ١١٥.

(٢) ص (٣٨): ٢٩.

والعياذ بالله، ومن هذه الأمور مسألة الشفاعة.

فنجد الوهابيين على سبيل المثال لا الحصر مع كثير غيرهم من سواد المسلمين واقعين في مستنقع الجهل والبلاء متخبّطين، وكلّ هذا بسبب عدم تدبّرهم لكتاب الله فمنهم مثلاً من يكون اتكالياً بدون سعي أو عمل آخذاً بتفسير خاطئ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

للأسف الشديد نجد أكثر الناس يصلي صلاته بلا خشوع وبدون صلة مع الله ولا حضور قلب وهو إذ يكثر من الدعاء في نهاية الصلاة فإنّه بذلك يظنّ أنّ الدعاء مع صلاة تقليدية بعيدة عن الخشوع له قبول أو ثمر.

إنّ الدعاء وسيلة من الوسائل لإزالة الموانع العائقة ولكن بشرط العمل، وكلّ عمل يحتاج إلى تسديد السماء، فإذا عملت عملاً فادعُ الله بعد ذلك أن يقبله لأنّ العمل يحتاج إلى صفاء الربط بين العبد وربّه وهكذا هي الشفاعة التي غرق بجهلها وعدم معرفتها كثير من الناس فأصبحوا يضعون اعتمادهم وتوكّلهم على الأولياء ظنّاً منهم أنّ أولئك الأولياء والأئمة يؤثرون في قانون الله وفي عدله ويعتقدون أنّ رحمة الشفيع ورأفته تغنيهم عن رحمة الله فيجعلون توجّههم وخشوعهم كلّه للولي وهذا ما يوصل الإنسان إلى الشرك بالله.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ

(١) البقرة (٢): ١٨٦.

(٢) البقرة (٢): ٤٨.

لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾[1].

يقول الوهابيون: إنّه لا يجوز التوجّه إلى أي ولي سواءً كان ميتاً أم حياً لأنّهم ينكرون الوسيلة أمّا نحن فنقول إنّ التوسّل بالنبي والرسول والولي إنّما هو توجه بالقلب والعقل إلى الله سبحانه وتعالى قائلين اللّهم بحقّ هذا الذي اخترته واصطفيته أن تغفر لنا وأن ترحمنا وأن تجعلنا تحت لوائه يوم القيامة.

إنّ من يتصوّر أنّ للشفيع تأثيراً على الخالق سبحانه وتعالى وأنّه يستطيع أن يحول الغضب إلى رحمة فهذا الظنّ هو الشرك بعينه لأنّه سبحانه لا يقبل الانفعال ولا ينطبق عليه تغيير الحال ولأنّ القانون الإلهي يفقد معناه فتفرغ الشفاعة من محتواها الحقيقي.

الشفاعة على قسمين:

١) شفاعة عادلة وسليمة ولها وجود.

٢) شفاعة غير صحيحة ومرفوضة وليس لها وجود.

أما الشفاعة العادلة: فهي التي تحفظ وتحافظ على القانون الإلهي وتؤيّده مثلا: الرسول الكريم أدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، وجاهد في سبيل الله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ونفذ بكلّ صدق وايمان أوامر ربّه حتّى أوصلها إلى قلوب الناس، وما دام ذلك كذلك فهذا الرسول حكماً سيكون في رحمة الله العادلة حيث لا يضيع ميزان الحقّ الدقيق مثقال ذرّة، إنّ كلّ من يقتدي برسول الله وينفذ أوامره التي هي أوامر الله فهو مع الرسول.

---

(١) الانفطار (٨٢): ١٩.

يقول تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[١] إذاً على من يريد أن يكون له الرسول شفيعاً أن يعمل بعمله وأن ينفذّ أوامره وأن يسير سيرته ليكون معه عند الله لكن الذي يصعب عليه هذا يعمد إلى النفاق والمداهنة ويسلك طريق الخرافات التي لم يأتِ بها رسول الله صلى الله عليه وآله ويلتفت إلى تقلّد الأمور الدنيوية التي تؤمّن له المصلحة والجاه والمال بعيداً عن شريعة محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ يطلب الشفاعة فهذا لن ينالها وشفاعته مردودة غير مقبولة من الله سبحانه لأنّه لا يستحق أن يكون شفيعاً بعد أن خالف الله ورسول الله صلى الله عليه وآله.

يظنّ بعض الناس ظنّاً خاطئاً أنّ شفاعة الرسول والأئمة عليهم السلام قادرة على تغيير الحكم والإرادة الإلهية وهذا ضلال مبين إذ يجب على الذي يؤمن بالله ورسوله أن ينبذ مثل هذا الظنّ وأن يتوجّه إلى الله طالباً منه قبول عمله بشفاعة محمّد وآل بيت محمّد ويشترط أن يكون التوجّه خالصاً لله فقط، وعلى هذا فليست الوسيلة شركاً كما يقول الوهابيون أو كما يفهمها أو يستعملها الجهلاء من السنّة والشيعة الذين يظنّون أنّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والأولياء قادرون على التأثير في قانون الله وعدله... عندها يكون توجّههم للرسول وليس لله وهذا التوجّه خاطئ ومرفوض إنّ طريق الجهاد والصبر والثبات والعمل الصحيح بما يأمرنا القرآن هو الشفاعة بالذات لأنّ ذلك هو سلوك وعمل الرسول صلى الله عليه وآله ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٢].

بمعنى أنّ كلّ من قلّد الإمام أو القائد المستقيم العامل بأمر الله يكون معه يوم القيامة في جمع واحد وتحت لواءٍ واحد.

---

(١) الحشر (٥٩): ٧.

(٢) الإسراء (١٧): ٧١.

الشفاعة المرفوضة: وهي أن الذي يتبع كلّ ناعق ويميل مع كلّ ريح فإنّه وإن صام وصلّى وحجّ وزكّى سيبقى عمله غير صحيح وغير مقبول ذلك لأنّه أطاع أئمّة الضلال والبدع والخرافات ولم يفتح قلبه وفكره للحقيقة تلك الحقيقة الثقيلة جدّاً عند أولئك الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾[1].

إنّ الذين يعرفون الحقّ ولكنّهم بسبب ما يضلّون غيرهم فإنّما مثلهم كمثل فرعون، وهم علماء السوء وعلماء البدع المتعصّبين للضلال الذين يعرفون القول ولا يتبعون أحسنه، قال تعالى: ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾[2].

أولئك الذين لا يقلّدون آباءهم وعلمائهم وبيئتهم تقليداً أعمى ولكنّهم يسمعون جميع الأقوال والآراء فيتبعون الأحسن والأفضل ولو كان صعباً مرّاً.

يقول الإمام علي عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»[3].

إذن: التعصّب في العلم بما ينافي الحقيقة وبما لا يرضي الله عملٌ باطل وجريمة يؤاخذه عليها الخالق يوم القيامة.

النتيجة: لو نسبنا الشفاعة إلى الله وحده وهو منبع الرحمة والخير لسمّيت مغفرة وإذا نسبناها إلى الوساطة بالإتباع شرط التطبيق والعمل الصالح سمّيت شفاعة.

---

(١) هود (١١): ٩٨.

(٢) الزمر (٣٩): ١٧ - ١٨.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٤٢/ ١٧٣.

لكلّ نبي وإمام وولي شفاعة صحيحة لأنّ عمله صحيح فالتوسّل به مقبول لمن قلّده بالعمل الصحيح. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾(١)، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾(٢)، ﴿قُل للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٣)، وهذه تؤكّد أنّ الشفاعة كلّها لله وأنّ الله هو الذي يجعل الشفيع شفيعاً لأنّه اختاره، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾(٤)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٥).

«إنّ الأرض أجدبت إجداباً شديداً على عهد عمر زمن الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا أمير المؤمنين إنّ بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء فقال عمر: هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنوء أبيه... فقال: اللّهم إنّا قد توجّهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثمّ قال عمر: يا أبا الفضل قم فادع فقام العباس فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه: اللّهم إنّ عندك سحاباً وعندك ماء فانشر السحاب ثمّ انزل الماء منه علينا...».

فهو دليل على أنّ رحمة الشفيع هي من رحمة الله وهذا يخرج القلوب من شرّ اليأس والقنوط لأنّ الاعتقاد بمغفرة الله يحي الأمل والاعتقاد بالشفاعة

(١) الأنبياء (٢١): ٢٨.

(٢) يونس (١٠): ٣.

(٣) الزمر (٣٩): ٤٤.

(٤) المائدة (٥): ٣٥.

(٥) النساء (٤): ٦٤.

يحي القلوب.

إنّنا عندما نقول: الإمام علي عليه السلام شفيعنا أو الإمام الحسن أو الإمام الحسين أو الإمام الباقر عليهم السلام فذلك لا يعني أنهم هم الذين يغفرون لنا أو أنّها يؤثّرون في عدل الله وحكمه فيشفعون للمذنبين كما يحلوا لهم بل ذلك لأنّهم سلكوا طريق الرسول وطبّقوا ما جاء به والتزموا بأحكام القرآن كما أمرهم الله ورسوله فأعطاهم الله مقام الشفاعة وأصبحوا جديرين بلقب الإمامة وهم الذين قال فيهم القرآن الكريم: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾[١].

إنّهم أئمة الهدى وقادة الناس في الدنيا والآخرة؛ لأنّهم يمثّلون شخصية رسول الله، وعلى هذا فيجب على كلّ إنسان أن يبحث عن إمامه؛ لأنّه هو صراطه في الدنيا وسبيله إلى صراط الآخرة، وأنّ أهل البيت هم هذا الصراط المستقيم كما ذكر في سورة الفاتحة.

ففي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني بإسناده عن أبي بريدة في قول الله تعالى: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ**﴾[٢] قال: صراط محمّد وآله[٣].

وفيه أيضاً بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله جعل علياً وزوجته وأبناءه [وابنيه] حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمّتي، من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم»[٤].

---

(١) الإسراء (١٧): ٧١.

(٢) الفاتحة (١): ٦.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٧٤ حديث٨٦.

(٤) المصدر السابق: حديث٨٩.



نشوء المذاهب

نشوء المذاهب

نحن في مواجهة مشكلة كبرى يقف التاريخ أمامها ملجماً وتختفي فيها الحقيقة خلف ركام من الأتربة والأحجار وسيلٍ من الادعاءات الكاذبة والأقوال الفارغة فتلتوي الطرق الموصلة إليها ولا تعالج قضيتها بدراسة علمية ليبدو جوهر المسألة واضحاً ولتظهر الحقيقة كما هي للعيان، واحدةٌ من كبريات المشاكل التي عملت على هدم وحدة المسلمين وهي أن الكثير من المؤرِّخين أولعوا بذمّ الشيعة ونسبوا إليهم الكثير من الأشياء الباطلة دون تثبّت وتمحيص ودون أي وازع ديني أو رادع وجداني وقد اتسعت صدور الشيعة لتحمّل أقوالهم وترفّعوا عن المقابلة والردّ بالمثل وفي مقدّمة تلك المسائل ومن أهمّها هي مسألة الصحابة وعدم عدالتهم ثمّ تكفيرهم والعياذ بالله فحكموا عليهم بالكفر والخروج عن الإسلام كما سيأتي بيانه.

إنّ عدالة الصحابة عند السنّة ووضعهم في ميزان العدالة هو الذي أوصل الإسلام إلى ما نحن فيه من تشتّت وانحرافات وتشعّب في المذاهب ذلك لأنّ الرسول الكريمﷺ لم يتكلّم بأحكامه وأحاديثه على مدى ثلاث وعشرين سنة من الدعوة أمام الصحابة جميعاً بل كان ينطق بالحكمة أو الحديث أمام نفرٍ منهم فقط فمرّةً أمام عشرة وأخرى أمام خمسين وثالثةً أمام مائتين ولأنّ ظروف الحياة لم تكن تسمح لكلّ الصحابة بالحضور الدائم إلى مجلس الرسول وملازمته ومن ثمّ فلم يكن كلّ من يحضر ويسمع الحديث أو

الحكمة معصوم عن الخطأ بل تتفاوت قدراتهم ومداركهم ومستوى إيمانهم.

وهكذا كان ينقل كلٌ منهم ما سمع ويتحدّث به للآخرين حديثاً غير مدوّن بل محمولاً في الصدور حيث لم يتمّ التدوين إلّا في عهد الأمويين فمن الطبيعي والحال هذه أن يوجد بين الأحاديث ما هو غثٌّ ومشتبه به وما هو صحيح، ثمّ هيمن السلطان على ذلك التدوين وجعله على هواه وعلى ما يوافق الوضع القائم الذي يخدم سلطته ومصالحه، وهذا ما حدا بأهل الجرح والتعديل إلى تدوين وغربلة هذه الأحاديث لتبيان الصحيح من الضعيف مع أنّهم كانوا تحت ضغوط لا تعطيهم الحريّة في التدوين، ولقد بالغت جماهير الناس في تقديس كلّ من يطلقون عليه كلمة صحابي كما واقتدوا بكلّ مسلم - مهما كانت درجة وعيه للإسلام ودرجة إيمانه - سمع من النبيّ أو رآه وجالسه اقتداءً أعمى وأنكروا على كلّ من يخالفهم واتهموه بالغلو، وكان أشدّ إنكارهم على الشيعة حيث يروون الكثير من أحاديث الصحابة مصرّحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية والبحث عن الصحيح في الآثار النبوية، ولو أنّ أولئك الذين يطعنون بالشيعة تدبّروا آي القرآن الكريم لوجدوه مشحوناً بذلك المنافقين وحسبك منهم سورة التوبة وسورة الأحزاب.

وهنا نجد سبب نشوء المذاهب وتعدّدها وتنافرها وخاصّةً عند تسلّط الحكم الأموي على مقدّرات البلاد الإسلاميّة وتسلّمه لإدارة شؤون البلاد من قبل شباب مراهقين أكرهوا الناس على القبول بما يريدونه هم، وساعدهم في ذلك ولا تهم القساة الغلاظ الأكباد الذين فرضوا على الخطباء أن يلعنوا سيدنا علياً وأبناءه عليهم السلام وقد أفرزت هذه الأمور المشينة جمعيات سريّة تحمل مشاعل

الحقّ عاملةً ضدّ الحكم الأموي وكان معظمهم في البدء من البّائسين فأيّدهم أغلب الناس ولم تمض إلّا فترة قصيرة حتّى وصل العباسيون بعدها إلى استلام الحكم وتمكّنوا من القضاء على حكم بني أُميّة ولكنّهم بدؤوا ينشرون بين الناس أنّهم هم أهل البيت برغم أنّ الكثيرين في المجتمع والعلماء والعارفين بالحقيقة لم يقبلوا بمثل هذا الإعلام وراحوا من جديد يحرّكون الثورة في جميع البلاد والأمصار الإسلاميّة لمحاربة العبّاسيين وإعادة الحقّ إلى أهله، لكن السفّاح العباسي بحنكته ومهارته في المكر والخداع وببطشه وجوره استطاع أن يثبت قواعد ملكه مستعيناً بالعنصر الفارسي لأنّ العرب جميعاً كانوا أنصاراً لأهل البيت فسحب ثقته من العنصر العربي وأوكلهم إلى العنصر الفارسي وأيّدهم في منع الناس حتّى من التكلّم باللغة العربية في بلاد فارس.

وجاء بعد السفّاح رجلٌ دموي عنيد هو أبو جعفر المنصور الذي لا يتهيّب من انتهاك حرمات الله وإراقة الدماء البريئة وما وقف أمامه حاجزٌ وما ردعه رادع عن إتيان كلّ قبيح وشنيع لتثبيت ملكه حتّى وصلت به الحال إلى أنّه قتل الكثير من أقاربه العبّاسيين ناهيك عن تدمير البقية الباقية من أهل البيت العلوي، وأبعد أبو جعفر العلماء، وقرّب ونصر الموالي، ثمّ اختلق أخيراً المعارك بين العلماء بغية تخفيف الهجمة الشعبية عليه فكانت المعركة بين أهل الحديث وأهل الرأي.

منتصراً لبطانته من أهل الرأي والقياس ومؤيّداً لهم بكلّ ما يملك من مال وسلطة وهم أهل العراق ليكونوا معه وليضمّهم إلى جانبه، بينما أبعد أهل الحديث والفتوى من أهل المدينة - وأهل الدار أدرى بما فيها - فبدأت العراق على كثرة محدّثيها تأخذ بالرأي والقياس، وكان في مقدّمة علمائها

إبراهيم النخعي وأبو حنيفة، وتقدّم القياس على أحاديث الأخبار، وصارت هذه القضية الشغل الشاغل والوحيد لأهل العراق.

أمّا أهل المدينة فلم يجعلوا للقياس والرأي واستنباط الأحكام هذه المنزلة، واتسعت شقّة الخلاف والنزاع بين الناس، وكان خلافهم متّصفاً بالتعصّب وممزوجاً بالسياسة ومستنداً إلى السلطة، ووصل بهم الحال إلى التنابذ بالألقاب فعيّروا أهل المدينة بالغناء والطرب وعيّروا أهل مكّة بالمتعة، كما عيّروا أهل الكوفة بشرب النبيذ الذي حلّله أبو حنيفة، وكانت الكوفة ضعيفة أمام الحجازيين ؛ لأنّ الحاكم كان يناصرها لا حبّاً لها ولأهلها ولكن بغضاً لأهل المدينة، وحقداً عليهم، وكان من محدّثيها مالك بن أنس وأنصاره وسفيان الثوري، وكان من محدّثي أهل الكوفة وفقهائها أبو حنيفة وأصحابه.

كثرت النشاطات العلمية واتسعت المذاهب وصار كلّ إمام ينتسب إلى مذهب معيّن، وكلّها سنيّة، ولكن لم يكتب البقاء إلّا لأربعة منها، وهي: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، بينما انقرضت مذاهب أخرى كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مذهب عمر بن عبد العزيز، مذهب الشعبي، ومذهب الحسن البصري، ومذهب الأعمش، مذهب الأوزاعي، مذهب سفيان الثوري، مذهب الليث، مذهب سفيان بن عيينة، مذهب إسحاق، مذهب أبو ثور، مذهب داوود الظاهري... وغيرها كثير.

١) سفيان الثوري: هو أبو عبد الله توفّي في البصرة عام ١٦١هـ متوارياً عن السلطة[1].

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ٤٩٧.

وهو من تلامذة الإمام الصادقعليه السلام[1].

٢) سفيان بن عيينة إمام عالم أخذ العلم عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام ثمّ عن الزهري وعن ابن دينار.

٣) الحسن البصري: إمام عالم توفّي سنة ١١٠هـ وكان قد نشأ بوادي القرى وكان يؤثر بني مروان وله علاقة مع السلاطين فإذا أراد أن يحدّث عن علي بن أبي طالب كان يقول: قال أبو زينب لأنّه كان يعمل بالتقية.

٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: وكان تابعاً، روى عن انس ابن مالك وكانت أيام حكمه قليلة وقصيرة.

بسبب قوة السلطان وإرادته المتسلّطة انقرضت كثير من المذاهب ولم يبقَ منها إلّا أربعة، بينما الحقيقة أنّ هناك ما يقارب السبعة عشر مذهباً، وطويل شرحها فمن أراد الاطلاع والازدياد فليرجع إلى كتب التاريخ.

زمن العباسيين:

على مدى التاريخ البشري لم يكن القهر والجبر لينفع مع الناس حتّى يطيعوا ما هو معاكس لقناعاتهم ولعقائدهم ولقد عرف بنو العباس ذلك ووعوه جيّداً فأرادوا أن يأتوا الناس من باب العلم ويكونوا هم الذين يعلّمون الناس ويُخرّجون العلماء، وهكذا بدؤوا ينشئون المدارس بدل المساجد، ويربطون إدارة هذه المدارس والإشراف عليها بهم ليصبح التعليم خاضعاً للدولة بعد أن كان حرّاً، وما ذلك إلّا واحد من أساليب سلب الحرّية، حرّية العلم والتعليم

---

(١) رجال الطوسي: ٢٢٠، ٢٩٢٤، وتهذيب الكمال ١١: ١٥٦.

والعلماء، أسلوبٌ يدمّر ركائز الإسلام الصحيحة ويغلق باب الاجتهاد الذي ينسجم مع حريّة الرأي وحتّى القرآن الكريم أصبح طوعاً لأهوائهم في التفسير وحتّى السنّة الشريفة جعلوها خادمةً لحكمهم، ولن ننسى أن نذكر أنّه حتّى أهل الجرح والتعديل الذين كتبوا الصحاح فإنّهم كانوا على درجة كبيرة من التعصّب لمذهبهم، وكانوا يستهزئون بكلّ من يخالف مذهبهم ويدعون مكارم وفضائل غير صحيحة لمن لا يستحقها، وكيف لا وفوق رؤوسهم السيف وتحتها النطع ليرغمهم على تدوين كلّ ما تريده السلطة الحاكمة.

قبسات عن المذاهب الأربعة:

١) مذهب أبو حنيفة: هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت من أهل كابل أو من أهل نسى، وكان اسمه: عتيك بن زوطره، وكان أبوه عبداً مملوكاً لمرجل بن ربيعة من بني تميم، ولد عام ثمانين للهجرة، وتوفي عام مئة وخمسين للهجرة ببغداد، عاش في عهد العبّاسيين الذين كانوا يتظاهرون بقرابتهم من رسول الله ﷺ، ويقولون إنّهم أحقّ بالأمر من بني أُميّة أخصام الرسول الكريم ﷺ والإسلام، لقد حاول العبّاسيون أن تكون هناك همزة وصلٍ بين الدين والدولة لكي يكونوا هم حملة لواء الشريعة وأصحابها، ولكي يكونوا هم الشريعة ونظامها، فقرّبوا العلماء واتصلوا بهم اتصالاً وثيقاً، وجعلوا القضاء بيد أهل الرأي من أهل العراق - أو ليس الرأي على الهوى؟ - وكان قاضيهم أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة الذي وصل إلى منصب رئاسة القضاء وجعل للمذهب الحنفي قوة انتشار وخطا خطوة واسعة في مجال الشهرة مما لم يحظ به ولم يسعد به غيره.

ولقد استلم أبو يوسف منصبه هذا في عهد ثلاثة من الخلفاء العبّاسيين، وهم المهدي والهادي والرشيد، وأصبحت له مكانة عظيمة عند السلطان، حتّى قال له هارون الرشيد: يا أبا يوسف لو جاز لي إدخالك في نسبي ومشاركتك في الخلافة المفضية إلي لكنت حقيقاً به، وهذا مقابل ما قدّمته لنا من خدمة بجميع جهدك، ومن بين الأشخاص الذين ساعدوا كثيراً على نشر مذهب أبو حنيفة في بلاد العراق وخراسان ومصر والشام، أبو يوسف القاضي ومحمّد بن الحسن الشيباني وزفر بن الهذيل والحسن بن زياد اللؤلؤي، ولم ينقل التاريخ أبداً أنّ أبا حنيفة دوّن كتاباً في الفقه اللّهم إلّا أن يكون ذلك وريقات قليلة أسماها الفقه الأكبر!

وهي لا تتضمن شيئاً من العقائد ولكن كتب التواريخ بالغت في الوصف، ودوّنت لأصحاب المذاهب الكثير من أخبار وحكايات بعيدةً كلّ البعد عن مقاييس الصحّة، ونحن لن نتعرّض هنا بالتفصيل لكلّ ما قيل بل سنقتصر على بعض الأمور لأنّ الحقّ بيّن والحقيقة واضحة ليست بحاجة إلى تفصيل.

قالوا: إنّ أبا حنيفة لم يكن صاحب حديث، ولكن كان قائساً قياساً يسلك في قياسه ما استوجب شدّة الإنكار عليه وعلى أصحابه، ومن يستعرض الأقوال فيه وآراء الناس حوله فسوف يجد آراءً وأقوالاً متناقضة ومختلفة لا يستطيع أن يخرج منها بشيء، وقد اتفقت جميع الكتب على أنّه درس في أواخر أيّامه على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام مدة سنتين أو أقلّ وقال لولا السنتان لهلك النعمان»[1]، وقال: «ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمّد»[2].

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية: ٨.
(٢) الكامل لابن عدي ٢: ١٣٢.

ختم حياته في التعذيب والسجون حتّى مات في سنة ١٥٠هـ[١].

٢) المذهب المالكي: للإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ولد سنة ثلاثة وتسعين هجرية بالمدينة وتوفي سنة مائة وتسعة هجرية[٢]. والله أعلم.

ظهر الإمام مالك بمذهبه في زمن النزاع القائم بين أهل العراق وأهل المدينة كما مرّ معنا في الفصل السابق، وهو النزاع الذي كان بين أهل الحديث وأهل الرأي المؤيّدين بقوة السلطة وتوجيهاتهم للحط من قيمة العرب ومؤازرة جانب أبي حنيفة خوفاً من الثورات التي تؤيّد العلويين وتحسباً منها.

وكان مالكاً ممن انضم إلى جانب العلويين من أهل البيت بدليل أنّه كان ملازماً للإمام جعفر الصادق عليه السلام فاستقى منه العلوم وظلّ يأخذ عنه حتّى صارت له مكانة مرموقة عند كثير من الناس، فأيّده هؤلاء وأخذوا يرجعون إليه لكن السلطة العبّاسية أدركت ماله من مكانة وأهمّيّة فخشيت منه ووضعته تحت مراقبتها وفي عنايتها ؛ لتجعل حركته طوعاً ووفقاً لمصالحها وأهوائها، ثمّ وجّهت إليه أنظار الناس حتّى صار محترماً عند الناس أعظم الاحترام.

وتحت ظلال السلطة راح يرتفع يوماً بعد يوم حتّى أصبح له من المكانة أعظم من مكانة الملوك، وابتنت له السلطة قصراً للفتوى جعلوا عليه حرّاساً وله خدماً فلا يدخله إلّا ذو حظّ عظيم.

---

(١)مسند أبي حنيفة: ١٧.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ٢٢٣.

ويقال: إنّ أكثر الفتاوى كانت تدخل عليه على ورقة فيردّ الجواب مع الخدم على ورقة أخرى.

فيا عجباً لمالك كان في أسوأ حالة عندما أيّد العلويين وكان يجرّ من كتفه إلى السجون، وتنزل به أصناف العذاب والهوان إلى أن استطاعت السلطة العبّاسية تدجينه وإغرائه واستدراجه إلى مغريات الحياة الدنيا التي يظنّون زوراً وبهتاناً أنّها هي المعالي[١]، وفي أوج البذخ والعزّ والسلطان نسي نفيه وضلّ عن الطريق القويم، ووضع بأمر السلطة كتاباً اسماه الموطأ قامت السلطة صاحبة المصلحة بنشره وبنشر الأساطير عنه حتّى قالوا: إنّ الموطأ بعد كتاب الله سبحانه وتعالى[٢].

وهكذا انتشر هذا المذهب في البلاد بالقهر والجبر والإكراه والتدليس حتّى وصل إلى أفريقيا ليس بدافع قوة الحقيقة فيه، وإنّما لضعف الناس أمام جبروت السياسة القائمة.

يقول ابن حزم: (مذهبان انتشر في مبدأ أمرهما بالرئاسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة أو مذهب مالك بن أنس)[٣].

وقد وصل هذا المذهب إلى الأندلس بسبب مدح مالك لملك الأندلس بقوله: (نسأل الله أن يزين حرمنا بملككم أيها الملك).

فلما سمعها من مالك حمل الناس على ترك مذهب الأوزاعي المنتشر

(١) انظر: الجرح والتعديل ١: ٣٠.

(٢) مواهب الجليل ١: ٤٢.

(٣) وفيات الأعيان ٦: ١٤٤.

عندهم ونقلهم إلى مذهب مالك الذي انتشر مذهبه لا عن جدارة في مقوّماته الروحية أو مؤهّلاته التشريعية، بل بدافع القوة والسلطة السياسية التي فرضت هذا المذهب على الناس وفقاً للحكمة التي تقول: (الناس على دين ملوكهم).

٣) المذهب الشافعي: لصاحبه محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب.

وقيل إن أباه كان مولى لأبي لهب فطلب من عمر بن الخطاب أن يجعله من موالي قريش فامتنع فطلب ذلك إلى عثمان ففعل[١].

وكان ولايته سنة مائة وخمسين هجرية، ووفاته سنة مائتين وأربع هجرية[٢]، وكان أوّل ظهور لمذهبه في مصر ثمّ انتشر منها إلى بغداد وخراسان ووصل إلى أفريقيا والأندلس.

وعظمت شوكته أيام الدولة الأيوبية التي نصرته وناصرته وأقامت له المدارس ودفعت الفقهاء في مصر إلى تأييده برغم أنّهم كان معظمهم من الشيعة.

وقد أيدته الدولة الأيّوبية في مصر خاصّة مع أنّ أكثر شعبها وفقهائها كانوا من الشيعة آنذاك وخاصّةً في عهد الفاطميين الذين أبطل صلاح الدين علمهم وأنهى مذهبهم بعد أن كان يدرّس في الأزهر وتمّ تغيير مذهب أهل البيت إلى الشافعية بقوة السلطان واشتدّ التزاحم بين الشافعية والمالكية ومذهب أبي حنيفة، وتعصّب كلٌ لمذهبه فحدثت مذابح دموية كثيرة أدّت

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ١٧٦.

(٢) تاريخ بغداد ٢: ٦٨.

إلى مقتل عشرات الآلاف في البلاد بينما السلطة تشجّع على ذلك التذابح وتتفرّج عليه لكي تسيطر على أهل الدين من ناحية ولأنّها تخاف من ناحية ثانية من المذهب الحقيقي المذهب الذي لا يقرّ إعطاء السلطان إلّا لمن يستحقّ القيادة.

ذهب الشافعي إلى مصر سنة مائة وثمانية وتسعون هجرية بصحبة أميرها عبد الله بن العباس بن موسى العباسي، وكان معه ثلاث أشخاص هم الذين ساعدوه على نشر مذهبه وانتشاره، وهم: الربيع بن سلمان وأبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني والبويطي.

ومع ذلك وعجباً منه فقد أخذ الشافعي يتبرأ ويتملّص مما سبق له أن قدَّمه وكتبه وراح يميل ويركن بقوة إلى مذهب أهل البيت والأئمة من أبناء الرسول الكريمﷺ ثمّ بدأ يتحرّك في السرّ فيعلن الحقيقة للخاصّة من أتباعه ويوضح لهم الكثير من الأمور عن طريق أشعاره التي سنأتي على بعضها في نهاية البحث.

إنّ الكثير من المفكرين والمؤرِّخين لحياة الشافعي قد وقعوا في الخطأ عندما قالوا: إنّ الشافعي قد توسّع في رحلته إلى بلاد فارس وما حولها من بلاد العجم، ثمّ سافر إلى ربيعة ومضر حتّى وصل إلى بلاد الروم من الأناضول، وعرج إلى حرّان فبقي بها زمناً، ثمّ عرج وعاد إلى فلسطين ومكث في الرملة مدّة طويلة حتّى استقرّ به المقام بعد سفره الطويل في المدينة لرؤية الإمام مالك بن أنس، فكلّ هذه الرواية لا أصل لها لكن المحقّق عنه هو أنّه بقي أربع سنوات ملازماً لمالك من سنة ١٧٩هـ وكان عمره آنذاك تسعاً وعشرين سنة، وكان يعيش في ضيق وضنك حتّى ارتحل إلى اليمن مع واليها بعد أن

رهن داره وأعطى ثمنها للوالي وبعد أن أوصى بعض القرشيين الوالي بالشافعي خيراً فأخذه واستعمله على عدّة أعمال هناك حتّى اكتشف أنّه كان ميّالاً للعلويين.

وكان يحرّض الناس لموالاتهم فأخرجوه من اليمن إلى بغداد سنة ١٨٤هـ وهي المرّة الأولى التي يدخل فيها بغداد، وبقي في بغداد يخفي حبّه وتأييده لأهل البيت حتّى طرد منها لهذا السبب سنة ١٩٥هـ ولأنّه كان متعلقاً بأهل البيت ميّالاً إليهم وداعية لهم فقد تعرّض إلى أخطارٍ كثيرة لولا أنّه دافع عن نفسه ولولا وساطة الفضل بن الربيع له فنجا بنفسه بعد أن تمّ قتل أكثر أصحابه وأخيراً استقرّ في مصر وبدأ بالردّ على فتاوى مالك فتنكّر له المالكية وعارضوه واتهموه بالتشيّع تارة وبمعارضة السلطة تارة أخرى حتّى أخرجوه من مصر فذهب إلى مكّة ليخوض صراعاً آخر مع الحنابلة الذين كانوا يقومون بنشر مذهبهم آنذاك.

وأما عن مقتله فهو أمر مختلف فيه الرواة فمن الرواة من قال: أنّه ضُرب على رأسه حتّى مات ومنهم من قال أنّه قُتل غيلةً والله أعلم.

أما أشعاره التي تؤكّد مبايعته للعلويين وملازمته لهم وحبّه لأهل البيت في أشعار كثيرة منها ما قاله في السرّ ومنها ما قاله في العلن، ومن أشهرها:

يا آل بيت رسول الله حُبكمُ … فرضٌ من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الذكر أنّكمُ … مَنْ لم يصلِّ عليكم لا صلاة له[1]

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ١٠٣.

وكان يجهر بقوله لا مبالياً بالعواقب:

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بقاعد خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حُبُّ آل محمّدٍ فليشهد الثقلان أني رافضي(١)

وهو الذي كان لا يكتفي بإعلان تشيعه ولكنه كان يفتخر بذلك:

أنا الشيعي في ديني وأهلي بمكّة ثم داري عسقلية

بأطيب مولدٍ وأعز فخرٍ وأحسن مذهب سموا البرية(٢)

وعندما رأى اشتداد العداء له والمراقبة عليه أنشد:

إذا نحن فضلنا علياً فإننا روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل

فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما رميت بنصب عند ذكري للفضل

وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته بحبّهما حتّى أوسد في الرمل(٣)

وكانت الدعاية المعادية الموجهة من قبل السلطة لكراهية أبناء فاطمة تدفعه إلى أن يعبر كما في نفسه فيقول:

إذا في مجلسٍ ذكروا علياً وسبطيهِ وفاطمة الزكية

يقالُ: تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية

برئتُ إلى المهيمنِ من أناسٍ يرون الرفض حبّ الفاطمية(٤)

---

(١) نظم درر السمطين: ١١١.

(٢) شرح إحقاق الحق ٣٣: ١٩٧.

(٣) الفصول المهمة لابن صباغ المالكي ١: ١٠٧.

(٤) المصدر السابق: ١١١.

٤) **المذهب الحنبلي:** للإمام أحمد بن حنبل، الإمام الرابع، بعد أن حاولنا قدر الإمكان التعرّف على كلّ واحد من أئمة المذاهب الأربعة في دراسة مجرّدة عن التحيّز وبعيدة عن الهوى، وقد أهملنا الكثير من الزوائد التي لم نجد فيها شيئاً جوهرياً وتجاوزنا الكثير من الأساطير التي وضعت حول شخصيات أصحاب هذه المذاهب في إطار من الإعجاب والمبالغة والإطناب والخروج على حدود المنطق والواقع.

لقد نسج الحنابلة حول أحمد بن حنبل هذا من الآراء والظنون والمعتقدات البعيدة عن الصحة ما يثير الشكّ والريب في أمره.

نسبه: هو أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس[١]، عربي النسب، ولعل نسبه هذا هو الذي دفع الناس إلى تعظيم شأنه وقبول مذهبه ولزوم إتباعه.

ولد سنة ١٦٤هـ في بغداد على الأشهر[٢]، بغداد التي كانت تعج وتموج برجال العلم وحملة الحديث على اختلاف مشاربهم ففيها القراء والفقهاء والمتصوفة وعلماء اللغة والفلاسفة والمحدثون وغيرهم كثير.

اتجه الإمام أحمد إلى طلب العلم منذ طفولته وكان أوّل تلقيه للعلم على يد أبي يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة[٣]، أخذ ابن حنبل كثيراً عن الشافعي[٤] وبقي ممجداً له ورافعاً من شأنه طوال رحلته إلى الحجاز والبصرة

(١) الثقات لابن حبان ٨: ١٨.

(٢) التعديل والتجريح ١: ٢٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨: ٥٣٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٥: ٢٦٢.

واليمن وقد اشتهر بين أقرانه بالعلم إلّا أنّ شهرته كانت دون شهرة غيره، وقد عانى من السلاطين كثيراً ومرّ بمحن عسيرة وخاصّةً بزمن المأمون في موضوع قضية خلق القرآن[1] التي هلك بسببها كثير من الناس لكن ابن حنبل سطع نجمه في عهد المتوكل العباسي الذي كان يؤيد المحدثين وابن حنبل كان واحداً منهم[2].

حاول المتوكل استيعاب وكسب ابن حنبل وأغراه براتب كبير حتى أصبح طوع أمره وهواه حتى أوصل بعض الوشاة إلى المتوكل أن ابن حنبل يميل للعلويين فصار عند الخليفة بمنزلة المتهم وأمر بتفتيش داره وبقي تحت المراقبة حتى مات في عهد المتوكل العباسي[3] الذي أجبره على أن يفتي بصحّة الصّلاة خلف كلّ فاجر وبرّ، وأمرهم بوجوب الطاعة للخليفة والوالي والرضى بإمارته وأمّا الخارج عن هذه الإرادة فسيموت ميتة جاهلية.

لم يذكر التاريخ عن ابن حنبل أنّه عارض الولاة والسلاطين، وهذا يبعث بنا إلى التساؤل والتأمّل في حياته التي قضى أكثرها زمن المأمون بن هارون الذي تظاهر بميله لأهل البيت ومذهبهم ؛ تغطيةً لنفسه وتظاهراً منه بكراهية العباسيين وأتباعهم الذين يعادون أهل البيت عليهم السلام.

وقرّب المأمون خلال خلافته أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام رغبةً منه في موالاة أتباعهم الكثيرين له حتى يقال: إنّه أعلن تشيّعه لأهل البيت عليهم السلام وأمر المنادي أن ينادي بين الناس أنّ علياً أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه الخليفة

(١) انظر تهذيب الكمال ١: ٤٦١ وسير أعلام النبلاء ٩: ٢٨٩ و١١: ٢٣٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١: ٢٦٥.

(٣) المصدر السابق ٢٦٦.

الأوّل وأنّ أبناءه هم أحقّ بالخلافة من بعده.

ولا أحد يستطيع الحكم على حقيقة المأمون وصدق نواياه، أمّا أحمد بن حنبل فقد كان هواه من رجال الشيعة بعد أن أخذ العلم عنهم وعمن درس على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد لامه وعاداه الكثير من أعداء الشيعة بتقرّبه من علماء الشيعة.

بعد هذه النبذة القصيرة الموجزة عن المذاهب الأربعة يتبيّن لنا أنها كانت من صنع السياسيات السلطوية التي تؤيّد المذهب المؤيّد والموافق لحكمها فترفع من شأنه وتقوم بنشر الدعاية له مع ملاحظة أنّ كل هذه المذاهب قد نشأت بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأكثر من مائة سنة، ولم يكن في حياة الرسول إلّا منهج واحد ومذهب واحد منزّل من السماء على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، محفوظٌ من قبل صفوة مختارة من العباد، اختارهم الله ورسوله لحماية الدين ونشره ولقيادة البشريةً، صفوةٌ ألهمها الخالق الباري وقرآنه الكريم العلم والحلم والفصاحة والشجاعة والمروءة والكرامة والصدق ليكونوا أئمة بين الناس يدعون إلى الهدى بأمره وليحفظوا هذا الدين من كلّ زيف وتحريف.

لكن الناس غرقوا مرغمين في متاهات واسعة ولدتها السيطرات السلطوية والمصالح الدنيوية الخاصّة أيام الأمويين والعباسيين، فطمسوا الطريق الحق ونكلوا بأهله وجعلوا من أنفسهم خلفاء لله في الأرض، وقيادة للدين فكانوا والحال هذه لا يدعمون إلّا المذهب الذي يؤيّد نظامهم ويبرّر أخطاءهم، فيرفعون من شأنه، ويحيطونه بهالة من التقديس والعظمة، ويطلبون من الناس ولاءً مطلقاً واتباعاً أعمى لأي إمام صاحب مذهب يقوم بالباطل بين أيديهم،

ويصفونه بأنّه من الأولياء الذين أشار إليهم الله ورسوله الكريمﷺ.

كانت السلطة تحيط نفسها بمثل هؤلاء الأئمة لتدرأ عنها خطر الثورات المتتالية لأهل البيتعليهم السلام وإتباعهم وقد ذكرنا هذا ليتضح عند المثقّفين الواعين ذلك الأمر، وليعرفوا أنّ هذه المذاهب هي من صنع السياسات الحاكمة، وإنّ كثيراً من الناس عامّة ومن العلماء خاصة يعرفون هذا حقّ المعرفة، ولكنّهم يميلون إلى دنيا الباطل ويخافون من إظهار الحقيقة والأدهى من ذلك أنّه حتى الذين يحبّون أهل البيتعليهم السلام ويعرفون أن خطّهم هو الخطّ الإسلامي الصحيح الذي رسمه الله تعالى وبلغه الرسول الكريمﷺ يسلكون مسلك النعامة ويضعون رأسهم في التراب.

وعجبي وألمي لأمة تقرأ القرآن ولا تعرف مكانة أهل البيتعليهم السلام عند الله سبحانه وتعالى ولا تعرف دورهم وأحقّيتهم في قيادة وإرشاد الناس.

الاختلافات الهامشية

المتعة:

روى مسلم في صحيحه عن أبي نضره قال: «كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر بن عبد الله فقال: على يديّ دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله صلى لله عليه وسلم فلمّا قام عمر، قال: إنّ الله يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء فأتمّوا الحجّ والعمرة أمركم الله، فأبتُّوا واتقوا نكاح هذه النساء فلئن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلّا رجمته بالحجارة»[1].

روي مسلم عن ابن الزبير قال: «سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله وعهد أبي بكر حتى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث»[2].

وسئل عبد الله بن عمر عن متعة النساء فقال: «والله ما كنّا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله زانين ولا مسافحين»[3].

وقال القوشجي في كتابه شرح التجريد أن عمر بن الخطاب قال وهو

(١) صحيح مسلم ٤: ٣٨.

(٢) المصدر السابق: ٣١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٩٥.

على المنبر: (أيها الناس ثلاثٌ كنَّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهُنّ وأحرمهُنّ وأعاقب عليهنّ، متعة النساء ومتعة الحج وحيّ على خير العمل) (١) شرف الدين مسائل فقهية ٨٣

وفي صحيح مسلم باب نكاح المتعة عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: (كنّا نغزو مع رسول الله وليس لنا نساء فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ثمّ رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معيّن) (٢).

وذكر الرازي في تفسيره أنّ عمر بن الخطاب (رض) وهو على المنبر قال: (متعتان كانتا مشروعتين في عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما متعة الحجّ ومتعة النكاح) (٣).

فإذا كان أكثر الصحابة وأعظمهم شأناً يُقرّون المتعة ويقرّون بقاء حلّيتها ويقولون: إنّ عمر هو الذي منعها، فكيف بنا نحرّم ما أحلّ الله وسمح به الرسول من أجل خاطر عمر أو غيره من العباد؟!

وهل يُحلّ الله ورسوله أمراً إلّا وفيه منفعةٌ وعلاجٌ للمجتمع؟

والله سبحانه أعلم بظروف عباده وقد وفرّ بحكمته الأجواء الحرّة والمسارات الطليقة للشهوة الجنسية، ولكن ضمن الحدود والضوابط والروابط الشرعية للزواج، وذلك لتخفيف حالات الكبت الجنسي وتلافي نتائجه ومضاعفاته المهلكة؟

---

(١) شرح تجريد العقائد: ٣٧٤.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٣٠.

(٣) تفسير الرازي ٥: ١٦٧.

في عصرنا الحاضر يعيش الطلاّب الجامعيون في شتّى أنحاء البلاد سنوات دراساتهم حتى يصلوا إلى سنّ الخامس والعشرين، وبعدها يحتاجون إلى زمن طويل آخر ليتمكنّوا من تأسيس بيت أو تهيئة وضع مناسب للزواج، وهذه المدّة الطويلة من العمر والتي تمرّ بها فترة النضج الجنسي ونمو الرغبة الجنسية الجامحة مع الصعوبة في مقاومة شتّى المغريات أو ليس من الواجب أن ينظر في حالة هؤلاء الشباب؟

وهل من المعقول أو من الصحيح أن تترك الشريعة هذا الوضع قائماً دون علاج؟

إنّ الإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلّا وجد لها علاجها ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[1].

ولو أهملنا علاج هذه الحالة وتركناه إذاً لزرعنا بذور الفساد ولسمحنا بشيوع الفساد والعبث والفوضى بالأعراض والنسل وتماسك الأسرة ومجتمع الإسلام.

إنّني لا أعلم لماذا يحارب زواج المتعة المنصوص عليه في شريعة الله حرباً شعواء بغير دليل وتحليل؟!

مع أنّ لهذا الزواج أحكامه وشروطه وهو لا يختلف عن الزواج العادي الدائم إلّا بالمدّة والإرث ؛ لأنّه منقطع، وهو تحصين وحماية وملاذ لكلّ من الرجل والمرأة، يقيهم شرور الانزلاق في موبقات الزنا الذي يهين كرامة الإنسان وبخاصّة المرأة، فهو – أي الزنا – يسقط عنها عفتها ويحولّها إلى سلعةٍ

(١) الأنعام (٦): ٣٨.

رخيصة مبتذلة.

وحتّى على صعيد غير المسلمين يقول بعض كبار الأساتذة في الجامعات الغربية (البروفسورات): الآن عرفنا ما جاء في القرآن الكريم من الزواج المؤقّت فلولا أنّنا سمحنا لكلّ شاب جامعي أن يتزوّج من زميلة شابة خلال الفترة الدراسية بشرط الإنجاب أو عدمه لما وقعنا بأعظم المشاكل التي نعاني منها الآن، وهي مشكلة الإجهاض التي أثقلت بأعبائها الكثيرة على المشافي والشوارع والبيوت والجامعات حتى ليزيد عدد حالات الإجهاض عن عدد حالات الولادة الشرعية.

يقول الله سبحانه: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[1].

إنّ هذه المسألة الشرعية التي نحن بصددها هي حديث الساعة الشائع بين المسلمين، وقد اتخذه ضعاف العقول سلاحاً وحجّةً لغلبة الآخرين والتشنيع عليهم والقدح فيهم بدون معرفة أو اطلاع وبدون وجه حقّ وإنّنا إذ نقدّم بعض العذر لهؤلاء الناس نقول لهم:

إنّ الإنسان عدو ما يجهل وإنّ معرفتهم بهذا الموضوع (المتعة) إنّما هي معرفة ضعيفة واهية أتتهم عن طريق النقل والدعاية وليس عن طريق البحث والتمحيص.

إنّ كثيرين في بلادنا يستنكرون هذا الحكم الإلهي استنكاراً لا حدود له بينما تجد كلّهم أو معظمهم يسير مع زوجته أو أخته أو ابنته في الشوارع وهُنّ حاسرات الرؤوس وكاشفات السوق وفاتحات الصدور فلا تأخذه الغيرة

---

(١) النساء (٤): ٢٤.

والحمية الدينية عليهنّ ولو سألناه تبريراً لتصرفه هذا لقال:

إنّما الإيمان بالقلب وأنّ عمله هذا يتماشى مع العصر ويجاري أهله، عجباً يقولها بلا حياء وهو فخور بها أما لو أنّك ذكرت له المتعة وحكمها الشرعي الذي أوجده الله لظروف يحتاجها المجتمع إذن لأخذته العزة بالخطأ والإثم، وتظاهر بالغيرة على الدين والشرف، ولقذف بتهمة الكفر إلى كلّ من يذكر المتعة أو يأتي بها.

إنّنا وقبل أن نأتي بالأدلّة من كتب مختلف الفرق الإسلامية حول حلالها أو حرامها نريد أن نقول: إنّ هذا الزواج ليس له إلّا وجوداً نادراً بين المسلمين، والنادر كالمعدوم، ولكنه يبقى مسألة اختلافية بين المسلمين فمنهم من يقول كانت في عهد الرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثمّ حرّمها في عدّة مواقع تحريماً أبدياً، ومنهم من يقول إنّها كانت على عهد رسول اللهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وفيها حكمٌ من الله، وبقيت خلال خلافة أبي بكر، وحتّى منتصف خلافة عمر (رض) فحرمها عمر أو منعها وهم يقولون إنّ ما أحلّه الرسولصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ إنّما هو حلال إلى يوم القيامة وأنّ تحريم عمر لها لا ينهيها بشكل تام بل بقي قسم كبير يقول بها مستندين إلى أدلةٍ من الكتاب والسنّة.

نقل الرازي في تفسيره أثناء بحثه حول آية المتعة عن عمران بن حصين أنّه قال: «نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم ينزل بعدها آية تنسخها، أمرنا بها رسول اللهصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وتمتّعنا بها ثمّ مات ولم ينهنا عنها ثمّ قال رجل برأيه ما قال»[1] (يقصد عمر).

---

(١) التفسير الكبير ١٠: ٤٩ - ٥٠، وانظر: صحيح البخاري ٥: ١٥٨.

وعن ابن عباس قال: «يرحم الله عمر بن الخطاب، ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمّة محمّد ولولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزنا إلا شقي»[1].

لقد ثبت أن دين الإسلام بكتابه الكريم هو أنجع وأنجح وأصح وأكمل مشروعٍ وقانون لبناء الحياة البشرية بناءً متكاملاً سليماً من السقوط والانهيار فكيف ولِمَ نطعن نحن المسلمين بعضنا ببعض ثم يُكَفّر بعضنا البعض الآخر من أجلِ مسألة أقرها الله ورسوله ثمّ نحرم ما أحل الله لعباده.

إنّ زواج المتعة ليس كما يتصوّره (أهل الغيرة والكرامة) على أعراضهم، إنّ المجتمع الذي يؤمن بحليّتها، وهم الشيعة، هم أكثر الناس حفاظاً على الشرف والكرامة، وأحرص الناس على الامتثال لنواهي الدين وأوامره، وهم الذين يطبّقون بشكل عادي اللباس الشرعي فلا يوجد مجتمع آخر يتقيّد بهذا ويحافظ على لباس المرأة أكثر من الشيعة، وإنّ قضية المتعة لم توجد في أجوائهم، وإذا وجدت فهي الندرة النادرة جدّاً وتحت ظروف قاهرة.

إنّهم ليسوا مثل غيرهم من الذين تمتلئ بهم وتغصّ الشوارع والبيوت والساحات، لكن قلبهم في وادٍ والإسلام في واد آخر، ثمّ يجهرون بالمعصية ويساعدون على ما يندى له الجبين من الفساد حتّى إذا عرضت عليهم مسألة شرعية أحلّها الله ثاروا وغضبوا وتظاهروا بالتمسّك بالشرف والغيرة على الدين.

كيفية الزواج المؤقت:

ترتبط المرأة مع الرجل بعقد شرعي تباركه شريعة السماء لتشعر المرأة بعزتها وحفظ كرامتها وهي في علاقتها مع رجلها تخضع لمجموعةٍ من

(١) مسند أحمد ٤: ٤٣٦.

الضوابط الشرعية.

١) العدة الشرعية التي يحدّدها العقد.

٢) الأولاد يحملون الصفة الشرعية ويلحقون بآبائهم، ولهم شرعية النفقة والتوارث.

تشريع الأذان:

الأذان على قلّة ألفاظه يشتمل على مسائل العقيدة الإسلامية ؛ لأنّه بدأ بـ الله أكبر، وهو يتضمن وجود الله تعالى وكماله وعظمته، ثمّ ثنّى بلا إله إلّا الله، وهذا إقرار بالتوحيد، ونفي للشرك، ثمّ ثلّث بأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو اعتراف له بالرسالة، وأخيراً بحيّ على الصلاة، وهي دعوةٌ إلى التمسّك بعمود الدين، ودعوةٌ إلى الهداية والفلاح، وحثاً على الأعمال الخيرة (حي على خير العمل).

وأمّا عن حيّ على خير العمل ؛ فإنّها كانت على عهد النبي صلى الله عليه وآله جزءاً من الأذان والإقامة ولكنّهم ادعوا نسخها بعد ذلك، والثابت أنّها كانت من بعد النبي على عهد أبي بكر (رض) أيضاً، وشطرٍ من عهد عمر (رض)، لكن عمر نهى عنها وأبر لها بكلمة «الصلاة خيرٌ من النوم» كما يروي مالك بن انس في كتابه الموطأ فيقول: «جاء مؤذن إلى عمر بن الخطاب (رض) ليؤذن لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال الصلاة خيرٌ من النوم فأمر عمر أن يجعلها في نداء الصبح»[1].

ويروي الدارقطني السنّي في السنن عن نافع عن ابن عمر عن عمر أنّه قال لمؤذنه: «إذا بلغت حيّ على الفلاح في صلاة الفجر فقل: الصلاة خير من النوم

(١) الموطأ ١: ٧٢ حديث٨.

الصلاة خير من النوم»[١].

وعن الباقر عليه السلام: «كانت هذه الكلمة حي على خير العمل في الأذان فأمر عمر بن الخطاب (رض) بإبدالها مخافة أن يصيب الناس تثبيط وقعود عن الجهاد وأن يتكلوا على الصلاة وحدها»[٢].

ويقول الشافعي في كتابه الأم: (ان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يذكر عبارة الصلاة خير من النوم مع ذكره لسائر فصول الأذان).

ممّا لا شك فيه أنّ الأذان كان وحياً على النبي صلى الله عليه وآله، أي أنّه كان أمراً من الله ؛ لأنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، فكيف تختلف الأقوال عند أهل المذاهب على كلمة الصلاة خير من النوم؟! وأنّها نزلت في وقت واحد وهو وقت الصبح. أما عبارة حيّ على خير العمل الثابتة عن طريق أهل البيت عليهم السلام فقد قال زين العابدين عليه السلام: «إنّ حيّ على خير العمل هو الأذان الأوّل»[٣] في عهد الرسول صلى الله عليه وآله، وأخرج البيهقي هذا في سننه الكبرى.

وعن الباقر عليه السلام: «كان حي على خير العمل في الأذان حتّى أمر عمر أن يكفوا عنها مخافة أن تثبط الناس عن الجهاد»[٤].

وعن بلال أنّه كان يؤذن للصبح فيقول: (حي على خير العمل)[٥].

---

(١) سنن الدارقطني ١: ٢٥١ حديث ٩٣٥.

(٢) البحر الزخار ١: ١٩٢.

(٣) انظر السنن الكبرى للبيهقي ١: ٤٢٥.

(٤) البحر الزخار ١: ١٩٢.

(٥) كنز العمال ٨: ٣٤٢ حديث ٢٣١٧٤.

وذكر العلامة محمّد سعيد العرفي في كتابه مبادئ الفقه الإسلامي: «إنّ ابن عمر عميد أهل المدينة قال: إنّ الأذان والقول فيه حي على خير العمل»[(١)].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله علياً، اللهم ادر الحقّ معه حيث دار»[(٢)].

وأما: أشهد أن علياً ولي الله: الذي تقول به الشيعة فإن الشيعة لا تعتبر ذلك جزءاً من الأذان أصلاً بل إنّه نشأ في عهد معاوية وكان بمثابة الرد على لعن أمير المؤمنين عليه السلام بأمر الخلفاء الفجرة الفاسقين الفاسدين.

كانوا يأمرون بقدح وذم ولعن بطل الإسلام الإمام الأول على المآذن والمنابر حتّى صار ذلك شعاراً عند الناس وعادةً لهم فأنشأ الشيعة كلمة الولاية ليقابلوا بها الظلم والفساد وهي شهادة لعلي بالولاية امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[(٣)].

نزلت هذه الآية الكريمة بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام[(٤)] وبقيت الولاية مع الأذان إلى يومنا هذا لتذكر الخاطئين والغافلين بالواقع المرّ الذي عاشه وعانى منه أهل بيت النبيّ حتّى وصل الأمر لأعدائهم من خلفاء السوء إلى أن

---

(١) نقلاً عن القطوف الدانية ١: ٥٤.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٢٩٧ حديث٣٧٩٨ والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٢٤ والمعجم الأوسط للطبراني ٦: ٩٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٠: ٢٧٠ والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ٢: ٩ حديث٤٤١٢ وكنز العمال ١١: ٦٤٣ حديث٣٣١٢٤.

(٣) المائدة (٥): ٥٥.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ٧: ١٧، والمعيار والموازنة للإسكافي: ٢٢٨ والمعجم الأوسط للطبراني ٦: ٢١٨ ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ١٠٢ وكنز العمال ١٣: ١٠٨ حديث٣٦٣٥.

يأمروا بلعن علي على منابر أستاذه وابن عمه وأخيه نبي الله صلى الله عليه وآله[١].

والولاية في الأذان تتخذه الشيعة شعاراً حبّبه الإمام جعفر الصادق عليه السلام تأكيداً لحق أمير المؤمنين فيها ومسحاً للعنه من عالم المسلمين حيث قال والله ليعلون ذكره إلى يوم القيامة.

ثمّ قالوا – ويا لكثرة وتفاهة ما يقولون -: «إن الأذان هو رؤيا لعبد الله بن زيد في منامه نقلها للرسول صلى الله عليه وآله فأقره عليها.

إذن وحسب رأيهم أن الأذان هو رؤيا لعبد الله بن زيد»[٢].

تُرى بأي وجه حق يصدقون ويطبقون هذه الرؤيا وينسون ويتناسون أن الخالق الباري هو الذي أوحى إلى نبيه عن طريق جبريل بصورة الأذان وكيفيته كما أوحى إليه بصورة الصلاة وكيفيتها وكيف ينسون ويتناسون أن الأوامر الشرعية لا تؤخذ ولا تستقى إلّا عن طريق الوحي.

يقول الصادق عليه السلام مستنكراً دعاوي أولئك الضالّين المفترين على الله: (ينزل الوحي على نبيكم وتزعمون أنّه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد»[٣]، فهل يمكن للعاقل أن يصدِّق أنّ العبادات الموظّفة شرعاً والمحدّدة من قبل الله تعالى تكون عن طريق رؤيا رآها أحدهم، وليس عن طريق النبيّ الكريم الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى؟!

---

(١) انظر سنن الترمذي ٥: ٣٠١ حديث٣٨٠٨ وفيه: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما منعك أن تسبّ أبا تراب»..؟

(٢) سنن أبي داود السجستاني ١: ١٢٦.

(٣) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ٣: ١٩٥.

ما يصحّ عليه السجود

إنّ مهمّة من يكتب عن الشيعة وحقيقتها الشرعية هـي أشـدّ صـعوبةٌ مـن مهمّة الذي يكتب عن أي طائفة أخرى من طوائف المسلمين، وذلك لوجـود عوامل وعقبات تحتاج إلى دقّة فـي المعرفـة ثـمّ إلـى إحاطـة بـالظروف التـي أفرزتها تلك العوامل.

إنّ موقف الشيعة وأتباع أهل البيتعليهم السلام موقفاً دينيـاً صـحيحاً صـلباً أمـام السلطان ومؤازريه منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا وهـو الـدافع الوحيـد إلـى إلصاق التهم المختلفة بهم فقالوا فيهم عيوباً أو شبهاتٍ هم منها براء ومن هذه التهم التي لحقتهم من المناوئين للحق والتي هي من التفاهة بحيث لا تـستحق أي نقاش أو لومٍ ما يصل إلى حد الـتهجّم والهجـوم ألا وهـي تهمـة الـسجود على التربة أو على الأرض أو على نبات الأرض.

وقد سمعنا من العلماء الكبار عند إخواننا السنّة: أنّ الشيعة أهل خرافـات وخلافات وبدعٍ وتعصّب، وهذا ما غرسوه باطلاً في عقـول الأجيـال المـسلمة متّخذين من الشيعة موقفاً معادياً بغير الحقّ، وإنْ إيضاح هـذه القـضية يحتـاج إلى نظرة شاملة مرنة تتحرّك مع الضمير الوجـداني وتتحـرّى حقيقـة الـسجود على الأرض لندرك ما في ذلك من أبعاد وأحكام.

١) تقول مدرسة أهل البيتعليهم السلام إنّه يجب أن يكون موضـع الجبهـة فـي

الصلاة من الأرض أو ما أنبتته الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس.

٢) غيرهم يجوّزون السجود على كلّ شيء، وفي هذا يقول الرسول الكريمﷺ: «جُعلت الأرض لي مسجداً وطهوراً»[١].

٣) يروي مسلم أنّ الرسول الكريمﷺ قال: «جُعلت لنا الأرض مسجداً، وجُعلت تربتها لنا طهوراً»[٢].

٤) عن البخاري قال رسول اللهﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل»[٣].

٥) وجاء في صحيح البخاري: «كان الرسول يصلي على الخمرة»[٤] أو «حصير السعف»[٥].

*** ما يروى عن أهل البيت:**

١) قال الإمام الصادقعليه السلام: «لا يسجد إلّا على الأرض أو ما انبتت الأرض ما عدا المأكول والقطن والكتان»[٦].

٢) وفي قرب الإسناد: وسألته عن الرجل يسجد فتحول عمامته وقلنسوته بين جبهته والأرض؟ قال: لا يصلح حتّى يضع جبهته على الأرض»[٧].

---

(١) صحيح البخاري ١: ١١٣.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٦٤.

(٣) صحيح البخاري ١: ١١٢.

(٤) المصدر السابق: ١٠١.

(٥)انظر المصدر السابق: ١٠٠.

(٦) الخصال: ٦٠٤.

(٧)قرب الإسناد: ٢٠١، حديث٧٧٢.

إن الشيعة عندما يسجدون على التربة فإنهم لا يسجدون لها ولكنه التواضع والتذلّل لله العزيز الجبار لقوله تعالى: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾[(١)].

ويقول الرسول الكريمﷺ: «عليكم بالأرض»[(٢)].

إنّ الساجد على التراب لا تأخذه العزة والعظمة في وقت صلاته وعند وقوفه بين يدي الله، وفي هذا السجود توحيد للناس في الصلاة، فلا تمييز بين الغني والفقير والعظيم والحقير ؛ لأنّ الكلّ يضعون جباههم على التراب، والجبين هو رمز العزّة، وهو أهمّ أعضاء الإنسان ؛ لأنّ بقية الأعضاء تسجد مساعدةً للرأس الذي عليه المعوّل، فلو سجدت الأعضاء ولم يسجد الرأس لم يكن هذا سجوداً.

*** ما يروى عن أهل السنّة:**

١) روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أمّ سلمه راوية الحديث أنّها قالت: قال رسول اللهﷺ: «دخل عليّ البيت ملكٌ لم يدخل عليَّ قبلها فقال لي: إنّ ابنك هذا حسين مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها، قال فاخرج تربة حمراء»[(٣)].

٢) روى الطبراني في (الكبير) عن أم سلمه قالت: أنّ رسول اللهﷺ اضطجع ذات يوم للنوم فاستيقظ وهو خائر النفس فاضطجع فرقد وفي يده

---

(١)طه (٢٠): ٥٥.

(٢) السنن الكبرى ١للبيهقي: ٢١٧.

(٣)مسند أحمد ٦: ٢٩٤.

تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هـذه التربـة يـا رسـول الله؟ قـال [الرسـولصلى الله عليه وآله]: (أخبرني جبريل أنّ هذا يقتل بأرض العراق لحسين فقلت لجبريل أرنـي تربـة الأرض التي يقتل فيها فهذه تربتها»[١].

ويتضح لنا أنّ النبيّصلى الله عليه وآله أخبر كثيراً عن الحسينعليه السلام وبأي أرض يموت، وهذا الخبر من الله سبحانه وتعالى وليس من الرسولصلى الله عليه وآله، فنحن عندما نسجد على التراب فإنّ لنا في ذلك أبواباً كثيرة:

١) تنفيذ أمر الرسولصلى الله عليه وآله الذي لا يجوز السجود إلّا على التـراب كمـا مـرّ بالأحاديث.

٢) تـذليل الـنفس وإذلالهـا للعزيـز الحكـيم ؛ لأنّ الـنفس تابعـةٌ لهواهـا ولزخرف المأكول والملبوس.

٣) السير علـى نهـج الحـسينعليه السلام وذكـراً لمقتلـه (اسـتـشهاده)، وارتباطـاً لمبدئه، نتخذ تربةً من أرض كربلاء إذا وجدت لتكون لنا حافزاً حيـاً حاضـراً أبداً يدفعنا إلى وحدة الكلمة، والسير على شرعة محمّدصلى الله عليه وآله ومبـادئ الأئمّـة الأبرارعليهم السلام.

إنّ الأرض التي قتل عليها سيد الشهداءعليه السلام والتي لم يبايع عليها الظالمين، ليعلمنا العزة والكرامة واستقبال الموت بصدر رحب إذا اقتضت العقيدة ذلك، وللموت عندها خير من الذلّ والخضوع لظلم الظالمين الفاسقين.

ورب قائـلٍ يقـول: إن الـشيعة تمـارس بعـض حـالات التقـديس للتربـة

(١) المعجم الكبير ٢٣: ٣٠٨.

الحسينية من مثل مزيد الاحترام والتقبيل الأمر الذي يثير عند الناس شكوكاً معيّنة.

ونحن نقول لهم: إنّ هذه الحالات لا تمثّل ممارسات غير مشروعة فالمسلمون جميعاً يقبّلون الحجر الأسود في الكعبة الشريفة، ويقبلون القرآن الكريم كما يقبّلون جدران الكعبة، فهل نستطيع أن نقول: أنّهم بذلك إنّما يعبدون هذه الأشياء؟!

إنّ الشيعة حينما يقبّلون التربة فإنّما يجسّدون العشق والحبّ والولاء الذي أمر الله به ورسوله لسبط الرسول الإمام الحسين عليه السلام.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «دخلت على الرسول وإذا بعينيه تذرفان الدمع فقلت: يا رسول الله من أغضبك؟ قال: لا أحد ولكن قام من عندي جبريل عليه السلام فحدثني: أنّ الحسين يقتل بشطّ الفرات، وقال لي هل لك أن اشمّك من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ جبريل يده وقبض قبضةً من تراب فأعطانيها، فلم أملك نفسي، وفاضت عيناي بالبكاء»[1].

إنّ التربة الحسينية هي وثيقة تاريخية حيّة تفضح جريمة المجرمين، وتحمل شواهد الجريمة التي نفّذها نظام الحكم الأموي بكلّ البربرية والهمجية ودموية أهل الغاب، وهي الجريمة العظمى بحقّ صفوة زكيّة اختارهم الله واصطفاهم، وستبقى هذه التربة طاهرة ومقدّسة، وشاهداً حيّاً ما بقيت القضية نابضةً في ضمير الأمّة المؤمنة.

إنّ التعامل مع ذلك التراب ليس تعاملاً مع جماد عادي مبتذل، وإنّما هو تعامل عقلي وروحاني متحرّك من مفاهيم الثورة وقيم الجهاد ومضامين

(١) انظر مجمع الزوائد ٩: ١٨٧.

الشهادة، ونحن نرى في كلّ ذرّة من ذرّات هذه التربة صرخةً للجهاد ونداءً للثورة، وردّاً على الطاعنين بالشيعة، والمدّعين عليهم بأنّهم جهلاء حيث يسجدون عليها، فليعلموا أنّ تربة الحسين المجبولة بدمائه الطاهرة معطرةً بكلّ الرفعة والشموخ، وبكلّ المعاني السامية التي يجب أن نأخذ منها القدوة والمثل الأعلى.

الجمع بين الصلاتين

إنّ الفقه الشيعي الذي يستند إلى كتاب الله وسنّة رسوله وفقه وسلوكية أهل البيت الكرام، قد أهمله الكثير من الكتاب، ولم يحاولوا تحرّي حقيقته الغرّاء خوفاً على سلعتهم من كتبهم التجارية التي جعلوها للكسب والتكسّب، والتي جاؤوا فيها بأحكام جائرة وخاطئة وبعيدة عن الحقّ، يتهمون فيها أهل البيت وما قالوا من فقه وفتاوى حتّى أنّهم طعنوا في العقائد دون تدبّر ولا إنصاف.

إنّنا نأمل ونطلب من كلّ مسلم يحبّ الوصول إلى الحقيقة ونصرتها، ويحبّ أن يعرّف دينه دين المعرفة الحقّة عليه أن يوقف نفسه على خدمة الإسلام والمسلمين، وأن يعمل جاهداً ليساهم في سدّ الثغرات بين الطوائف الإسلاميّة، ولنزع ونبذ التعصّب الذي ساعد على تسلّل أصابع المستشرقين القذرة المغرضة التي ليس لها من هدف إلّا توسيع الخلاف بين المسلمين، وهاأنذا أطرح واحدةً من الأمور التي فيها خلاف بين المسلمين وهي:

الجمع بين الصلاتين: من المسلّم به أنّه لا خلاف بين المسلمين في جواز الجمع في عرفات بين الظهرين والعشاءين، وذلك للحجّاج فقط، واختلفوا فيما عدا ذلك:

فمنهم من أجاز الجمع تقديماً وتأخيراً لعذر السفر.

ومنهم لم يجزه في السفر كأبي حنيفة.

وأمّا الشافعي فقد أجاز الجمع في المَطَر بين الصلاتين تقديماً في الوقت للأولى منهما.

وأمّا مالك فما أجاز الجمع بين الظهر والعصر بعذر المطر.

وأمّا ابن حنبل فقد قال بجواز الجمع بين العشاءين فقط بعذر المطر أمّا الجمع بين الظهر والعصر فما أجازه لا بمطر ولا بغيره.

وقد ذهب جماعة من الأئمة الأربعة إلى جواز الجمع في كلّ وقت لمن لا يتخذه عادةً، وهذا قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك.

اما أصحاب الصحاح فقط اخرج مسلم: «عن انس أنّ الرسولصلى الله عليه وآله إذا عجل عليه السفر يؤخر الظهر إلى أقرب وقت العصر فيجمع بينهما، ويؤخِّر المغرب حتّى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق»[1].

واخرج مسلم: «عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ الرسولصلى الله عليه وآله صلى الظهر والعصر جمعاً والعشاء والمغرب جمعاً من غير خوف ولا سفر»[2].

كما أخرج مسلم أيضاً: «قال سعيد: فقلت لابن عبّاس ما حمله على ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أمته»[3].

أولاً: تدلّ هذه الآثار والشواهد بكلّ صراحة على جواز الجمع بين الصلاتين وأنّ ذلك مشروع بهدف التوسّع على الأُمّة وعدم إحراجها وتفريقها.

---

(١) صحيح مسلم ٢: ١٥١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قال الصادق عليه السلام: «إن الرسول جمع بين الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علة بأذانٍ واحد وإقامتين»[١].

ويقول الإمام أمير المؤمنين: «الجمع في الصلاة يزيد في الرزق»[٢].

إنّ الله سبحانه وتعالى عليم خبير بظروف هذه الأُمّة وبأحوالها الاجتماعية والمعيشية حتّى قيام الساعة، ولذلك فلم يجعل في الشريعة السمحاء من حرج على عباده، وفيهم أهل العاهات وذووا الشيخوخة وأصحاب العمل والمرتبطين بأعمال وظيفية لا تنتهي ولا تنقضي إلّا بعد فوات أذان العصر، فلم لا يجوّز المتعصّبون لمن فاتته صلاة الظهر أن يجمعها مع العصر؟! إنّهم بذلك يخالفون ما جاء في كتاب الله من الرخصة في الجمع، محاولين بذلك إيجاد الفرقة بين المسلمين.

وفي أمور واضحة لا تحتاج إلى تدبّر وتمحيص.

يقول الله تعالى: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾[٣].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ** ﴾[٤].

ويقول المفسّرون إنّ الله سبحانه حدّد ثلاثة أوقات تتضمّن خمسة

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٨٧ حديث٨٨٦.

(٢) الخصال: ٥٠٥.

(٣) الإسراء (١٧): ٧٨.

(٤) هود (١١): ١١٤.

فروض، ولم يقولوا بتعيين الظهر منفرداً عن العصر، ولا المغرب عن العشاء، بل قالوا: ثلاثة أوقات واضحة لا تحتاج إلى دليل.

وأمّا كيفية الجمع: فقد جاء كما أخذناه عن طريق الأئمّة الأطهار وارثي العلم عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: إنّ الوقت بين الظهر والعصر وقتٌ مشترك فمتى صلى الإنسان الظهر فإنّ بقية الوقت المتبقية من حقّ العصر لأنّ الشريك الأوّل أخذ حقّه ووقته، وكلمة وقت مشترك أي جواز التقديم والتأخير في الجمع بينهما ألاّ أنّ الأوّل للأوّل بحيث إذا تأخرت صلاة الظهر إلى ما بعد العصر تصلي الظهر أولاً ثمّ تبدأ بعدها بصلاة العصر.

حديث: قال الصادق عليه السلام: «صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس من غير علة، وصلّى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علة، وإنّما فعل ذلك ليتسع الوقت على أُمّته»[1].

ونكرّر القول إنّ كثيراً من علماء المسلمين المغرضين أو أشباه الجهلة يأخذون مع الأسف بآراء المستشرقين دون أن يعرفوا حقيقة مراميهم التي يمزجون فيها السمّ بالعسل.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصلاتين»[2].

حديث عن ابن عباس: «جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة في غير خوفٍ ولا مطر»[3].

---

(١) الكافي ٣: ٢٨٦، حديث١.

(٢) الكافي ٣: ٢٧٦، حديث٥.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٥٢.

إنّ الله سبحانه وتعالى لا يريد من عباده كثرة العبادة من دون وعي ولا تدبّر، وإنّما يريدهم كما قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا** ﴾[١].

يريد الله سبحانه وتعالى من الإنسان أن يكون عقله ممتلئاً بمعاني ألفاظه ومفاهيم قراءته ليعي ما يقول.

حديث للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «نوم على يقين، خير من صلاة في شكّ»[٢].

فالتشديد على وجوب الصلاة كلّ وقت في وقتها ما جاء في كتاب الله الكريم أمراً محسوماً وملزماً ومجزوماً به، بل هناك الرخصة والفسحة للقيام بالواجبات، وهو سبحانه القائل: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[٣].

وقوله جل وعلا: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[٤]، والله يريد ويأمر ويحبّ أن تؤتى رخصه.

---

(١) الفرقان (٢٥): ٧٣.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٢٢ حكمة رقم ٩٧ وكنز العمال ٣: ٨٠، حديث ٨٨٠١.

(٣) التغابن (٦٤): ١٦.

(٤) البقرة (٢): ٢٨٦.

المسح على القدمين

من البديهيات والمسلّمات أنّه لا يقبل ولا يؤخذ بقول الأعداء والمخالفين ما لم يؤيّد ذلك بإثبات من غير أهله، ويشهد به الآخرون، قاتل الله العناد الطائفي والتعصّب الأعمى الذي طال ليله، وكثر عشاقه المتعلّقون بقشور الأشياء، والذين سبّبوا نكسات وجرّوا جنايات على المسلمين لا تغفر ونحن بأمسّ الحاجة إلى الوحدة بين المسلمين لنستطيع أن نسلك الطريق السوي، وأن نزيل عن طريقنا تلك العقبات المؤلمة.

فقضية المسح في الوضوء على القدمين تعتبر من قبل البعض مصيبة كبرى، وقد سمعنا بآذاننا الكثير من خطباء المساجد يقولون بتكفير كلّ من يمسح بالوضوء، ويعتبرون صلاته باطلة، بينما أركان الإسلام الأوائل من أصحاب المدرستين البصرية والكوفية الذين اختلفوا بينهم، كان منهم من قال بالغسل دون إنكار المسح، وآخرون منهم قالوا بالمسح دون إنكار الغسل.

فلماذا التشدّد والتعصّب الأعمى إلى درجة إبطال الصّلاة وراء من يمسح؟! وهل هذا من الشريعة في شيء؟!

الآراء حول المسح:

مدرسة أهل البيت قالت: بوجوب غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ألا أعلمكم كيف وضوء رسول الله؟ قالوا:

بلى. قال: أتوني بطست فيه ماء ثمّ حسر عن ذراعيه فغمس فيه كفّه اليمنى ووضعها على جبهته ثمّ أسدلها على وجهه وأطراف لحيته مرّةً واحدةً، ثمّ غمس يده مرةً أخرى فوضعها على مرفق اليمنى وغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكفّ، ثمّ غرف بيمينه فوضعه على مرفق اليسرى فأمر الماء على ساعده حتّى جرى على أطراف أصابعه ومسح مقدمة رأسه وظهر قدميه ببلةِ يساره وبقية بلّة يمناه»[1].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾[2].

نريد أن ندخل بالدلائل والقرائن إلى التأكيد أن الوضوء جاء في كتاب الله غسلتين ومسحتين.

١) التيمم في القرآن يأمر بمسح الوجوه والأيدي، بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[3].

هذا دليل على أن مكان الغسل في الوضوء يمسح وبعض مكان المسح.

٢) لماذا يطبّق التيمم عند جميع المذاهب في المسح على الوجه واليدين وإن اختلفوا، فبعدد ضربات التراب فتجدهم يمسحون الوجه واليدين ويتركون الرأس والقدمين لأنّهما مكان المسح.

---

(١) انظر من لا يحضره الفقيه ١: ٣٦، حديث ٧٤.

(٢) المائدة (٥): ٦.

(٣) النساء (٤): ٤٣.

٣) يجيز المذهب الشافعي لبس الخفّ، وهو حذاء داخلي بمثابة الجوارب للقدم، ويجيز المسح عليه بدون أن يمسح القدم، فكيف يجوز المسح على ظهر الخفّ المصنوع من جلد حائل أو غيره ولا يجوز المسح على ظهر القدم مباشرةً؟!

أمّا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّه قد أنكر المسح على الخفين. وورد عن عائشة (رض) النهي عن المسح على الخفين بقولها: «لئن اقطع رجلي أحب إلى من أن امسح عليهما»[١].

وقد سئل ابن عباس، هل مسح رسول الله صلى الله عليه وآله على الخفّين؟ قال: «والله ما مسح رسول الله صلى الله عليه وآله على الخفين بعد نزول المائدة ولئن امسح على ظهر عير في الفلاة أحبّ إلي من أن امسح على الخفين»[٢].

فبأي منطق وبأيّ فهم صحيح لكتاب الله يجوّزون المسح على الخفّ - وهو اجتهاد من الناس - ويحرّمون المسح على القدم ويكفّرون صاحبه - وهو أمر من الله - .

٤) لا يوجد في كتاب الله إلّا آيتان بلفظة الغسل دليل صحته وقول أهل البيت، وكذلك لم يرد في القرآن بلفظة مسح إلّا آيتان، وقد ذكر ذلك الدكتور أبو الزهراء النجدي في كتابه الإعجاز العددي. وأن خير دليل وأقواه هو ما يشهد به الخصوم فقد أكد الكثير من إعلام السنة عطف الأرجل على الرؤوس أي إذا مسح الرأس مسح القدمان ومنهم الرازي في تفسيره الكبير[٣]

(١) نيل الأوطار ١: ٢٢٣، وانظر التفسير الكبير ١١: ١٦٣.

(٢) بدائع الصانع ١: ٧ والمبسوط للسرخسي ١: ٩٨.

(٣) التفسير الكبير ١١: ١٦١.

أما الشيخ إبراهيم الحلبي في كتابه غنيمة المتملي في شرح قيمة المصلي وهو حنفي فقد قال: «الصحيح أن الأرجل معطوفة على الرؤوس في القراءتين ونصبها على المحل وجرها على اللفظ»[١].

ويؤكدّ ذلك العلامة أبو الحسن السندي في حاشيته على سنن ابن ماجة[٢]، وأيضاً الطبري في تفسيره[٣].

أما ابن عباس والحسن وعكرمة وابن كثير فإنهم يقرؤون (وأرجلكم) بالخفض وتأولوها على المسح.

وعن ابن ماجة بسنده عن رفاعة ابن رافع «أنّه كان جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «وأنّها لا تتمّ صلاة لأحد حتّى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين»[٤]. والحق أحق أن يتبع.

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ** ﴾[٥].

فهذه الآية الكريمة ليست في مقام بيان كيفية الوضوء، ولا يستفاد من هذا النصّ أكثر من تحديد الأجزاء الواجبة في الوضوء، أمّا كيفية تنفيذ الوضوء والقيام به فقد أوضحها الرسول الكريمﷺ في وضوئه.

---

(١) غنية المتملي: ١٦.

(٢) سنن ابن ماجة بشرح السندي ١" ٢٦٨.

(٣) جامع البيان ٦: ١٧٨.

(٤) سنن ابن ماجة ١: ١٥٦، حديث ٤٦٠.

(٥) المائدة (٥): ٦.

وإنّ معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾، هي بيان العضو الذي يجب غسله، وإنّ لفظه (إلى) تستعمل أحياناً بمعنى (مع) كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ ﴾[١]، فلفظة: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾، تعني بوضوح أيديهم مع المرافق، وقد أكّد كثير من أعلام السنّة عطف (الأرجل) على (الرؤوس) منهم الرازي في تفسيره الكبير[٢].

وكذلك الجصاص في تفسير أحكام القرآن قال: «قرأ ابن عباس والحسن وعكرمة وابن كثير (وأرجلكم) بالخفض وتأولوا على المسح»[٣]، كما اخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن الإمام علي عليه السلام قال: «كنت أرى أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرها حتّى رأيت الرسول صلى الله عليه وآله يمسح ظاهرهما»[٤].

(١) الصف (٦١): ١٤.

(٢) التفسير الكبير ١١: ١٦١.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٢: ٤٣٣.

(٤) مسند أحمد ١: ٩٥.

العرفان ونشأته

عندما تسلّم الخلفاء الأمويين دفّة الحكم في أواخر القرن الأوّل من البعثة النبوية دفع بهم الترف والرفاهية وشيطان المال وغريزة التملّك والسيطرة والتسلّط إلى الانصراف لإشباع حاجاتهم وغرائزهم في اللهو والمجون والعمل على نشر الفساد، وتشجيع مجالس الطرب والغناء، والبذخ والعطاء في غير وجه حقّ.

وكان كلّ ذلك على حساب مصالح الناس ومقدّرات الدولة الإسلاميّة حتّى انتشرت وراجت أسواق الجواري والقيان مما أحدث هوىً قاتلاً في نفوس الشباب فتعطّلت أو انحرفت طاقاتهم وقدراتهم الفكرية والإدارية والسلوكية وغرقوا بأوحال تلك الحال: (أوليس الناس على دين ملوكهم).

وكردّ فعل من المتمسّكين بدينهم والمحافظين على شريعة الإسلام وقيمها النبيلة فقد انصرف هؤلاء إلى الزهد والتقشّف والعزلة كوسيلة للهروب من هذه الأجواء التي لم يكونوا ليستطيعوا تغييرها، وتعطّلت أو تجمّدت فاعلياتهم الحركية والثورية ذلك ؛ لأنّهم اتخذوا الدين كوسيلة لارتباط الإنسان روحياً بالله سبحانه وتعالى من تفكّر بالذات الإلهية، وإثباتٍ واجب الوجود عن طريق العقل والدليل، وإنّما كان أمرهم عشوائياً لتعطيلهم دور العقل والتعامل مع القرآن الكريم بشكل حركي تقتضيه المصلحة الشرعية والواجب الفردي والجماعي لحفظ الإسلام وما جاء به من معطيات لبناء الحياة بناءاً صحيحاً في سبيل إسعاد البشرية.

أمّا خلفاء بني أمية وبنـي العبـاس فقـد استبـشروا خيـراً، وفرحـوا بـانطواء هؤلاء الناس عن الجمـاهير، وبوضـعهم الاسـترخائي الزاهـد البعيـد عـن روح الإسلام الثورية التي لا تقبل الظلم والفساد والمنكـر والعـدوان والبغـي، وقـام أولئك الخلفـاء بكـلّ طاقـاتهم بتـشجيع أولئـك الزاهـدين بهـدف كبـت روح التحريض واليقظة في مجتمع يفور ويغلي، ويريد أن يثور على الظلم والفساد.

وما هذه التشعبات الكثيرة وتعدّد المذاهب وتشعّب الطرق وتكفير الناس بعضهم لبعض إلّا إفرازاتٌ من هذا الماضي الذي أوجد الضعف في النفـوس والعقول حتّى خيّم الاستعمار بأشكاله القديمة والحديثة واليهودية الاستيطانية العنصرية في وطننا.

ظهور أهـل الزهـد والتـصوّف: يـذكر الـسيّد محمّـد حـسين الطباطبـائي صاحب تفسير الميزان في كتابه الشيعة في الميزان:

أن أول الصحابة في القرن الأول بعد وفاة الرسـول الكـريم ممـن سـلكوا طريق العرفان الحقيقي المبني على القواعـد الإسـلاميّة وفقـاً لعقليـة «سـليمة» متفتحة، للتعرف على الذات الإلهية المتعالية».

أقول إنّ أوّلهم هو سيدي الإمام علي عليه السلام وكان مـن أصـحابه وتلامذتـه سلمان الفارسي، وأويس القرني، وكميـل بـن زيـاد، ورشـيد الهجـري وميـثم التمار، هذا في القرن الأوّل.

أمّا في القرن الثاني فقد أتت بالدرجة الثانيـة طائفـة أخـرى ادعـوا باتبـاع الرعيل الأوّل، ومنهم طاووس اليماني، ومالك بن دينار، وإبـراهيم بـن أدهـم، وشقيق البلخي، وكانوا يسمّون بالزهّاد أو أولياء الله الصالحين.

أمّا في القرن الثالث فقد ظهـر الكثيـر مـنهم أبـو يزيـد البـسطامي، ومعـروف

الكرخي، والجنيد البغدادي، وغيرهم ممن سلك طريق العرفان وادعى المكاشفة والمشاهدة اقتداءً بسلفهم حسب ادعائهم، وكان ادعائهم هذا وأقوالهم متصفة بظواهر لاذعة أثارت أقوال الفقهاء والمتكلّمين، واحتجاجهم سبّب فتناً كثيرة وصدامات كبيرة أدّت بالكثير من الناس إلى السجون أو إلى أعواد المشانق.

ثمّ جاء بعدهم في القرون التالية أُناس ادعوا أنّهم يمتلكون القدرة حتّى على معرفة أهل الجنّة من أهل النار، وأهل الرحمة من أهل العذاب، ووضعوا أنفسهم موضع القادة في الدين والدنيا، وإعمار الحياة بما يُسعد البشرية، وبكلّ أسف فقد عاشت هذه الأفكار القشرية واستمرّت حتّى يومنا هذا مع أنّها لا تنسجم بأيّ شكل من الأشكال مع معطيات القرآن الكريم.

ومن الملفت للنظر أنّ تلك الأفكار القشرية البعيدة عن معطيات القرآن الكريم – كما قلنا – ما تزال تتّسع وتزداد في البلاد الإسلاميّة يوماً بعد يوم، ولكلٍ من تلك الأفكار طريقها وتشعّباتها وشيخها الذي غالباً ما يكون على خلافٍ مع شيوخ الطرق الأخرى.

وقد ادعى شيوخ الطرق هؤلاء – دون الرجوع إلى القرآن الكريم أو دراسته دراسة صحيحة – أنّهم هم قادة الدين والدنيا، وإعمار الحياة بما يسعد البشرية، وأنّهم قد توصّلوا إلى جوهر الدين وحقيقته متوهّمين بذلك أنّهم يقومون بتعميق الحياة الروحية واعتماد الحكمة في السلوك مما يتيح القدرة على استعمال القوّة في ميدان الإرادة لإزالة الموانع من أمام البصيرة، وليسهل عليهم العروج الروحي والعقلي وسير الغيب والاتصال به.

لكنّهم – مع الأسف – لم يعملوا أبداً على شحذ الفكر وتحريره من القيود الذاتية والرواسب الاجتماعية المصطنعة متوهّمين أنّ العرفان فوق

العقل، وضالّين عن طريق القرآن الكريم والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله الذي عمل على إثارة كوامن العقل، وربط العالم المادي بالعالم الروحي عن طريق الفكر والدليل، والشريعة التي هي جوهر العقل وليس كما سلك أولئك ونسجوا لأنفسهم عالماً خيالياً خاصّاً بهم ادعوا أنّهم اختاروا عناصره من الدين والأساطير والعلوم الشائعة على أساسٍ خاطئ لا يعتمد على القرآن الكريم وسنّة رسوله.

وكان منهم ما يسمّون أهل الكشف، وآخرون المتصوّفة مع أنّهم كانوا سبيكةً واحدة من معدن واحد مشوب غير نقي ولا صافي. وقد استحوذت عليهم، وسيرتهم أفكاراً مغلوطةً بعيدةً عن الحقيقة، وخيّم عليهم القلق والكدر ؛ لأنّ أيّاً منهم لم يستطع أن يترجم حاله وعلومه وزهده وتصوّفه إلى إسلام حركي بنّاء للحياة وفاعل فيها، وبقي مُحاصراً ومقيّداً يسيطر عليه كره الحياة والابتعاد عنها والمعاداة لها والتشهير بها والتمرّد عليها.

ويشهّر أنّه غير مسؤول عن الشرّ في هذا العالم ؛ لأنّه يرى نفسه بريئاً كبراءة الطفل، ومستقلاً بذاته عن العالم، ولا حاجة له بالحفظ على بيضة الإسلام أو إلى مقارعة العدو والاستعمار أو بناء تقنية العصر العرفانية، ولا يرى في الحياة إلّا الزهد الخاوي والهروب والمنفعة الذاتية، فهل تأمر الشريعة بذلك أو ترضى عنه؟!

ومما يدفع على الدهشة والتعجّب أنّ من يسمّون أنفسهم أهل الكشف والعرفان حتّى في عصرنا الحديث يحثّون المتصوفة على التمسّك بهذه الطريقة والبقاء عليها مدّعين أنّها هي وحدها التي توصلهم إلى الذات الأحدية فيعيشون على رحيق الذوق العلوي ووجدانه.

نحن نقول وبالاستناد إلى القرآن الكريم أنّ معرفة الله واجبةٌ بالعقل ومستقاه منه، وإن كان السمع قد دلّ عليه بقوله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾[١]. إنّ شكر النعم واجب بالضرورة، وآثار نعمه الكثير ظاهرةٌ علينا، فكيف لا نشكر ذلك المعطي الكريم والرازق الرحيم؟! والعقل والشرع هما اللذان يحقّقان للناس سعادة الدنيا والآخرة.

الخلاصة: العقل والشرع متآزران متعاضدان لا يمكن الفصل بينهما أو أن تجد بينهما أي تضادّ، يقول تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً** ﴾[٢].

يقول الفيض الكاشاني: « اعلم أنّ العقل لن يهتدي إلّا بالشرع، والشرع لن يتبيّن إلّا بالعقل، والعقل كالأساس والشرع كالبناء، ولن يثبت بناء مالم يكن أساس، ولن يغنى أساس مالم يكن بناء»[٣].

وأيضاً العقل كالسراج، والشرع كالزيت الذي يمدّه، فما لم يكن زيت لا يشتعل السراج ومالم يكن سراج لا يضيء الزيت.

قال تعالى: ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ** ﴾[٤].

وأيضاً مرّةً أخرى فالشرع عقلٌ من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما يتعاضدان بل ويتحدان، ولذلك سلب الله تعالى اسم العقل من الكافرين في مواضع

(١) محمّد (٤٧): ١٩.

(٢) الإسراء (١٧): ٩٥.

(٣) انظر الأصول الأصيلة: ١١٨.

(٤) النور (٢٤): ٣٥.

كثيرة من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾[١].

فإذا سمي العقل ديناً فلكونه متحداً مع الشرع وباتحادهما هذا يكونان نوراً على نور، آية ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء ﴾[٢]. يقول بعض الحكماء إن الإلهام إلهامان اثنان حقيقي وغير حقيقي، أما الحقيقي: فلا يتأتى إلّا بتسوية النفس وتهذيبها بالأخلاق المرضية والأعمال الحميدة وأن يكون ذلك العمل مطابقاً للإسلام وموافقاً للشريعة الملائمة لضروريات الحياة والوجود.

آية قال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[٣].

فيكون عند الإنسان إلهامان اثنان، أوّلهما المطابق للشرع، وثانيهما المطابق للهوى والخواطر الشيطانية، ولا يمكن التمييز بينهما إلّا بوجود الإمام بعد الرسول لأن الإمام هو وكيل الرسول وحافظ الدين وصائن الشرع.

قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٤].

فكلّ من يدّعي التصوّف والكشف ولم يكن سالكاً طريق أهل البيت وأولهم سيد الأولياء والعارفين الإمام علي عليه السلام لابدّ وأن يقع في خطأ فاحش يؤدّي به إلى أدنى موقع من مواقع البعد عن الحقيقة وجوهر الدين، وتكون قدمه على شفا جرف هاو، وأمّا من يسلك طريق أهل البيت عليهم السلام بأعماله المطابقة للشرع ؛ فإنّه سيصل إلى الكثير مما خصّ الله به أئمّة الهدى بعبادة عن يقين فيها الإيمان والحبّ والإخلاص.

---

(١) البقرة (٢): ١٨.

(٢) النور (٢٤): ٣٥.

(٣) الشمس (٩١): ٧ – ٨.

(٤) الأنبياء (٢١): ٧.

التصوّف والحقيقة:

إنّ التصوّف لم يكن لبناء الإنسان العابد لله والملتزم بشريعته وإنّما هدفه الوصول إلى مذاقات الاتصال بالوجود المطلق والفناء به أو إدراك الحقائق إدراكاً بالعيان والقلب، وهذا لا يصحّ أن يكون هدفاً وطريقاً صحيحةً لبناء صريح الإسلام الحركي.

ومن الملفت للنظر أنّ عدد وحجم الطرق الصوفية يزداد باضطراد واستمرار في شتّى أنحاء العالم الإسلامي برغم كلّ الخلافات القائمة بين تفرّعات تلك الطرق وكثرة فرقها، ولقد كان التوسّع فيها على الشكل التالي:

لكلّ فرقة منهم شيخٌ من الشيوخ، وبقية أعضاء الفرقة تسمّى مريدين للشيخ، وهم دائماً يلتزمون أثره ويتبعون خطاه، ويسمّونه قطباً، وهو باعتقادهم أكمل إنسان في مقام الفردية، وهو موضع نظر الله في الأرض، وفي كلّ مكان تدور عليه أحوال الخلق، وهو أي شيخ الطريقة يسري في الكون سيران الروح في الجسد، ثمّ يفيض على أتباعه روح الحياة وهو ملجأ الملهوف المحتاج إليه حتّى أطلقوا عليه لقب (الغوث).

وفي اعتقادهم الصوفي أنّ مهمّة القطب هي الخلافة العظمى إليه من الله الذي جعله المتفرّد في تصريف الأحكام وتنفيذها فلا يحدث شيءٌ بين الخلق، ولا يصحّ إلّا وفقاً لأحكام ذلك القطب وعليه، وكلّما مات قطبٌ أقيم مكانه واحد ممن يسمّونهم الأوتاد، أي أهل الدرجة الثانية الذين يساعدهم الإبدال، والبدل في اعتقادهم هو صفوة روحانية تجتمع إليها أرواح الناس في ذلك البلد الذي رحل عنه القطب.

أمّا عدد الإبدال فهو أربعون موزّعين بين الشام والعراق، ثمّ يلي هذه المرتبة مرتبة من يسمّونهم النجباء، وعددهم سبعون ويأتي النقباء في المرتبة الأخيرة ويتوهّمون أنّ هؤلاء النقباء هم الذين يستخرجون خبايا الأرض، وعددهم ثلاثمائة نقيب.

هذه دولة التصوّف والباطن. فأين هي من إمامة الشيعة التي تقوم على أساس المرجعية والتي ترى أنّ مهمتها الأولى هي رعاية المسلمين وهدايتهم وإرشادهم دينياً وسياسياً، وإقامة العدل على الأقوياء والضعفاء في الدولة الإسلاميّة على حدّ سواء؟ ثمّ يتولّى رعاية أمور المسلمين في هذه الحال الفقهاء ومراجع التقليد من إصدار الفتاوى واستنباط الأحكام الإلهية في كلّ ما يهمّ المسلمين من أمور حياتهم الدينية والاقتصادية والسياسية، وهم الذين يرجع إليهم الناس ليعرفوا كلّ الأمور التي تتعلّق بأحكام الشريعة الإسلاميّة وحلولها.

ينطلق اعتقاد الشيعة الإمامية بأنّ وكلاء أهل البيت عليهم السلام هم المراجع في مثل تلك الأمور، فقد قال علي بن الحسين عليه السلام: «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله»[1].

وقد أوصى الرسول على إمامة علي عليه السلام ثمّ إلى الحسن عليه السلام ثمّ إلى أخيه الحسين عليه السلام وهكذا إلى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أمّا العرفان في الفكر الشيعي: فهو بخلاف مراحل التصوّف ابتداءً من حالة الزهد السلوكي ومروراً بحالة الفلسفة الصوفية التي تدعوا في بعض

(١) كمال الدين: ٢٠٧، حديث٢٢.

حالاتها إلى الفناء والاتحاد كما عرفنا عند ابن عربي والحلاج.

وإذا أردنا أن نعرف الفكر الإسلامي الشيعي أفراداً وجماعات من أهل الزهد والعرفان فمما لا شكّ فيه ؛ فإنّهم قد حازوا على أسمى المقامات وأعلى صورها، دون أن يكونوا أتباعاً لإسلام منفصم مسترخٍ يعالج المجال الروحي ويغفل المجال البنائي للحياة بكلّ أبعادها بل أخذوا عن أئمتهم تراثاً بالعرفان العلمي المملوء بمجاهدة النفس وردع الشهوات، ثمّ التعبئة الكاملة للناس في سبيل حماية الإسلام من المندسّين والمخرّبين أعداء الدين، ولنا مثل أعلى وقدوةٌ أولى في الصلاح، تلك التي يمثلها الإمام علي عليه السلام وهو سيد العارفين والسالكين وهو القائل: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»[١].

وهو المعبر عن الوصول إلى النفحات العرفانية التي نثرها في خطبه وعظاته وإرشاداته للناس ومنها: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه»[٢].

ويقول عليه السلام في موضع آخر: «ومن عدّه فقد أبطل أزله»[٣].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٧.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٤.

(٣) المصدر السابق ٢: ٤٠.

البدع

ليس في الخليقة مثل الإنسان حين يستخدم عقله ويُنير بالوحي بصيرته ؛ لأنّ العقل قبس من نور الله الذي أودعه في ضمير الإنسان، وبدونه لا يكون الإنسان إلّا حفنة من التراب، وإنّ ما نجده اليوم من الحضارات والتقدّم العلمي، وما ننعم بخيراته ما هو إلّا من بركة التجلّيات العقلية حيث أبدع العقل عند المبدعين، واكتشفوا كنوز أنفسهم، وتمتّعوا بلذة التحرّر والانطلاق بقوّة نور البصيرة.

لقد جاء الإسلام الحنيف تتويجاً لرسالات الله منبّهاً العقل إلى أهداف الرسالة حتّى أنّه جاء ذكر العقل بمترادفاته المختلفة سبعمائة وخمسين مرّة في القرآن الكريم دلالة وتوكيداً على أهمّيّته.

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[1].

وقد ينشأ عن الجاهليّة المتمثلة في إهمال العقل ورفضه حالة قشريّة تدفع الفرد إلى التمسّك بالتقاليد والإعراف الماضية أيناً كانت تمسكاً شديداً، لأنّه في هذه الحالة لا يريد أن يتحمّل مسؤولية التفكير وإعمال الفكر في حركة

---

(١) الأعراف (٧): ١٥٧.

منطلقة نحو المستقبل، وفي محاولة لإنقاذ النفس والعباد من أصنام البشرية وتحريرهم من الخوف والرهبة والجزع والاستسلام أمام الطبيعة.

انّ اهتمام الإنسان بالماضي، وجعله بديلاً عن الحاضر، هو الذي يحدّ من تطلعات الإنسان، ويعرقل طموحه فيجعل دروبه مليئة بالعراقيل حتى ليعجز عن الفهم والتحصيل واستخدام إرادته الحرّة للوصول إلى أهدافه.

وما أسرع ما دخلت على المسلمين القشريين البدع المختلفة، وذلك عن طريق التفسير الخاطى للدين الذي قلب الحقائق رأساً على عقب، لأنّ القناعات والمفاهيم الفكريّة متى فسدت فقد فسد كلّ شيءٍ في الإنسان.

والآن لنتساءل ما هي البدعة؟:

البدعة: لغوياً هي الإضافة وليس النقصان، وهي هنا إضافة منسوبةٌ إلى الدين.

يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»[1].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أُحدثت بدعة إلّا ترك بها سنّة فاتقوا البدع وألزموا المهيع إنّ عوازم الأمور أفضلها، وإنّ محدثاتها شرارها»[2].

وكثيراً ما تكون البدعة ذريعةً لصاحبها طلباً للمنفعة ولكن محاولته لا تنجح لإنه اتبع سبيل البدعة.

حديث من الرسول صلى الله عليه وآله: «عمل قليل في سنّة خيرٌ من عمل كثير في

(١) الكافي ١: ٥٤ حديث٢.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٨ – ٢٩.

بدعة»[1].

ويأمرنا الدين بمحاربة أهل البدع ومحاصرتهم اجتماعياً ونهيهم عما هم فيه حتّى لا تنتشر بدعُهم ويضل الناس بها.

يقول الرسول ﷺ: «من أتى ذا بدعة فعظّمه فإنّما يسعى في هدم الإسلام»[2].

إنّ الاختلاف بين المسلمين ليس في أصول الدين، ولا في نزول الوحي، وإنّما هو في تفسير المبادئ، فإذا راح يفسّر كلّ واحد حسب رأيه وعلى هواه، ثمّ ينسب ذلك إلى الدين فقد تعصّب وابتدع وافترى على الله كذباً، ولذلك يتوجّب على الفقهاء العدول والعلماء والدعاة إلى الله أن يرفضوا هذه البدع، وأن يحولوا دون انتشارها بين العوام ؛ لئلا تكون لهم ديناً وعقيدة من دون الدين الصحيح.

يقول الرسول الكريم ﷺ: «إذا رأيتم أهل البدع فباهتوهم»[3] أي بالحجة آية: ﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[4].

قصة: جاء جماعة إلى رسول الله يريدون الدخول في الإسلام فوضعوا ثلاثة شروط:

١) أن يبقوا في أصنامهم سنة كاملة.

٢) أن لا يصلوا صلاة المسلمين إلّا بعد سنة.

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٨٥، حديث٨٣٨.

(٢) الكافي ١: ٥٤، حديث٣.

(٣) انظر المصدر السابق ٢: ٣٧٥، حديث٤.

(٤) البقرة (٢): ٢٥٨.

٣) أن يقوم الرسول بنفسه بتحطيم أصنامهم.

قال الرسول صلى الله عليه وآله الشرط الثالث مقبول والبقية مرفوضة.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يهادن في سبيل الحقّ ولم يقبل بقائهم على عبادتهم يوماً واحداً، ومن هنا نستخلص أنّ الله سبحانه وتعالى لم يبعث رسله إلّا بعد إعدادهم إعداداً متكاملاً انطلاقاً من رعاية الغنم حتّى رجاحة العقل والصبر على البلاء والابتلاء ليكون أهلاً لتحمّل الرسالة، ثمّ يبعث إليه برسالة السماء طالباً إليه توجيه الناس توجيهاً رسالياً متماسكاً وليزرع فيهم بذور العقيدة الراسخة الجلية الصافية من كلّ شائبة، ثمّ يوحي بعد ذلك بوجوب الابتعاد عن البدعة ؛ لأنّ «كلّ بدعةٍ ضلالة وكلّ ضلالةٍ في النار»[1].

إنّ الوصول إلى الحقّ بغير طريق الحقّ باطل. لنضرب مثلاً: إذا أردت أن تبني مسجداً ورحت تحدّث الناس أحاديث مختلقة من نفسك لتشجّعهم على العطاء ؛ فإنّ سبيلك إلى بناء المسجد هو سبيلٌ غير مستقيم، وهذا ما يرفضه الإسلام الذي لا يريد مسجداً يبنى على التملّق والحيلة وأساليب الكذب والخداع.

ثمّ إذا أردت أن تقيم مولداً إحياءً لذكرى الرسول صلى الله عليه وآله فإن كان ذلك العمل بنيةٍ سليمة وبالطريقة الشرعية فهذا حلال، ولكن إذا أدخلت عليه مالم يفعله الرسول من قبيل كالدفّ والطبل والضرب بالشيش بغير إظهار وإبراز بعض الشخصيات، فهذا حرام وصاحبه آثم أمام الله ؛ لأنّ هذا ليس من الدين في شيء بل هو بدعةٌ وضلالة.

---

(١) الكافي ١: ٥٧، حديث١٢، والحديث عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

الخرافات

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾.

يقول سبحانه: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا** ﴾.

إنّ الاستعلاء والاستكبار والأنانية المفرطة وحبّ الذات والابتعاد عن الخير وعن خدمة ومحبّة الناس كلّها من صفات الأُمّة العنصرية ﴿ **وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ** ﴾.

ومثل هذه الأُمّة تبتعد عن توجيهات الله سبحانه وعن سنن التاريخ وتجارب الناس، وتشوّه الحقائق، وليس أمامها بعد ذلك إلّا الهبوط إلى حضيض السحر والشعوذة والدجل.

كانت الشياطين تخدم وتطيع نبي الله سليمان، وبعد موته خلّفت هذه الأجواء وراءها مجموعة من العقائد والأفكار الباطلة ؛ لأنّ عنصرية الشعب حين ذلك ولدت عنده القناعة بأنّ هذه الأفكار هي من عند الشياطين الذين كانوا حول سليمان وفي خدمته، وظنوّا أنّه مادام سليمان نبياً فإن هذه الأفكار هي من

عند الله، والتبس عليهم الأمر فتركوا كتاب الله المنزل، واتبعوا أفكار الشياطين.

وبما أنّنا لا نؤمن بالسحر، ولا بالساحر لما يحملانه من خطورة في ربط الناس بالخرافة والتضليل والتمويه، والابتعاد عن الطبيعة الحقيقية للأشياء تحت ستار من الأسرار الغامضة التي ليس لها ارتباط بالجانب الحسّي في قضايا الحياة الواقعية، وهي تفتقر إلى الأدلّة الشرعية والوجدانية، وما هي إلّا ضربٌ من التخيل وصنعةٍ من لطيف الصنائع التي أمر الله بالتعوّذ منها في سورة الفلق.

حدود عمل الشياطين: يتبيّن لنا من سياق الآيات الكريمة أنّ الشياطين عاملون قائمون بذاتهم، لهم عباداتهم وتصرّفاتهم الخاصّة بهم، المختلفة عن العالم الخارجي، وقد جعل الله عندهم القدرة على اختراق بعض الأجواء ؛ لأنّهم أجسامٌ شفّافة وغير مرئية يصلون إلى عالم خارج عالمهم، ويسترقون السمع من أحاديث الملائكة وأصواتهم، وقد هيّأ الله لهم شهباً ترجمهم وتسقطهم إلى الأرض حيث يلتقون مع بعض بني الإنسان من الذي اعتمدوا على الشرك بالله مقابل بعض الأمور الدنيوية التافهة كمثل هاروت وماروت اللذين نزلا ببابل على طبيعتهم إن كانوا ملائكة أو من الجنّ فعلّما الناس السحر ليكون تبياناً لخطر هذا العمل، وليكون حجّةً على الناس الذين يريدون نشر الضرر بين بني البشر، ويفرّقون مابين المرء وزوجه، وهم يعلمون أنّهم بذلك إنّما يعصون الله ويكذبون على الناس، وهم يسمعون الأحاديث الواردة بحقّهم وإنّهم من أهل النار.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[1].

---

(١) الجن (٧٢): ٦.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾[١].

وهذا دليل على أن بعض الناس يستعينون برجال من الجنّ سيطروا عليهم بطرق محرّمة وبالطلاسم المستخرجة من أعمال محرّمة حتّى صاروا يستطيعون الكلام مع الجنّ.

إن الشيطان أو الجان لا يعرفان من أسرار الحياة وأسرار الناس إلّا القليل، ولا يعلمان إلّا بعض الأشياء عن الماضي من الزمان، وليس لهما القدرة على معرفة المستقبل، وهما ينقلان إلى صاحبهما بعض الأخبار فيتظاهر بها الساحر أمام الناس، ويصدّقه السذّج في هذه المعلومة الضئيلة التي يبني عليها الساحر بقية المسرحية من خياله فيرهق نفسه بالكذب ليكمل معلومة الجنّ ويبقى مرهقاً مسلوب الضمير والوجدان؛ لأنّه امتهن المكر والخداع، أكثر من الشيطان.

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾[٢].

إنّ كيد الشيطان أضعف من قدرات الإنسان بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[٣].

الحياة مادّة، والإنسان أعلم بها من غيره، ولو كانت الشياطين تعلم

(١) الأنعام (٦): ١١٢.

(٢) إبراهيم (١٤): ٤٦.

(٣) النساء (٤): ٧٦.

لأخبرت الملوك وأصحابهم عن خزائن الأرض وكنوزها.

إنّ السحر عمل حرام يخرج به صاحبه عن طاعة الله موغلاً به في الشرك والظلم والفساد، والساحر وطالب السحر كلّهم في الجرم سواء.

الإسلام الجغرافي (تأثير البيئة): عندما نقول: فلان مسلم أو غير مسلم منطلقين بذلك من موقع جغرافي معيّن يعيش فيه ذلك الشخص، فإذا كانت بيئته مسلمةً بحكم التقليد والوراثة أطلقنا على ذلك الشخص صفة الإسلام، ولكنّه إسلام تقليدي جغرافي يتلاءم مع الوسط والبيئة التي يعيش فيها.

أمّا الإسلام الواقعي الذي يحمل القيم الروحية السماوية فإنّ المسلم فيه قد استوعب حقيقة الإسلام والتسليم في قلبه وأوسع للحقيقة مكاناً في صدره ليأخذ بما هو حقّ، وليعمل به بعد أن فحصه وتحقّق منه بعيداً عن التعصّب، وحاشا لله أن يعذّب إنساناً دون أن تكون الحجّة عليه تامة.

حيث إنّ علماء الأصول قالوا: «قبح العقاب بلا بيان»[1].

قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾[2].

قال أحسن عملاً، ولم يقل أكثر عملاً ؛ لأنّ الإنسان إذا قام بعمله بدافع الرياء وجلب المنافع المادية ؛ فإنّ لعمله حينئذ بعداً واحداً فهو ناجح بحكم واقع الحالة الاجتماعية، ولكنّه فاشل ومغضوبٌ عليه من حيث البعد المعنوي الإلهي، خادعاً نفسه وإخوته في الإيمان ومحاولاً خداع ربّه.

---

(١) كفاية الأصول: ٣٤٨ و٣٥٦.

(٢) الملك (٦٧): ٢.

إنّ الإنسان الذي لا يعرف الله لا يستطيع تمزيق الحجب، ولا تجتاز نفسه المراحل الروحية لينال السرور والسعادة والطمأنينة الروحية ؛ لأنّ الإسلام يريد العمل صادقاً حيّاً ولا يريده خادعاً ميّتاً لا روح فيه، فإذا أدّى المسلم الزكاة وخالطها شيءٌ من الربا فإن هذه الزكاة مردودة وغير مقبولة، وإذا زحف المسلم إلى الجهاد وخالط ذلك الرياء وحبّ الظهور ؛ فإنّه غير مقبول منه.

ما أكثر الأعمال الضخمة التي تبدو لنا ضخمة ولكنّها عند الله لا تساوي قطعة صغيرة من النحاس الأسود كالقصور والمعابد والمساجد والمشافي والمدارس التي يتبرع بها بعض عشاق التظاهر والغرور من أبناء المصالح الدنيوية.

قال تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾[١].

ضرب من الخرافة: نعيش في بلدنا عادات وتقاليد قديمة تتحكّم بالإنسان، وتقيّد حركاته، وتعرقل انطلاقه نحو المستقبل، ومن أهم وأخطر تلك التقاليد عادة منكرة صارت كالإخطبوط يتعلّق حولها الجاهلون وبعض العلماء، وهي قضية الضرب بالشيش والسلاح وقلع الأعين كما يدعون، وإدخال اليد في البطون وإخراج ما فيها من طعام، وإطلاق الرصاص على الرؤوس والأجسام (الأمر هكذا).

إنّ الإسلام يدعونا أن نلتزم بالتوحيد على أساس المفاهيم القرآنية، وأن نحافظ على صفائه في جو من الصفاء الذي يريده لنا الله، وأن تبيّن الخطوط الفاصلة مابين خطي التوحيد والشرك، وأن لا نتحرّك وفقاً لأساليب اللفّ

---

(١) فاطر (٣٥): ١٠.

والدوران والمصانعات والمجاملات التي لا يقرّها الإسلام، ولم يعمل بها المصطفى محمّدﷺ.

إنّ قضية الضرب بالشيش والرصاص وما شابهها غرق فيها الكثير من الناس ما بين عالم وجاهل وكبير وصغير في مجتمع مسلم يعيش فيه الناس في فترة هي أسوء فترات تاريخنا، فترة يعجز فيها المسلم الواعي أن يعالج هذه العقائد المزيّفة والتيّارات المنحرفة التي نعتبرها كارثةً على الإسلام والمجتمع المسلم، والتي ستلد لنا عاجلاً أم آجلاً نتائج بشعة قاتلة تعيق كلّ فهم صحيح لروح الإسلام، وكلّ تقدّم وتطوير يطالب به الإسلام لكلّ حركة وعي، ولكلّ محاولة فهم إسلامي صحيح، وسلوك إسلامي صحيح.

هذا الإضافة إلى أنّ مثل هذه الأضاليل تفعل فعلها السلبي في نفوس الناس فيحتارون ولا يدرون على أي صعيد يعملون، وفي أي اتجاه يسيرون ويركنون إلى التوكل.

الارتباط بالخرافة: لقد أصبحت البدع والخرافات جزءاً كبيراً وواسعاً من حياتنا الدينية، ونحن - بكلّ ألم وأسف - نرى العالم الذي يمتلك طاقة فكرية وفهماً واسعاً يرتبط بشيخ من شيوخ الطرق. ويركن إليه حتّى ولو كان هذا الشيخ أمّياً وجاهلاً في الدين، ولكنّه يتظاهر بالكرامات وبعلوم باطنية وعينية قد وهبها الله له حسب ادعائه مؤكّداً ما يدعيه بقيامه ببعض الحركات البهلوانية التي يبرز من خلالها أنّه يستطيع إدخال السلاح في الجسم، وقلع العين، وما إلى ذلك.

إنّ مثل هذه المظاهر ليس لها أساس في قوانين الشريعة المحمدية، والدستور الإسلامي، وإنّها أخذت أهمّيّةٌ كبيرةً لا بسبب صدقها، ولكن بسبب

سذاجة وتقليدية الناس، والأدهى والأمَر من ذلك أنّ معظم أصحاب هذه الضلالات ليسوا من أهل الصلاح والتقوى، وليسوا ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم بعيدون كلّ البعد عن روح الإسلام، وإذا سألت بعضاً من أتباعهم عن هذا التناقض بين سلوكه في المجتمع وبين ادعائه في الدين لقال لك إن هذه كرامة قد خصّهم الله بها.

وإذا ما سألته أيضاً: إنّ شيخك أُمّي أو شبه أُمّي، وأنت مثقّف فكيف تكون تلميذاً له؟!

وماذا يمكن أن تستفيد منه؟

أجابك هو الآخر: أنّ الطريقة شيء، والشريعة شيء آخر، ثمّ يحاول أن يقوّي موقفه، وموقف شيخه فيأتيك بأحاديث لا تمتّ إلى الإسلام والقرآن بصلة، ويعطيك تفسيرات بعيدة كلّ البعد عن منطق العقل، وهو بذلك إنّما يحاول تنزيه وتأييد عمل هؤلاء الشيوخ.

وقد يشتطون ويغالون مدّعين أنّ أعمالهم هذه هي التي تدخل الإيمان إلى قلوب الناس، وأنّ هذه الطريقة أفضل من الطريقة التي اتبعها الرسول الكريم الذي كان يدعوا إلى اسم ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

إنّ الإسلام الحنيف بريء من مثل هذا الرجل ومن أصحابه، وإنّ تاريخنا البعيد والقريب يشهد أن المستعمر قد أحسن الاستفادة من أهل الشيش والدفّ هؤلاء، وأنّه كان يموّلهم ويغرقهم بعطائه.

أخي المسلم كلّنا يعلم أنّ الله العلي القدير هو مع المتقين، وهو قريب من المحسنين، وهو الذي ينصر من ينصرونه، ويهدي إلى سبيله المجاهدين

لنصرة الدين، ونحن جميعاً نعلم أنّ الإسلام الحنيف ورسوله الكريمﷺ لا يقبلان البدعة والخرافة ؛ لأنّ الإسلام دينٌ شامل كامل مناسب لبني البشر في كلّ زمان ومكان، فمن أين أتى هؤلاء الذين لا يفرّقون بين الحلال والحرام بمثل هذه البدع؟!

وحتّى لو فرضنا جدلاً أنّ بدعتهم تلك هي إحدى كرامات المتقين فهل يحقّ لصاحب التقوى أن يتظاهر بهذه الكرامة وأن يتاجر بها وأن يتبجّح ويدعي أنّه ولي من أولياء الله؟!

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾[1].

أي أنّهم لا يُراؤون ولا يدّعون ولا يتظاهرون بما زعموه لأنفسهم من الكرامات.

الشبهة الظالمة: ويدعي هؤلاء الذين يضربون بالشيش والسلاح أنّ هذا العمل مأخوذ ومستقى من الشيخ الأوّل الرفاعي، والذي سألوه في حياته: كيف شقّ الملائكة صدر رسول اللهﷺ؟ قال هكذا، وفتح صدره بيده حتّى بانت أمعاؤه: وبقيت هذه المعجزة أو الكرامة يتناقلونها شيخاً عن شيخ، ويدعمون من يتبعهم سرّ الضرب وشقّ الصدر، ثمّ كبرت هذه الرواية حتّى أصبحت من المسلّمات عندهم، بل الأصول الصحيحة التي يعتمدون عليها.

ونحن نقول أمّا الباطل فيذهب غثاءاً وأما ما ينفع الناس فيبقى، ونستغرب ونتساءل أوليس النبيّ الكريمﷺ طاهراً مطهراً ومصطفى من عند ربّه منذ

---

(١) يونس (١٠): ٦٢ – ٦٣.

خلقه الأوّل؟ وهو الذي بعثه هادياً ونذيراً ومبشّراً وسراجاً منيراً ورحمةً للعالمين، كيف يكون الطاهر من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة ذرية بعضها من بعض، كيف يكون في قلبه علقةً نجسة ليرسل الله سبحانه الملائكة فيمسكون به وهو طفل، ثمّ يجرون له عملية جراحية لإخراج تلك العلقة النجسة؟!

أوليس مثل هذا القول تجديفاً على النبيّ المصطفىﷺ وقذفاً في شخصه الكريم؟ ثمّ لماذا لم يأمر الخالق العظيم بإجراء مثل هذه العملية للأنبياء من قبل محمّدﷺ والذين يربوا عددهم على مائة وعشرين ألفاً مابين نبي ورسول؟

مثل هذا الكلام المختلق والمؤذي مرفوضٌ ومردود بحقّ النبيّ محمّدﷺ الذي هو من نور الله، وحبيب الله، وقمة في الكمال البشري، وهل لو لم يقم الملائكة بإجراء تلك العملية - على حدّ زعمهم - لكان بقي سيد الأنبياء وسيد الخلق يحمل علقةٌ من النجاسة والدنس في صدره، ولما أشرقت الأرض بنور مولده.

إنّ من واجبنا كمسلمين حقيقيين أن نفرّق ما بين الحقيقة والخرافة، ما بين الإسلام الحقيقي والإسلام المشوّه المصطنع حسب مفاهيم ذوي المطامع الكبيرة والعقول الصغيرة وإنّها لمصيبة كبرى أن يتبع المسلمون مثل هؤلاء وأن يصدقوهم لكن ومرّة ثانية نذكر بقوله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء** ﴾[١].

---

(١) الرعد (١٣): ١٧.

إن عبارة ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾[١] في القرآن الكريم لا تعني شق الصدر، وإنّما تعني السعة المعنوية لا الجسمية سعةٌ تختزن من الصبر والتحمّل والتجمّل مالا يسعه قلب بشر، وهو الذي قال فيه الخالق العظيم: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[٢] ولو كانت السعة تعني المفهوم المادي والجسمي لوجب إجراء الكثير من العمليات الجراحية لتوسيع صدور المؤمنين ولإزالة العلق الدنس اللاصق بأكبادهم.

إنّ تقوى المؤمن في صدره وإن سبيله إلى الله هو التوجه السليم، والقلب السليم والعمل الذي يرضى عنه الله ورسوله.

---

(١) الشرح (٩٤): ١.

(٢) القلم (٦٨): ٤.



حملة الإسلام عبر التاريخ والقرآن

حملة الإسلام عبر التاريخ والقرآن

الأئمّة الأطهار عليهم السلام:

آية: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ**﴾[1].

يتضح لنا من خلال هذا البحث والآيات المتقدّمة أن الذين قادوا التاريخ السياسي الإسلامي في صدر الإسلام ودوّنوه هم الذين قاموا بالتعتيم والتستّر على الانهيارات التي توالت عبر التاريخ حتّى حوّلت النظام السياسي في الإسلام إلى هيكل عظيم لا روح فيه إلّا اسم الإسلام، وهم أنفسهم الأحزاب الدينية العربية التي تولّت قيادة موكب التقليد الأعمى، وتاجرت بالآلام المصطنعة وخلطت كلّ الأوراق لغاية في نفس يعقوب، لتؤكّد للناس أنّ التاريخ السياسي الإسلامي الذي مرّ عبر مئات السنين هو نفسه النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله.

وأنا بجهدي المتواضع أحاول أن أبيّن هذه المغالطة الكبرى أن ما نقرأه ويرسخ في أذهاننا من هذا التاريخ هو الأمر المناقض للقرآن والحقيقة.

لقد جاء في السير والتاريخ أن أصحاب رسول الله «كالنجوم بأيّهم

---

(١) السجدة (٣٢): ٢٨ – ٣٠.

اقتديتم اهتديتم»[(١)] وجاء أن أصحابه عدول، وأنّ كلّ من رأى وعاش معه وصحبه ولو لحظة واحدة فهو صحابي، ولا يجوز التمايز بينهم في جميع الأمور الدينية والدنيوية: ونحن إذا قرأنا القرآن وعرفنا ما أثبته من مجريات الأحداث عبر التاريخ في حياة الرسول وبعد وفاته يتبيّن لنا بأن الناس أقسام مكشوفة أفعالهم واتجاهاتهم فمنهم المؤمن، ومنهم المنافق، ومنهم المتهادي بينهما، ومنهم الكافر الذي انطوى تحت لواء المسلمين ولم يؤمن طرفة عين، وبقي يختزن الطعن والأذى لضرب الإسلام مستعيناً بأصحابه تارة. وبالمنافقين تارةً أخرى، وتمكّنوا من الدسّ في الإسلام ما يستطيعون من الأحاديث التي تلعب دوراً فعّالاً في ضرب الإسلام في صميمه ليصبح كما يقول المادّيون: الدين أفيون الشعوب، أي خاوي من الروح الثورية والعملية.

إنّ ما جرى في حياة الرسول من بدء رسالته حتّى نهاية حياته كافياً لإعطاء الصورة الواضحة عن جميع الذين عاشوا في وسط الإسلام باسم الإسلام.

قال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَّ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[(٢)].

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢: ٩٠. والأحكام لابن حزم ٦: ٨١٠ وفيه: «قال: ثنا البزار: وأمّا ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فهذا كلام لا يصح عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

قال: أبو محمّد: فقد ظهر أنّ هذه الرواية لا تثبت أصلاً، بلا شكّ أنّها مكذوبة...».

(٢) آل عمران (٣): ١٤٤.

إن ذهاب الرسول إلى المدينة خلال هجرته لم يكن الإسلام قد شمل الناس جميعاً ولكنّه أخذ الدور الأكبر والغلبة مما أجبر الكثير من المعاندين وأهل المصالح أن يعلنوا الدخول في الإسلام بدون قناعة أو إيمان وهذا القرآن يكشفهم والرسول يعرفهم، ولكن ليس من خلق النبوة كشف أسرار وأستار الناس بل كان يتركهم للزمن والقناعة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[١].

هذا في بادئ الدعوة وبقيت السموم في نفوسهم تجري ويحاولون كشف جميع الخطوط الإسلامية لأعداء الإسلام.

قال تعالى: ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[٢].

إنّ كثيراً من الناس ذهبوا مع الرسول في غزوة تبوك – الجيش الذي أعدّه الرسول لقتال الروم عندما سمع أنّ الروم يعدّون العدّة لمهاجمة المسلمين – كان ذهابهم للغنائم فقط ليس لنصرة الإسلام لأنّهم عند رجوعهم من تبوك (ذكر الواقدي في مغازيه) أن المنافقين أرادوا الوقيعة برسول الله في بعض الأودية فلما علم الرسول من جبريل بفعلهم جعل الناس يسلكون بطن الوادي وسلك الرسول طريق العقبة خارج الوادي وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق الناقة فلما علم المنافقين أنّ

(١) التوبة (٩): ١٠١.

(٢) التوبة (٩): ٤٨.

الرسول لم يسلك بطن الوادي داهموه ليلاً ملثّمين متكالبين على غس الناقة به ليطرحوه من فوقها قتيلاً ولكن حذيفة بن اليمان الذي كان يسوق الناقة قام بضرب وجوه رواحلهم بمجص في يده وبقي يضربهم ويرد رواحلهم عن ناقة الرسول حتّى ظن القوم أن أمرهم انكشف فرجعوا مسرعين واختلطوا بين الناس متسترين فسأل الرسول صلى الله عليه وآله حذيفة بعد أن غضب غضباً شديداً: هل عرفت أحداً منهم فقال: نعم يا رسول الله لقد عرفت رواحلهم راحلة فلان وفلان ولشدة ظلمة الليل واللثام على وجوههم لم أميز أحداً منهم[١]، فقال صحابي وهو أسيد بن حضير اسمح لنا بقتلهم فلم يقبل الرسول فنزل بحقهم من الله.

آية قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[٢].

وذكر الطبرسي في تفسيره مجمع البيان أنها نزلت في اثنا عشر رجلاً وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وآله عند رجوعه من تبوك فأخبره جبريل عليه السلام بخططهم[٣].

---

(١) انظر امتاع الأسماع للمقريزي ٢: ٧٤ و٥: ٣٢٣ – ٣٢٤ و٧: ٢٤٠ و٩: ٣٢٨ والسيرة الحلبية ٣: ١٢٠ – ١٢١.

(٢) التوبة (٩): ٦٤ – ٦٦.

(٣) مجمع البيان ٥: ٨١.

ثمّ من أهل المدينة قاموا بعملية كبيرة لتدمير الإسلام عندما بعث الصحابي حاطب بن بلتعة رسالة مع امرأة وبعث معها رجلين إلى أهل مكة يخبرهم بقدوم الرسول إليهم محارباً وفاتحاً بجيش كبير فأخبر جبريل الرسول بهذه الرسالة فبعث علياً بن أبي طالب ولحق بهم وأخرج الرسالة من وسط ضفيرتها بعد أن هددها بالقتل لما امتنعت، وبعدها اعتذر حاطب بن بلتعة من رسول الله بأعذار فعفا عنه[1].

وإنّنا نجد أنّ القرآن يذكر المنافقين في عشرات من الآيات ويأمر الله رسوله بجهادهم وبجهاد الكفار بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[3].

لذلك نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله عندما أراد دخول مكة كشف عن بعض العينات من الرجال والنساء وأمر بقتلهم، ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، فمن الرجال أربعة هم: (عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن حباحبة)[4].

ومن النساء فينتان كانتا تغنيان وتهجيان رسول الله صلى الله عليه وآله اسم إحداهن قريبة فأمر الرسول بقتلها فقتلت - والثانية هربت فتنكرت وتابت على يد

(١) صحيح البخاري ٤: ١٩.

(٢) التوبة (٩): ٧٣.

(٣) التوبة (٩): ٩٦.

(٤) سنن النسائي ٧: ١٠٥، والمستدرك على الصحيحين ٢: ٥٤.

رسول الله، وأسلمت[(١)].

وهذا العدد كافي بأنه كان الكثير يعلنون الإسلام في حياة الرسول وهم يعملون على هدم الإسلام ومنهم الذين خذلوا رسول الله في غزوة أُحد وانفصلوا عن جيشه راجعين إلى أهلهم وعددهم (٣٠٠) من أصل (١٠٠٠)[(٢)] مدعين بأنّ الرسول أطاع الصبية والولدان فرجعوا والرسول بأحرج الظروف وأمسّ الحاجة إليهم، وأراد الصحابة الباقون قتلهم فمنعهم رسول الله ﷺ وقال إنا لا نستعين بمنافقين.

قال تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً** ﴾[(٣)].

وجاء يوم الفتح ودخل الرسول ﷺ مكة فاتحاً منادياً بـ: «لا إله إلّا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[(٤)].

فكان أهل مكة يظنون أنّ السيف لا يرفع عنهم لكن الرسول ﷺ أراد أن يكشف مدى إيمانهم بمجيء الإسلام والمسلمين، ومدى كرههم للإسلام، ولهذا قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»[(٥)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢: ١٩٠.

(٣) المنافقون (٦٣): ١ - ٢.

(٤) سنن الدارقطني ٣: ٨٣، حديث ٣١٤٥.

(٥) صحيح مسلم ٥: ١٧٣.

فكان التقسيم السياسي للرسول بهذه الكلمات من أجل أن يكشف بأن الذي يدخل بيته إلى عياله هذا لا يريد القتال، وأما الذي يذهب إلى بيت أبي سفيان فهذا الذي مُليء حقداً على الرسول والإسلام، فذهب إلى القائد وانضمّ إلى صفوفه معلناً نصرته والقتال معه، لكن الرسول صلى الله عليه وآله الرحيم العطوف بعدما كشفهم ووجدهم عند أبي سفيان قد تجمّعوا جميعاً ينظرون الأوامر، وبعد أن طوّقهم وأثبت الحجّة عليهم، وأصبحوا أسرى بين يدي الرسول، قال قولته المشهورة: «يا أهل مكة ما ترون إني فاعل بكم: قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم فقال الرسول صلى الله عليه وآله: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1].

فتركهم الرسول صلى الله عليه وآله تحت سيطرة الإسلام، طلقاء، من شاء فليؤمن ومن شاء فليبقى على عقيدته ؛ لأنّ الإسلام لا يُدخل بالقوة مما حدا بالناس أن يعلنوا الإسلام المبطن بالنفاق بدءاً من القائد أبو سفيان وولده معاوية وبقية الناس من أهل مكّة، لقد كشف الله لرسوله أسرار أهل مكّة وما يخفون، وكشف لرسوله إعلانهم الكاذب للإسلام بأنّهم كانوا يقولون سابقاً ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2].

ما أنزل الله تبياناً لدعوة الرسول لأهل مكّة أكثر من عشرين سنة، وما زادتهم إلّا إصراراً على الكفر، وعبارة الأوثان، وصموا آذانهم عن الحقّ، وتبعوا عصبيتهم وشياطينهم، وتحدّوا الله ورسوله والمؤمنين حتّى جاء نصر الله المبين، وكشف كلّ إيمان مزيّف من المعاندين والمرجفين بقوله تعالى: ﴿**قُلْ**

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٣٧.

(٢) السجدة (٤٨): ٢٨.

يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[١].

هكذا أراد الله سبحانه عبر كتابه الكريم كشف زيف المرجفين، وكذب المنافقين من قلب الحقائق عبر التاريخ، ووضعهم لمن لا يستحقّ قيادة المسلمين، وولايتهم أميراً لهم، ووضعوا له مناقب كاذبة تتناقض مع كتاب الله، وما جاء به رسول الله، وعتموا على الحقائق، ودفنوا تاريخ أولياء الله الذين اجتباهم في كتابه، بل ووضعوا أعذاراً لقتلهم وتشريدهم، وحاربوا كتاب الله بقولهم إنّ أصحاب رسول الله عدول[٢] وهم كلّ من رآه وصاحبه، وعاش معه ولو يوماً واحداً[٣].

وكل هذا من أجل أن يخفوا تاريخهم الذي كان تدوينه في عهدهم، وتحت مراقبتهم، بينما نجد الرسول يقول في حياته عندما أقبل أبو سفيان ومعه معاوية قال: «اللّهم العن التابع والمتبوع، اللّهم عليك بالأقيعس فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس قال معاوية»[٤].

وجاء عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يطلع عليكم من هذا الفجّ رجلاً من أُمّتي يحشر على غير ملتي فطلع معاوية»[٥].

وقال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة

(١) السجدة (٤٨): ٢٩.

(٢) عمدة القاري ٥: ٢٢١.

(٣) انظر شرح مسلم للنووي ١: ٣٦.

(٤) وقعة صفين لابن مزاحم: ٢١٨. وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٩ وشرح الأخبار للقاضي النعمان: ٢.

(٥) تاريخ الطبري ٨: ١٨٦، وشرح نهج البلاغة ١٥: ١٧٦، وقعة صفين: ٢٢٠.

وفيها أنّه لم يصح في فضائل معاوية حديث وذكرها ابن الجوزي كذلك[١].

وروى أبو الفداء عن الشافعي أنّه أسر إلى الربيع أن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وزياد[٢].

فتبيّن لنا أن الإيمان الناتج لا عن وعي بضرورته بل بسبب موقفٍ يذهب أدراج الرياح بمجرد زوال ذلك السبب أو العامل، فهذا الإيمان لا يقبله الله من الكفّار حين ينزل بهم العذاب ؛ لأنّه إيمان وليد الواقع المفروض.

فكان سؤال أهل مكّة عن الفتح، وإنكارهم له بكلمة متى هذا الفتح، هو الذي أنطق السماء أنّه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الفتح، والسيطرة عليهم، وأنّ العذاب لا يمهلهم، بل ينتظرهم كما كانوا ينتظرون موت الرسول أو قتله فأظهر الله الحقّ على الباطل، والمحقّ على المبطل.

وهكذا يظهر لنا تاريخ الأمويين وعصرهم الذي هو وليد الفتح الإسلامي الذي عم الجزيرة العربية، ولم يكن لمن لا يؤمن بالإسلام آنذاك مناص إلّا الدخول تحت لواء الإسلام خوفاً على مصالحهم ومراكزهم الاجتماعية، وبقيت السموم تملأ صدورهم، والحقد والحسد يأكل قلوبهم حتّى أنّ الحكم بتمرّد معاوية على الإمام علياً الخليفة الرابع حسب دور الخلافة تاريخياً، فظهر منهم كانوا يخفون وينكرون.

وهكذا تتابعت الحوادث وازدادت الأمور سوءاً كلما وليَّ الحكم واحدٌ منهم فكرهتهم النفوس، واستاءت منهم البشرية، لتسلّطهم على رقاب الناس،

(١) الموضوعات لابن الجوزي ٢: ٢٤، يرويه بإسناده عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي.
(٢) خزانة الأدب ٦: ٥١.

ولعبهم في اقتصاد الأُمّة، وأخذهم الجزية ممن لم تجب عليهم، واللعب في ثروات الأُمّة وإنفاقها في مصالحهم الشخصية والخاصّة، وتجاهرهم بالظلم والفساد، وهجرهم للسنن الإسلاميّة، ونبذهم تعاليم الكتاب وراء ظهورهم، مما حلّ بالأُمّة من الجور والعسف، وإراقة الدماء حتّى قام دعاة الإصلاح وصلحاء الصحابة بالمعارضة والوقوف بوجه الحكّام الأمويون ؛ لردّهم عن غيّهم، فلم يفلحوا حتّى جاءت ثورة الحسين عليه السلام التي كانت بداية الانطلاق لنشر الوعي الإسلامي ضدّ الأمويين، وصرخة مدوية هزّت عروش الظالمين.

وأوّل طلائع تلك الثورات الإسلاميّة هي ثورة المدينة المنوّرة وأهلها مثل عبد الله بن الزبير وغيره ضدّ يزيد بن معاوية وحكمه الظالم الجائر، فكانت فيها واقعة الحرة سنة (٦٣) التي انتهت بانتصار يزيد وجيشه الذي كان يقوده مسلم بن عقبة المسيحي الغير مسلم، والذي كان اسمه مسرف بن عقبة، فكان ما كان فيها من فظائع من أهل المدينة، ومذابحٌ ذكرها واستنكرها جميع المؤرِّخين وأهل السيَّر ؛ لأنّ يزيد أمر قائده مسلم بإباحة المدينة لجنده ثلاثة أيام، يقتلون ويعملون ما يشاؤون، فقد قتلوا ثلاثة من أصحاب الرسول، كما قتل سبعمائة رجل من حملة القرآن وسبعمائة من بقية المهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من أوساط الناس سوى النساء والصبيان، وأمّا الباقون من الناس فقد أخذت منهم البيعة ليزيد بيعة عبودية واسترقاق[1].

وهكذا وضعوا فضائل لمعاوية من الأحاديث المكذوبة والأقوال الموضوعة التي تبرّأ منها الإسلام، وأنكرها المسلمون جميعاً، ولكن أنّى

---

(١) البداية والنهاية ٦: ٢٦٢ و٨: ٢٤٢.

يجدي الإنكار في وقت أُلجمت فيه الأفواه، وكبت فيه الشعور، وحكم على أهل الصدق بالقتل والتنكيل والطرد والتبعيد، فكل ما أجملناه في هذا الفصل من أمور وحقائق هو بيان للأخ القارئ الواعي ليكون على علمٍ كافٍ من تاريخه، ويكون له حافزاً لمعرفة القرآن والتاريخ، وما يحملانه من حقب وحقائق قد طمسها وعتم عليها أناس جنّدوا أنفسهم لإطفاء نور الله الذي أراده للأجيال البشرية على مرّ السنين والأزمان.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

نعرف أن كلمة إمام تعني القائد والهادي والمرشد والدليل.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾[1].

ثمّ يقول سبحانه: ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾[2].

ويقول جلّ وعلا: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾[3].

لقد اختار الله هذا الاسم لأبي الأنبياء وجدّ رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال: ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴾[4]، فسمّاه إماماً بعد أن كان رسولاً ونبياً وخليلاً.

أمّا كلمة جاعلك فإنّها ما أتت عبثاً، بل جاءت بروابط محكمة وتسديد إلهي متقن ليربطه إلى سلسلة الأئمّة الأطهار، ونحن نقول في كلّ صلاة: (اللّهم صل على محمّد وعلى آل محمّد، كما صليّت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمّد وآل محمّد، كما باركت على إبراهيم وآل

(١) الإسراء (١٧): ٧١.

(٢) الفرقان (٢٥): ٧٤.

(٣) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٤) البقرة (٢): ١٢٤.

إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد»[١].

كما جعل الله سبحانه إبراهيم إماماً أراد أن يجسّد هذه الكلمة حكماً مبرماً عند أمّة محمّدﷺ وتبياناً لمكانتها وشرفها، لأنّ النبوّة هي لطف من الله سبحانه ، والإمامة كذلك هي لطفٌ بالتبعية، مقرونةٌ بالعوامل والأسباب الحافظة لخطّ النبوة وبقائه، ولكي نعرف عظمة هذا الإمام والأئمة الآخرين من بعده والذين هم في مصاف الرسول العظيم في صفاتهم وخصائصهم الرّبّانية لقيادة الأُمّة الإسلاميّة، ثمّ وجوب الاقتداء بهم والتمسّك بحبلهم ؛ لأنّهم مطهّرون، ولم نجد في كتاب الله آية واحدة تحضّ الناس على التمسّك بغيرهم.

يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[٢].

فهؤلاء هم أولي الأمر ؛ لأنّهم يحملون الصفات القياديّة الربّانية، وجاءت الولاية بشكل واضح صرّح به، وأجمع عليه كلّ المفسرين في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾[٣].

فالولاية المنصوص عليها من قبل الله تعالى تشير إلى حكماً، وبمقتضى

---

(١) كتاب الأم للشافعي ١: ١٤٠ ومختصر المزني: ١٥ وفتح العزيز ٣: ٥١٥ والمجموع ٣: ٤٦٤ وروضة الطالبين ١: ٣٧٠ والموطأ ١: ١٦٦، حديث٦٧.

(٢) النساء (٤): ٥٩.

(٣) المائدة (٥): ٥٥ .

العقل، ومن خلال الأدلّة والقرائن إلى الخلافة أو القيادة العامة، وقد سبق أهل البيت الناس كلّهم في الصفات العالية والدرجات السامية، وكانوا خزائن للعلم والمعرفة والحكمة والطهارة، يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ** ﴾[١].

عليّ عليه السلام هو أبو الأئمّة وأعظمهم شأناً، وقد تحدّث الرسول الكريم عن جلالة قدره، وعظيم شأنه، وكمال إيمانه عند منازلته لعمرو بن ود العامري في معركة الخندق حيث قال: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»[٢].

وروى الحافظ الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل قال: «إن ابن عباس سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾[٣] فقال له حدثني جبريل بتفسيرها وقال لي: ذاك علي وشيعته إلى الجنّة»[٤].

وروى الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي في كتابه المناقب عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ قال لي الرسول صلى الله عليه وآله قال لي جبرائيل: ذاك علي وشيعته السابقون إلى الجنّة المقربون من الله بكرامته لهم».

وحتّى يومنا هذا لم تستطع البشرية أن تحيط بكامل شخصية الإمام

---

(١) الروم (٣٠): ٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٦١. وينابيع المودة للقندوزي ١: ٢٨١ ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي: ٢١٧.

(٣) الواقعة (٥٦): ١٠ ـ ١١.

(٤) شواهد التنزيل ٢: ٢٩٥.

عليعليه السلام هذه الشخصية العملاقة وأن تعرف مدى مكانتها وعظمتها في الإسلام كما لم يلاق أي عظيم في التاريخ ما لاقاه الإمام علي من ظلم وغبن وافتراء في حياته وبعد وفاته.

فبعد رحيل الإمام إلى الرفيق الأعلى أخضعت أجيال الأُمّة الإسلاميّة لعملية مسح دماغي، ليس لها مثيل لكي تنسى علياً ودوره الفعّال في دفع الحركة الإسلاميّة في الطريق الصحيح طريق العزة والكرامة، وقاموا بتسخير المنابر لعشرات من السنين، والمنابر كما هو معروف هي للإعلام والتربية والتوجيه عند المسلمين، لكنّهم سخّروها للقدح في عليعليه السلام وشتمه وتشويه تاريخه ومكانه من رسول الله، وكانت خطبة الجمعة في العهد الأموي تفتتح بالنيل من علي بأقذع اللعن والسباب[1]، وأجبرت السلطة كتّابها المرتزقة أن يكتبوا عن علي ما يرضي أرباب السلطان فأغلقوا الباب دونه عن كلّ فضيلة، بينما كتبوا عن غيره ممن ليس لهم في التاريخ إلّا المواقف السلبية التي عملت على إضعاف بنية الإسلام، كتبوا عن مثل هؤلاء أكاذيب عجيبة لا تمت إلى الحقيقة وإلى الشريعة بأية صلة.

نشأة الإمام: لقد أشار الإمام بنفسه إلى التربية التي حظي بها من لدن أستاذه العظيم الرسول الأعظم وذلك في خطبته المعروفة (بالقاصمة) وقد جاء فيها: «وقد علمتم موضعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويمسني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا

(١) روح المعاني: ١٤: ٢١٩ – ٢٢٠ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٥٨.

خطأ في فعل...

ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة»[(١)].

إن هذا الشوط الذي قطعه الإمام في ظل تربية الرسول، وفي مضمار التقرب إلى الله سبحانه، والامتثال لأوامره هي التي رشحته لأن يكون وزيراً للنبوة وهو مقام لا يناله إلا من قطع شوطاً في طريق المعرفة والفضيلة قال الرسولﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[(٢)].

ويجدر بنا أن نقول إنّ رسول اللهﷺ ما دعا علي إلى الإسلام كما دعا غيره، ذلك لأنّ علياًعليه السلام كان مسلماً على فطرة الله تعالى، لم تصبه أوضار الجاهلية ولم يتفاعل مع سفاسفها، فنجده مؤمناً بالرسالة إيماناً تجسيدياً، ولم يكن يفاجأ بنزول وحي، ولا بأمر دعوة مباركة إلّا ولبّى النداء بكلّ جوارحه، ولذلك فإنّ الرسول الكريم لم يودع بادئ ذي بدء بسرّ الدعوة إلّا لعلي وخديجة، ونزل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾[(٣)]، فأمر الرسول علياً أن يدعوا أعمامه، وكانوا أربعين شخصاً حتّى إذا اجتمعوا دعاهم الرسول إلى التصديق بالنبوة وقال: «إنّي رسول الله فمن يجيبني على هذا الأمر ويأزرني

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٥٧ خطبة رقم١٩٢.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٢٠ وسنن ابن ماجة ١: ٤٥ حديث ١٢١ وسنن الترمذي ٥: ٣٠٤، حديث٣٨١٤ ومجمع الزوائد ٩: ١٠٩.

(٣) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

عليه فيكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي» فلم يجبه إلّا علي عليه السلام فدعا ثانية ولم يصدقه إلّا علي[١].

إنّه علي الذي آزر وصدّق وأجاب، وهو الذي رقد في فراش رسول الله عندما تعاقد المشركون على قتله، واختاروا من خيرة رجال القبائل نخبةً للتنفيذ حتّى تذهب روحه الطاهرة هدراً بين مختلف القبائل، لكن الله أمره بالخروج فطلب إلى علي أن ينام في فراشه حيث ينتظره الموت المحتّم فقال علي عليه السلام: يا رسول الله وهل بنومي تسلم؟ قال: بلى يا علي، قال: إذاً فأنا فداءٌ لك وللإسلام ونام قرير العين هانيها[٢].

في السنة التاسعة للهجرة وكانت قد توسّعت قوّة الإسلام، وأحسّ الروم بالخطر فجهّزوا جيشاً كبيراً لقتال محمّد صلى الله عليه وآله في عقر الجزيرة العربية، وعندما سمع الرسول جهّز جيشاً وبدء بالمسير إلى العدو قاصداً تبوك، وترك في المدينة كثيراً ممن تخلّفوا عن جيشه من المنافقين، لكنّه أبقى علياً عليه السلام مستخلفاً إيّاه على الناس وأوصاه بوصية الخليفة من بعده لكن الإمام لحق بجيش الرسول قائلاً: أتتركني يا رسول الله على النساء والصبيان، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «ألا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة ١٣: ٢١١ ونظم درر السمطين: ٨٢ – ٨٣ ومجمع الزوائد ٨: ٣٠٢ و٩: ١١٣ ومسند أحمد ١: ١١١ والسيرة الحلبية ١: ٤٦٠ – ٤٦١.

(٢) روضة الواعظين: ١٠٧ وفيه: «فأنزل الله في علي حين نام على الفراش ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّه ﴾» (البقرة (٢): ٢٠٧).

وانظر: شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٦٢ والكشف والبيان ٢: ١٢٥ – ١٢٦ وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ١٢٣ – ١٣٠ الأحاديث١٣٣ – ١٤١ والتفسير الكبير ٥: ٢٢٣ والجامع لأحكام القرآن ٣: ٢١ وتفسير البحر المحيط ٢: ١٢٧.

أنّه لا نبي بعدي»[١].

الكتابة عن علي لا حدود لها ؛ لأنّ عظمته وفضائله بلا حدود، وأنا لا أريد أن أطيل وإنّما أخذت نبذة قصيرة لبعض المواقف التي تعتبر أدلّةً سماويةً ورساليةً تؤكّد إمامة علي وأهل بيته عليهم السلام.

حياته السياسية: عندما آل أمر الخلافة إلى الإمام تجسّد فيه وجود الرسول بكلّ جوانبه التشريعية والسياسية والقيادية ؛ لأنّه نسيله وجزء لا يتجزّأ منه، ولأنّه نشأ في حضنه وعلى تربيته، وكان من رسول الله صلى الله عليه وآله كالظلّ من صاحبه، والعضد من الساعد وكالنور من النور.

بعد أن توفي الخليفة الأوّل أبو بكر وآل الأمر إلى عمر بن الخطاب الذي أوصى بعد طعنه وإشرافه على الموت أن توضع الخلافة في ستة أشخاص، وفيهم علي، وأوصى عمر أن يختاروا واحداً منهم تتوفّر فيه أهلية الخلافة فقام عبد الرحمن بن عوف بوصية من عمر وقال لعلي: أقسم إن آل الأمر لك أن تسير على كتاب الله وما سار عليه الشيخان (أبو بكر وعمر) فقال علي عليه السلام: «والذي نفسي بيده لن أسير إلّا على كتاب الله وما سار عليه رسول الله»[٢] فضرب عبد الرحمن ابن عوف على صدره ونحّاه عنها وأُعطيت لعثمان بن عفان، وبعد قتل عثمان انتخب المسلمون علياً لكنّه رفضها إلّا أنّ المسلمين أصرّوا عليه، ولم يقبلوا بغيره بديلاً، ولما استلم خلافة المسلمين بدأ ينفّذ خطّته الإسلاميّة المحكمة بقيادة

(١) صحيح البخاري ٥: ١٢٩.

وانظر: صحيح مسلم ٧: ١٢٠ وسنن ابن ماجة ١: ٤٥، حديث١٢١.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٢ والأمالي للشيخ الطوسي: ٥٥٦، حديث١١٦٩ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٢: ٢٦٤.

يستقيها من القرآن الكريم ومن سنّة الرسول صلى الله عليه وآله.

وبدأ ببناء صرح الدولة الإسلاميّة بناءاً محكماً لم يعرف التاريخ البشري له مثيلاً ؛ لأنّه عليه السلام يمتلك من القدرات اللا متناهية مالا يمتلكها غيره من الناس، وجعل من جامع الكوفة ميداناً لإلقاء توجيهاته ونشر الوعي الديني، وربّي جيلاً عقائدياً جديراً بحمل الواجبات اتجاه الله واتجاه الناس.

لقد ترك الإمام عليه السلام محاربة أهالي البلاد الأخرى ومحاولة فتحها، بل ركّز جميع إمكانياته ليربّي جيلاً مسلماً بالوعي والعلم والأخلاق والسلوك الحسن والكفاءة في قيادة الحياة، هذا بالإضافة إلى أنّ الفترة التي سبقته من حكم الخلفاء جعلت نفوس الناس ضعيفة مريضة فالتفت إلى إصلاحها منصرفاً عن الفتوحات والحروب.

كان المجتمع الإسلامي حين استلامه الخلافة مجتمعاً ملغوماً للتحزّبات الواسعة، والإقطاع المستفحل، والسعي وراء المصالح الدنيوية، فلم يجد حلاًّ لهذه الأمراض إلّا العمل الدؤوب على إحياء المجتمع الإسلامي وربطه بحبل الشريعة الصحيحة وتوحيد كلمته وصفّه.

هكذا كان إمام الأُمّة الخالد علي بن أبي طالب أخو الرسول، وسيف الله المسلول، وزوج البتول، وهو الذي يقول: «وأيم الله لأنصفنّ المظلم من ظالمه، ولأقودنّ بخزامته، حتّى أورده منهل الحقّ وان كان كارهاً»[1].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩، خطبة رقم١٣٦.

فاطمة الزهراءعليها السلام

يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)].

شاءت حكمة الله أن يدلّل على ذاته من خلال آياته، وبعده عن مجانسة المخلوقات، وهو الذي جعل بين أيدينا نوراً نهتدي به لنرى عظمة هذا الكون، ودقّة صنعه، ولتبيّن الخارطة المرسومة لنا في كتابه الكريم، وفي سنّة رسوله لنكون كما يريد الله ويرضى، وقد ضرب لنا الأمثال لكي نستطيع السير بنور الحقّ عبر ظلمات الحياة، وجعل هذا الحقّ وذلك النور يتمثّل في من اختارهم من الأنبياء المعصومين وأوصيائهم المنتخبين، وشاءت حكمته تعالى أن يقرّب لنا الحقيقة لما يتناسب مع مؤهّلاتنا وبالشكل الذي تدركه وتقبله عقولنا ليكون ذلك علينا حجّة.

من أجل هذا وبحكمته الإلهية جعله نوراً من نور، من قلب ومن روح نبينا الكريم محمّدصلى الله عليه وآله إلى فلذة كبده فاطمة الحوراء الإنسية فاطمة الزهراءعليها السلام، ولعلّ القارئ يشكّ أنّ الوهم قد ذهب بي بعيداً وأنّني أسبح في بحرٍ من

---

(١) النور (٢٤): ٣٥.

الخيال، وأنسج على هذا المنوال، لكن الإنسان المدرك المفكّر الذي يتعرّف على الله سبحانه وتعالى لم يجعل لرسوله ذرّيةً من ولد أو بنت إلّا فاطمة، فتبلورت عاطفة الأبوة والحبّ لها لحكمة، يريدها الله وقد عيّره المشركون في أنّه الأبتر ولا ذرية له فجاءهم الردّ من ربّ العزّة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾[1].

يقول الرسولﷺ: «عند ما عُرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل عليه السلام فأدخلني الجنّة، وناولني من رطبها فأكلته، فتحوّل ذلك إلى نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ففاطمة حوراء إنسية فكلمّا اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[2].

فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريمﷺ وبضعته احتضنها أبوها بعد وفاة والدتها خديجة حيث لم يبق له إلّا هذه الفسيلة الطاهرة، فكرَّس عطفه وحبّه لهذه اليتيمة الوحيدة، ولازمها وصحبها في ذهابه وإيّابه حتّى أنّه سمّاها أمّ أبيها لكثرة ما يطمئن لجلوسها وخدمتها له، فكانا عليهما السلام يزيلان وحشة اليتم عن بعضهما عند اللقاء، يتيمان يلتقيان في الروح والألم والفرح.

ولعلّ هذا الوالد العظيم قد أوحت إليه السماء أن يرعى وأن يحفظ هذه النسمة الطاهرة، فحفظ الوحي ومزجه بعاطفته الكبيرة ليتشكّل منهما بحرٌ من الألطاف والنسيج الإلهي الذي يعجز عن وصفه حتّى الخيال. وراح الرسول

---

(١) الكوثر (١٠٨): ١ - ٣.
انظر: تفسير مجاهد ٢: ٧٩١ وتفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ٣: ٤٠٢.
(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٤٦، حديث٧٢٨.
وانظر: مجمع الزوائد ٩: ٢٠٢ والمعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٠١.

الكريمﷺ يعبئُ هذا الإناء الطاهر بنور المعرفة ليعدّها إعداداً كاملاً مدرسةً شموليةً للفضيلة والمعرفة والعلم والإيمان الصحيح.

كان يريدها جديرة لأن تكون ابنته، وظلّ يهذّبها ويعلّمها ويرعاها حتّى فارق الدنيا، ولكن بعد أن اطمأنّ عليها وأنّها أصبحت قادرةً على أن تؤدّي أمانتها، وبقيت فاطمةعليها السلام بعد رحيل أبيها الكريم كنزاً مليئاً بنور العلم والمعرفة التي تشمل كلّ جوانب الدين والدنيا، ولكن ويا للأسف وكعادته يطلّ الشرّ برأسه وبالظلم والعناد وحبّ الدنيا ومتاعها الغرور، يحاول الشرّ أن يغلق منبع النور وأن يعتم على قدرات وعظمة المكانة التي خصّ الله بها سبحانه هذه المطهَّرة فاطمة الزهراءعليها السلام.

لا نجد في كتب الحديث أو التاريخ ما ينقل عن فاطمة حديثاً أو رواية، وكأنّها لم تكن بنت بيت النبوة، مع أنّ كتب الحديث ورواته ينقلون الكثير عن زوجات الرسول، وعن زوجات الصحابة، وعن الكثيرين ممن عاصروا رسول اللهﷺ، إلّا فاطمة الزهراء فلم نجد لها حديثاً واحداً في أيّ موضوع من المواضيع.

لقد ورد في أحاديث «خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء»[1] أي عائشة فكيف يأخذ الناس شطر دينهم عن زوجٍ واحدة وللرسول الكريم زوجات عديدات؟! حتّى لكأنهﷺ لم يحدّث بشيء إلّا لها بينما ابنته الزهراء -وهي بضعةٌ منه، وهي الكوثر، ومنبع النور، وهي التي لازمته وتربت في أحضانه- لا يُنقل عنها، ولا يُروى حديثٌ واحد! أولا نرى في هذا التناقض رؤية اليقين أن

(١) البداية والنهاية ٨: ١٠٠، وفيه: «فإنّه ليس له اصل، ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام».

بعض الأيادي المغرضة الخبيثة هي التي غيّرت الحقائق، وحرّفت الكلم عن مواقعه، ونشرته وفقاً لأغراضها وأهوائها ومصالحها الدنيوية الرخيصة.

لقد تقدّم الكثير من كبار الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله طالبين إليه التقرّب بالمصاهرة، فكان يردّهم الردّ الجميل قائلاً: « انظر بها القضاء»[١].

وكان الرسول صلى الله عليه وآله يسألها: بنيتي ما أحسن شيء للمرأة فتقول: «أن لا ترى رجلاً ولا يراها»[٢].

فكان يضمّها إلى صدره الكريم ويقول: ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ** ﴾[٣].

لقد عايش الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الإحساس بمرارة اليتم، ولذلك احتضن الزهراء بين حناياه ودفأها بحبّه وعطفه وعين عنايته ورعايته، فكان لا يخرج إلى سفر حتّى يمرّ بها ويدخل عليها فيكلّمها كلاماً خاصّاً ثمّ يسافر بعد ذلك مع أصحابه، وبعد عودته، لم يكن ليدخل إلى بيته حتّى يمرّ بها فيقضي عندها برهةً من الزمن يخرج بعدها إلى زوجاته وبعض شؤونه[٤].

قال الرسول صلى الله عليه وآله في وصفها: «فاطمةٌ بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني»[٥] «ومن أغضبني فقد أغضب الله»[٦].

---

(١) كنز العمال ١٢: ١١٢، حديث٣٤٢٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ١٩ وإمتاع الأسماء للمقريزي ٥: ٣٥١.

(٢) كنز العمال ١٦: ٦٠١، حديث٤٦٠١١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٩، والآية من سورة آل عمران (٣): ٣٤.

(٤) الأمالي للصدوق: ٣٠٥ ومسند أحمد ٥: ٢٧٥ وسنن أبي داود ٢: ٢٩١، حديث٤٢١٣.

(٥) صحيح البخاري ٤: ٢١٠.

(٦) مجمع الزوائد ١٠: ٤٨ والمعجم الكبير ١٨: ١٠٨.

أي أنّ إغضاب فاطمة منوط بغضب الله، وعند ولادتها نزلت الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[1] الخ وقد عيّره المشركون وأطلقوا عليه لقب الأبتر لكن السماء أتتهم بردّها السريع، وذهب الرسول الكريم صلى الله عليه وآله إلى زوجه خديجة لينقل لها البشارة، ويتلو عليها آيات المولى، ويقول: أبشري يا خديجة بالنور من النور، أبشري ببنت جعلها الله الكوثر، الدائم والمبارك ومنها الذرّية الطيبة والنسل الكثير، وأنّها أمٌّ لأحد عشر من خلفائي يخرجون من بعدي وبعد أبيهم، لقد أخبر الله تعالى رسوله وخديجة لا تعلم أنّ علياً الشاب الهاشمي الذي ربّته في بيتها، والذي نعم بحنانها وحبّها وحسن رعايتها له، لا تعلم أنّه سيكون زوجاً لابنتها الزهراء وسيكون أباً لأولئك الأئمّة الأطهار.

ومن المعروف أنّ قريشاً قد عزلت واعتزلت الرسول وأهله وأعمامه في شعب أبي طالب حيث ذاقوا الأمرّين من عذاب الجوع والحرمان، أمّا الزهراء فقد كانت إلى جانب أبيها تشارك ذويها وأهلها هذه المرارة، وتتعلّم الصبر، وتقدّم التضحيات على صغر سنّها حتّى انتهى ذلك الحصار بعد ثلاث سنوات طوال ثقال فكانت المأساة قد شحذت عزمها. مدفوعة بإيمانها القوي صمّمت على إكمال الطريق مع والدها، ضاربةً المثل الأعلى في الصبر على الشدائد، وكانت كلمّا نظرت إلى حال أبيها وإلى خصومة أهله وعشيرته له يعتصرها الألم، ويغلب الحزن العميق على نفسها الكريمة.

زاوجها من علي: بعد أن يئس كبار قريش من مصاهرة الرسول لهم قام بعضٌ من أحبّاء علي على تشجيعه، ودفعه لطلب يد فاطمة فذهب إلى بيت

(١) الكوثر (١٠٨): ١.

الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لكنه قبل أن يلج البيت وأن يقول حاجته نزل جبرائيل إلى الرسول صلى الله عليه وآله وقال له: «إنّ الله أوحى إلى جبرائيل زوج النور من النور»(١).

وبعد حين جمع الرسول صلى الله عليه وآله المهاجرين والأنصار وخطب فيهم خطبةً عظيمةً مأثورةً بهذه المناسبة ثمّ قرأ هذه الآية ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾(٢). وهكذا أجرى النبيّ صلى الله عليه وآله أمام المسلمين صيغة عقد الزواج بين علي وفاطمة عليهما السلام ونلاحظ أنّه في الإجراء قد سن الإشهار والإشهاد في عقد النكاح وسنَ التخفيف في الصداق وعدم المغالاة في المهور محدداً مهر سيدة نساء العالمين بأخف الأمور والحاجات وهي أكمل النساء وأحسنهن خَلقاً وخُلقاً، زوجها من أعظم الناس نسباً وشرفاً وشجاعةً وعلماً وأوسعهم حلماً، إنّه أخوه ووزيره وخليفته من بعده وإمام المسلمين وبطلهم وقطب الرحى في حروب ومعارك الإسلام.

فعلاً أتوقف بعد الزفاف: وزفّت الحوراء الإنسية فاطمة عليها السلام واشترك أهل السماوات والأرض في زفاف النور إلى النور، في زفاف بضعةٌ من الرسول وفلذة كبده واشترك صلى الله عليه وآله في حفلهما آخذاً بيد علي في يمينه وبيد فاطمة في شماله ثمّ جمعهما على صدره الشريف وقبلهما بين أعينهما وهو يقول: «اللّهم إنهما بحران يلتقيان ونجمان يقترنان، أللهم إنهما أحب خلقك إلي فأحببهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً واذهب عنهما الرجس وطهرهما تطهيراً»(٣).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٢٤.

(٢) انظر نظم درر السمطين: ١٨٦ والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ١: ٦٥٤.

(٣) انظر مناقب آل أبي طالب ١: ١٣١ والمعجم الكبير ٢٢: ٤١٢.

فإذا كانت الشجرة الطيبة المباركة لا تثمر إلّا طيباً مباركاً فقد ولد لهذين الزوجين الإمام العظيم والزهراء البتول، ولد لهما سيدا شباب أهل الجنّة وسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام. ولم يرضَ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ذو الخُلق العظيم المثل في الأبوة وحنانها ومسؤولياتها لم يرضَ أن تكون الزهراء بعيدة عنه في سكنها فجعلها في دارٍ ملاصقة لبيته الشريف لكي يمتّع قلبه الشريف برؤيتها في ذهابه وإيّابه، وكان يدخل إلى بيتها كلّما اشتاق إليها، وعاشت في بيتها إلى جانب والدها تعاون زوجها في كلّ أمور الحياة وتعمل بكلّ طاقاتها من أجل أن توفّر الراحة لبعلها الكريم.

فكانت تعجن، وتخبز، وتطهو، وتطحن على الرحى حتّى مجلت يداها من الطحن بالرحى[1]، كما أثر في صدرها الاستقاء بالقربة[2]، ولكنها ظلّت تخفي آلامها ولا تشكو إلى زوجها ما بها حبّاً له وخوفاً على مشاعره. وقد دخل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ذات يوم بيتها فوجدها وعلياً يديران الرحى، والتعب الشديد بادٍ عليهما، فقال: أيّكما أكثر عياءً من الآخر حتّى أساعده؟ فقال علي: فاطمة يا رسول الله، فأخذ الرسول الكريم مكانها، وتقابل مع علي يديران الرحى حتّى انتهى الطحن[3].

هـمُ النّـور نـور الله جـلّ جلالـه همُ التينُ والزيتونُ والشفعُ والوترُ[4]

بلى هم مشاعل الخير والهداية على مرّ القرون والأجيال، وهم القادة

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٩ – ١٢٠.

(٢) مسند أحمد ١: ١٥٣.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٥١.

(٤) بيت من قصيدة ابن العرنوس الحلي (ت٨٤٠هـ) المعروفة بالرائية.

الذين طهّرهم سبحانه وتعالى وانتقاهم لسرّة وخزنةً لعلمه، وأركاناً لتوحيده، وحججاً في أرضه، وتراجمه لوحيه، إنّهم نور الله في الأرض، وقد عصمهم من الزلل، وأبعدهم عن الزيغ والضلال.

نسب المسيح بنا لمريم سيرةً — بقيت على طول المدى ذكراها

والنجم يشرق من ثلاث مطالع — في مهد فاطمة فما أعلاها

هي بنت من هي زوج من هي أُمُّ من؟ — من ذا يداني في الفخر أباها

هي ومضة من نور عين المصطفى — هادي الشعوب إذا تروم هداها

هي رحمة للعالمين وكعبة الآمال — في الدنيا وفي أخراها

من أيقظ الفطر النيام بروحه — وكأنه بعد البلى أحياها

وأعاد تاريخ الحياة جديدة — مثل العرائس في جديد حلاها

ولزوج فاطمة بسورة هل أتى — تاج يفوق الشمس عند ضحاها[1]

لم يذكر التاريخ أن الرسول الكريم قام بوجه أحد من الناس مستقبلا إلّا فاطمة إذا دخلت عليه يقوم بوجهها، ويقول: أهلاً بأُمّ أبيها، أهلاً بمن ولدت أباها مرّتين، وفي مرضه الأخير، مرض وفاته صلى الله عليه وآله دخلت عليه ابنته العزيزة فاطمة فقال لها اعذريني بنيتي لأنّي لا أقدر أن أقوم بوجهك.

هذه هي فاطمة وهذه هي مكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعند ربّ رسول الله الذي جعلها كوثراً للنور، ومنطقاً للهدى، وأُمّاً لأشرف مولودين في الدنيا، ونتساءل بعجب ومرارة ودهشة: إذا كانت حياتها وحياة أبيها الكريم صلى الله عليه وآله متقاربتين وملتصقتين بهذا الشكل فهل يمكن أن نصدّق أنّها عليها السلام ماروت حديثاً

(١) هذه القصيدة للدكتور محمّد إقبال اللاهوري (ت١٩٣٨)، واسمها: النجم المشرق.

واحداً عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

جهاد فاطمة: لقد عايشت الزهراء الطاهرة كلّ الظروف التي مرت بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فذاقت معه مرارة الحرمان وشقاء الحروب، وهي الابنة الوحيدة. فكيف لا تشاركه في محنته؟! وشدّته وكيف لا تشاركه الجهاد وهي تنظر إلى صبره في غزوة أحد حين كسرت رباعيته؟! وشج وجهه وخذله المنافقون فكانت هي التي تضمد جروحه[١]، وجروح زوجها، وكانت تقدّم الطعام لأبيها العظيم كسراً من الخبز في غزوة الخندق[٢]، وظلّت صور هذه المواقف مطبوعةً في قلبها حتّى توفي والدها رسول الله صلى الله عليه وآله فرأت بأُمّ عينها كيف ترك الناس جثته، وغادروها مسرعين في طلب الدنيا ومناصبها وزخرفها، وتولى دفنه علي عليه السلام.

ثمّ ذاقوا مرارة الإذلال والإهانة من أولئك الطامعين في المناصب والسلطة والرئاسة حتّى أنّها قاست صنوفاً من الشتم والضرب[٣]، ومرضت، وعلى فراش المرض جاء إليها ليعودها كثيرٌ من نساء الأنصار والمهاجرين وقلنَ لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت: «أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، ونشأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لغلول الحدّ، وخور القناة، وخطل الرأي، و﴿ **لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴾[٤]... ويحهم أنّى زحزحوها عن

---

(١) صحيح البخاري ٣: ٢٢٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٤٨.

(٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٥٠.

(٤) المائدة (٥): ٨٠.

رواسي الرسالة؟! وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطالبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي الحسن، والله منه نكير سيفه، وشدّة وطأته ونكال وقعته، وتنمرّه في ذات الله عزّ وجلّ... فابشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً، فيا حسرتي لكم وأنّى بكم، وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون»[1].

(١) معاني الأخبار: ٣٥٤ - ٣٥٥، حديث١.

الإمام الحسن عليه السلام

إنّ دراسة مناهج أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودقائق سيرة خطّهم في الحياة واستعراض أخلاقهم وسلوكهم وسيرتهم وما خلّفوه للأُمّة الإسلاميّة، ولكلّ من يرغب في العيش الكريم من آثار وأعمال خالدة في مجالي العقيدة والأحكام والفقه والتشريع والتربية والإصلاح والجهاد والكفاح السياسي، وعما عانوه من آلام ومشاكل وما تحمّلوه من ظلم واضطهاد من سلطات عصرهم ومن بيدهم مقاليد الأمور، كلّ ذلك يدفعنا إلى معرفة أكثر التجارب الإسلاميّة الرائدة ثراءً وأغناها تجسيداً للمهمّة الرسالية الصادقة والجهاد والنضال من أجلها وفي سبيلها.

إنّ كلّ من يدرس ويعيش حياة أهل البيت عليهم السلام، ويتعرّض إلى وجودهم العلمي، ومواقفهم السياسية، وإلى الأحداث والظروف التي عصفت بأركان الأُمّة وبالرسالة على حد سواء، أقول كلّ من يقف على ذلك فسيتكشف له بكلّ وضوح من هم آل البيت عليهم السلام، وما هو سرّهم العميق ؛ إذ يقول القرآن بطهارتهم من الذنوب والمعاصي ثمّ يدعو إلى محبّتهم والولاء لهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وقد بيّن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هذا المعنى بكلّ وضوح بعد انصرافه من

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

حجّة الوداع حيث قام رسول الله صلى الله عليه وآله خطيباً فقال: «أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي. ثمّ قال: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثلاث مرّات؟ قالوا: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه»[1].

والإمام علي عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو رجل العدالة الخالد، ورمز الحقّ على امتداد التاريخ البشري، وقد تجلّى عدله خلال خلافته الإسلاميّة ، فكان الناس عنده سواسيةً كأسنان المشط عند الحقّ، فلا قرابة ولا أنساب، ولا يجرؤ أحد من آل أبي طالب على التقرّب إلى أمير المؤمنين ليحاول أخذ مالا حقّ له فيه، وإنّ التاريخ ليشهد شهادة حقّ أنّه كلّما ذكر الحقّ كان عليٌ عليه السلام إلى جانبه، وهو القائل: « الذليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له، والقوي عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه»[2].

فهذا السفر العظيم من الخلق العظيم كان ينتقل في أئمّة أهل البيت عليهم السلام من كابر لكابر، وهذه الشمائل كانت وصية كبيرهم لصغيرهم من الإمام الأب إلى الإمام الابن، وهذا السبط المجتبى الإمام الحسن عليه السلام الذي لا يقل عن أبيه الإمام علي في شأن حرب أو سلم ولا في حكمٍ أو علم، إنّه ابنه الأكبر، وابن فاطمة الزهراء عليها السلام، وابن الرسول العظيم صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن الكريم عندما باهل النصارى فأيّده القرآن الكريم بأنّ أكّد أنّ حسناً وحسيناً هما من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ ﴾[3].

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ١: ١١٠.

(٢) نهج البلاغة ١: ٨٩، الخطبة رقم٣٧.

(٣) آل عمران (٣): ٦١. انظر: صحيح مسلم ٧: ١٢١ وسنن الترمذي ٤: ٢٩٣ وتفسير ابن كثير ١: ٣٧٩.

فالإمام الحسن عليه السلام قال عنه بعض المؤرِّخين: أنّه رجل ضعيف في الأمور الإدارية لشؤون المسلمين، وأنّه لا يكترث إلّا بزواج النساء، وأنّه رجل صلح وسلم، لا رجل حرب، وأنّه خذل المسلمين في صلحه مع معاوية، وقالوا فيه باطلاً الكثير مما ليس فيه، وتنطلي مثل هذه الأمور بكلّ أسف على من يقرأ التاريخ بشكله الصحيح أو يتقرّى حياة أهل البيت الكريمة، وهم لا يختلفون في مسيرة حياتهم فكراً وسلوكاً وسواء عن بعضهم بعضاً أو عن الإمام علي عليه السلام وحتّى الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه، إنّ الذين اصطفتهم الألطاف الإلهية في النسب والمولد والتربية، وتغذية العلم لهم عند كلّ ذي إنصاف من أشرف الخلق، ومن أطهر البيوت، وحري بهم أن يضطلعوا بمسؤولية القيادة في الدنيا والدين، وأن يكونوا نوراً وهداية للناس إلى طريق الحقّ.

ولكي ننصف الإمام الحسن عليه السلام ولكي نبيّن أنّه لم يكن ليخطو خطوةً واحدة في حياته إلّا وفيها صلاح الأُمّة وهداية الناس، وله أسوةٌ حسنة في جدّه رسول الله الذي ما أذن المسلمين في مكّة أوّل الدعوة بالقتال لمدّة ثلاث عشرة سنة، وذلك بعدم كمال استعداداتهم آنذاك للدفاع عن دينهم، كما وله أسوةٌ حسنة في جدّه يوم صلح الحديبية عندما رأى أنّ المسلمين سوف يقطفون ثمار هذا الصلح فيما بعد، وكذلك في صلحه مع اليهود وإعطائهم ثلث ثمار المدينة، وقد عارضه يومها بعض الصحابة، ولكن الرسول أدرى بأمور المسلمين وشؤون حياتهم، ولو كان الإمام الحسين عليه السلام مكان الحسن عليه السلام وفي نفس الظروف والشروط لما فعل إلّا الذي فعله الحسن، ولو كان الحسن بمكان الحسين بكربلاء لما فعل إلّا الذي فعله الحسين ؛ لأنّ كلّ إمام لا يقرّر ولا ينفّذ إلّا وفقاً لما تمليه عليه عقيدته الثابتة آخذاً بعين الاعتبار

الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة به.

الإمام الحسن المجتبى وأسباب الصلح:

لدى مطالعتنا في كتب التاريخ الإسلامي نجد الكثير من الشائعات المتداولة بين الناس والتي تشير إلى أمور مشينة كثيرة حول قيادة الإمام الحسن بن علي عليه السلام. وينسجون حول ذلك الشائعات، عن ضعفه وتخاذله أمّا الأحداث التي مرّت به فمنهم من يقول إن تنازله كان حسماً للفتنة وسفك الدماء بين المسلمين، ومنهم من يقول: إنّ شخصيته لم تكن بمستوى المسؤولية، وآخرون يقولون إنّ الشعب كان مسلوب الإرادة وضعيفاً عن القتال مما حدى بالإمام أن يرضخ للصلح، وفئة أخرى تقول: إنّ شعب العراق قد أصابته دعوة أبيه الإمام علي عليه السلام لما لاقى من التزلّف والتملّق والنفاق فقبل الصلح مع معاوية وهو مرغم لذا فإننا نقول إنّ الذين يؤاخذون الإمام على الصلح مع معاوية إنّما يهملون -خطأً أو قصداً- العواصف والأعاصير العاتية التي أحاطها به عدوٌ ظالم داهية لا يتوصّل إلى هدفه إلّا بالغدر والمكر والخديعة بعيداً عن كلّ إملاء للضمير الإنساني، وعن كلّ واجب في الحقّ، وسنبيّن هنا لكلّ باحث حقيقة ما جرى مع ملابسات هذا الصلح وأسبابه محاولاً أن أنصف الإمام الحسن عليه السلام الذي لم يكن له إلّا الخيار الصعب، وهو الصلح مع معاوية.

إنّه لمن حسن الحظّ ومن أكبر النعم على الشعوب أن يولّى عليهم حاكم عادل وقائد رحيم. عالم يستطيع أن يشيد أعظم الحضارات على وجه الأرض وأن يبنيها على ركائز متينة من العدل والحرية والرفاهية والأمن والطمأنينة، ولقد خصّ الله سبحانه، الشعب المسلم بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب عليه السلام في بلاد العراق وبعض البلاد الأخرى فأسّس لهم دولة قوية في قواعدها عظيمة في مبادئها ؛ لأنّه هو من أعظم القادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مما أعطوا حرية الفكر والعبادة لغير المسلمين الذين غطى بلادهم الإسلام.

وتلك هي آثاره العظيمة التي لم يكن معظمها معروفاً ومفهوماً عند أبناء ذلك العصر. إنّ كلّ قضية أو حركة لكي تقوم وتنجح إنّما تحتاج إلى ثلاث ركائز، القائد والدستور والمجتمع، فإذا كان القائد كفئاً وعليماً بالدستور الذي يحقّق السعادة للناس والمجتمع وطائعاً له فإنّه واصلٌ لا محالة إلى أرقى المراتب وأعلى المستويات، أمّا إذا تعطّل واحد من هذه الركائز الثلاثة أو فسد فإنّ الركيزتين الأخيرتين ستتأثّران وتميلان إلى الانهيار والسقوط، وهذا ما لاقاه شعبه في العراق بتأثير التزلّف والانحراف والخوف، إضافة إلى ابتلائه بعدو فاجر كاذب غادر محتال، وهو معاوية، الأمر الذي جعل الناس من حول الإمام ضعيفي الإرادة، واهني العزيمة، وأهوائهم شتّى حتّى إلى ما بعد وفاته.

وقد انعكست مجمل هذه الظروف على حياة ابنه الحسن عليه السلام الذي استلم بعد أبيه والذي كان ملزماً بالواجب الإلهي أن يعمل بكلّ ما يملك من قدرة على استمرار دوام الحكومة الإسلاميّة كما أسّسها أبوه، لكن شعبه كان عدّواً لنفسه بعد أن عرف معاوية المارق كيف يدخل إلى أعماق ذلك الشعب بالمال والرشوة حتّى جعل أكثر قادة الإمام الحسن سلعةً بيده، وطوع أمره، وهنا يتبيّن للقارئ الكريم كيف عصفت أعاصير الكوارث بالحسن بن علي عليه السلام وكيف قَبِلَ الصلح مرغماً!

صعد الإمام الحسن عليه السلام بعد وفاة أبيه على المنبر خطيباً، ومن حوله كبار المهاجرين والأنصار، فوجّه لهم بياناً عن تولّيه الأمر بعد أبيه، وراح يحثّهم

على خير العمل، والثبات حول قائدهم، مذكّراً بنفسه قائلاً: «أنا ابن النبيّ، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير ا لنذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، أنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[١].

ثمّ ثنّى بعده عبد الله بن العبّاس، فقام الناس وبايعوا الحسن عليه السلام إماماً وخليفة، وجاءته الشعوب من مختلف الأمصار الإسلاميّة وسائر مناطقه الأخرى في اليمن وفارس والحجاز فأدّوا له البيعة.

وأجهد الإمام الحسن عليه السلام نفسه في بناء الدولة الإسلاميّة فقام بتصفية الأجواء، ورسم الخطط، واختار العمّال والولاة الأكفّاء الصالحين على المناطق الإسلاميّة لتنظيم مختلف شؤون الدولة السياسية والاجتماعية والدفاعية، لكن معاوية الداهية أدرك خطورة هذا العمل المتقن عليه فبدأ بإرسال جواسيسه للاتصال مع المنافقين ومع أهل الدنيا في دولة الإمام، فراحوا يبثّون الدعاية لصالح معاوية حتّى علم الإمام بذلك الختل والمكر فبعث برسالة إلى معاوية يقول فيها: «أما بعد فإنّك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحبُّ اللقاء»[٢].

وفهم معاوية من الرسالة الإنذار والتهديد والوعيد فبدأ بتجهيز جيوشه استعداداً لمقاتلة الإمام الذي علم بذلك فأعلن التعبئة العامة، وهو يلمس في الشعب من حوله ذهولاً وارتباكاً وضعفاً وتوانياً عن الاستعداد للحرب، وهذه إحدى الصدمات للإمام عليه السلام.

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٧٢.

(٢) الإرشاد ٢: ٩ والفصول المهمّة لابن صبّاغ المالكي ٢: ٧٢٠.

وعندما اكتمل تجهيز جيشه الأوّل بعثه بقيادة عبيد الله بن العبّاس لاينوف على اثني عشر ألفاً، وكانت هذه الفرقة قد قاتلت معاوية بصفين مع أبيه الإمام علي عليه السلام وأنزلت به أكبر الخسائر، وقد أوصى الإمام ابن عمه عبيد الله وصايا كثيرة حثّه فيها على اللين والرحمة وفرش الجناح لمن تحت إمرته ثمّ وضع معه قائدين هما قيس بن سعد وسعيد بن قيس، وسار الجيش حتّى وصل إلى صفين في الرقة حيث كان موقع معركة أبيه، فتقاتل الجيشان قتالاً مريراً، وكانت الهزيمة النكراء لجيش معاوية الذي تلافى نتائج الهزيمة وأخطارها فانتقل من الاقتتال إلى المكر والخداع والإغراء والترغيب.

قال معاوية في زمن علي عندما بلغه شعر المنذر بن أبي حميصة الوداعي: «والله لاستميلن بالدنيا ثقات علي ولأقسمنّ فيهم الأموال حتّى تغلب دنياي»[١].

وفعلاً استطاع الماكر أن يغري الكثيرين فقد بعث بألف ألف دينار إلى عبيد الله بن عبّاس القائد العام على شرط الانسحاب، أعطاه نصفه والنصف الآخر وعده إذا دخل الكوفة فأخذها عبيد الله وانسحب ليلاً، وبقي قيس بن سعد القائد الثاني[٢] حتّى أرسل له الإمام نجدةً من أربعة آلاف رجل وعلم الماكر معاوية بأمر النجدة فبعث إلى قائده خمسمائة ألف دينار، واستطاع إخراجه من المعركة، فلما علم الإمام بهذه الخيانات المتكرّرة خطب بالناس في الكوفة، وأخبرهم بأمر الخيانة، ثمّ طلب قائد آخر اسمه المرادي، وسلّمه أربعة آلاف جندي حتّى وصل إلى ساحة المعركة فلمّا سمع به معاوية استطاع أيضاً أن يغريه بالأموال الطائلة فانهزم المرادي ملتحقاً بمعاوية، ناكثاً

(١) شرح نهج البلاغة ٨: ٧٧.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٠ – ٤١.

بكل العهود والمواثيق التي قطعها على نفسه للإمام الحسن عليه السلام[١].

عندها خطب الإمام بالناس في الكوفة وقال لهم: «فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحتُ بحمد الله ومنّه وأنا انصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت بحمد الله ومنّه محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبّون في الفرقة...»[٢].

ونظر الناس بعضهم إلى ببعض وهو يتشاورون ويقولون: والله إنّه يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه وقالوا: قد كفر الرجل والله وهجموا عليه ونهبوا متاعه وخيمته وطعنه رجل في فخذه اسمه الجراح بن سنان فسقط الإمام على الأرض وهو يقول: «لعنكم الله من أهل قرية لقد قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا»[٣].

ثمّ رجع إلى المدائن يتلقى العلاج هناك وكان جيشه يتراجع إلى العراق وأخذ الكثير من الزعماء في الكوفة يبعثون إلى معاوية قائلين: إن شئت قتلنا لك الحسن بن علي عليه السلام وإن شئت بعثناه أسيراً[٤]، وكان منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص الخائن وحجر بن عمر والأشعث بن قيس وغيرهم كثير. واكتشف الإمام عليه السلام مضمون هذه الرسائل وعرف أهلها فتبين له خيانة الناس وعبادتهم للدنيا وحبهم للراحة. وبعدهم عن الدين وقال قولاً خالداً: «وا عجباً من قومٍ لإحياء لهم ولا دين، يغدرون مرّة بعد مرّة وأيم الله لو وجدت على ابن هند

---

(١) انظر الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي: ١٩٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤١.

(٣) تهذيب الكمال ٦: ٢٤٦ وانظر سير أعلام النبلاء ٣: ٢٦٤.

(٤) الإرشاد ١: ١٢.

أعواناً ما وضعت يدي في يده، ولا أسلّمت إليه بالخلافة وإنّها محرّمةٌ عليهم، فإذا أنتم لا يأمن عددكم وأفعالكم فإنّي واضع يدي في يده، أيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية، وإني لأعلم أنّي عنده أحسن حالاً منكم، وتالله ليسوء منكم بنو أمية سوء العذاب، ويشنون عليكم جيشاً عظيماً من معاوية فتبّاً لكم وترحاً يا عبيد الدنيا وأبناء الطمع»[١].

وتزاحمت قوى الشرّ من كلّ ماكر وغادر وبائعٍ لدينه على قتال هذا الإمام الصالح الذي لم يكن ليريد إلّا الخير كلّ الخير للإسلام وأهله، ويملي عليه معاوية شروطه للصلح بالخديعة ويقبل الإمام مرغماً. صُلح الغادر الماكر بالشروط التالية:

١) أن يعمل بكتاب الله وبسنّة رسوله[٢].

٢) اشترط أن الحكم بعد معاوية يرجع إلى الحسن[٣].

٣) أن يؤمن شيعة علي عليه السلام وأن لا يتعرّض لأحد منهم بسوء[٤].

٤) أن يكف اللعن والسبّ عن الإمام علي على المنابر[٥].

تلك هي الشروط التي أبرمها الإمام هادفاً إلى حفظ الأُمّة من الأخطار التي كانت تهدّدها محاولاً أن يعيد تعبئة النفوس وفقاً لرسالة الإسلام وأن يبعث الأُمّة من جديد.

---

(١) الهداية الكبرى: ١٩١.

(٢) انظر ينابيع المودة ٢: ٤٢٥.

(٣) فتح الباري ٣٣: ٥٥.

(٤) الإرشاد ٢: ١٤.

(٥) المصدر السابق.

فماذا نقول للتاريخ وقرائه وماذا نكتب للضمائر وأهلها؟ وكيف نخاطب الجهلة المخدوعين الضالّين الذين يتوهّمون أنّ الحسن بن علي عليه السلام جبان ورجل سلام لا رجل حرب، ثمّ يفترون عليه مالا يليق بشخصه الذي لا يختلف عن شخص أبيه ؛ لأنّهم ذرّيةٌ بعضها من بعض، وكانت وصيته عليه السلام أن يدفن إلى جانب جدّه[1] رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن دسّ له المجرم معاوية السمّ عن طريق زوجته جعدة[2] وبعد أن وضع الشروط المبرمة للصلح تحت قدميه وقال للناس في الكوفة: «إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكّوا ؛ إنّكم تفعلون ذلك فإنّما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»[3].

وبعد وفاته عليه السلام حمله بعض أصحابه ليدفنوه إلى جانب جده حسب وصيته لكن الأمويين منعوهم من ذلك وراحوا يرمون جثمانه الطاهر بالنبال الحاقدة حتّى غطتها السهام وعادوا بالجثمان فدفنوه بالبقيع.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ١٣.

(٢) الاستيعاب ١: ٣٨٩.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٥.

الإمام الحسين عليه السلام

تزداد ثورة الإمام السبط الحسين عليه السلام جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن تألقاً في جبين التاريخ، ورسوخاً في ضمير الأُمّة المسلمة، ووضوحاً في فكر المؤرِّخين والباحثين، كما يزداد الأحرار المؤمنون اقتداءً بها وتمسكاً بنيل أهدافها من أجل تحطيم جور الطواغيت، وإزالة حكم عملاء الشرق والغرب في عالمنا الإسلامي الكبير.

الإمام الحسين عليه السلام ثار وأصرّ على الثورة وواصل أشواطها الأخيرة، واسترخص أغلى التضحيات، وبذل أعزّ النفوس الطاهرة والأرواح الزكية لهدف واحد، وهو إبطال ما غرسه ويغرسه من الفساد والظلم معاوية بن هند آكلة الأكباد والذي حاول جاهداً مع ابنه يزيد أن ينسف مبدأ الشرعية الإسلامية من الجذور، وعمل بالباطل على إباحة كلّ حدود الله وأحكامه ابتداءً من شروط تولّي قيادة الأُمّة المسلمة وانتهاءً بتعطيل كلّ أحكام العبادات وقواعد الأخلاق في الإسلام.

إنّ لأبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام مكانة عظمى لا يرقى إليها سوى أبيه وأمّه وأخيه السبط والأئمة من ولده عليهم السلام، ولو بذل كلّ مؤرِّخ جهده الحقيقي لتتبّع ما يحظى به الإمام الحسين عليه السلام من مقام رفيع إذاً لخرج بسفر جليل في هذا المضمار، وإنّنا وبقدر ما تسمح به المحاولة التي بين أيدينا سنشير إلى بعض المنطلقات الأساسية التي تبرز مقامه الشريف ومكانته الكبيرة في معيار

الشريعة الإلهية.

مسيرة الإمام الحسين إلى كربلاء شكّلت مدرسة الإسلام العظيمة في مطلع العقد السابع من القرن الهجري الأوّل، وثبّتت التعاليم الشاملة في السياسة الإسلاميّة ، وهي تعاليم تصلح لكلّ زمان ومكان ؛ لأنّ الحسين عليه السلام استقاها من القرآن الكريم ومن سيرة أبيه علي عليه السلام ومن سنّة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله فكان سلوكه السلوك الرسالي الذي يحمل الهداية والإرشاد للعالم.

لقد ألقى الإمام الحسين عليه السلام درساً رئيسياً على الإنسانية هو جوهر الإسلام وحقيقته، والذي انبثقت منه دروس كثيرة تحدّد المكلّفين لقيادة أُمّة الإسلام، وتكشف عمن يجب أن توكل إليهم إمامة الأُمة الإسلاميّة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وإنّ هذه الإمامة التي صدع بها الحسين من أهمّ المسائل الأساسية في الفكر السياسي الإسلامي، بل هي أهمّ تلك المسائل على الإطلاق، والتي اختلفت حولها آراء المسلمين ومواقفهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وخاصّةً بعد استلام معاوية الأمر، وتنصيبه لابنه يزيد من بعده، فقد اتسع هذا الخلاف وأخذ منحىً مصيرياً هامّاً فقال البعض: إنّ الإمام معيّن بالنصّ بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله عن الله سبحانه وتعالى، ومنهم من قال: إنّ المسألة شورى في المسلمين يختارون لقيادتهم من يرونه أهلاً للقيام بذلك.

فأمّا وجهة النظر الأولى القائلة بالنصّ على الإمام فلم يكتب لها أن تُطبّق في الإسلام إلّا لفترة وجيزة تمثّلت في خلافة الإمام علي عليه السلام، ولم يُتح لها أن تخوض تجربتها بسبب ما واجه الإمام من المشاكل المعقّدة التي أدّت إلى اندلاع الحروب المتتالية في عهده، ولم يقدّر للأمور أن تحسم، وللمشاكل أن تحل آنذاك بسبب اغتيال الإمام.

أمّا وجهة النظر التالية والقائلة بالشورى: فهي التي طبّقت عملياً، وهي التي أفضت في نهاية الأمر إلى ما هو سائد اليوم من حالةٍ مزرية في بلدان المسلمين.

الواجب الشرعي في مقاومة أئمة الجور: علم الحسين في مسيرته ضرورة مقاومة أئمّة الجور كواجب شرعي يقع على عاتق المسلمين بقيادة الإمام الحقّ، والمنصوص عليه من الله سبحانه وتعالى، وتأكيداً لهذا المبدأ كان الحسين عليه السلام يعلن أنّ ما يمنعه من بيعة يزيد، إنّما هو فساده الشخصي الذي لا يؤهّل إلّا أن يكون سلطاناً جائراً، وإنّ تمسّك الحسين بهذا المبدأ ينطلق من القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ **لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[1].

والظالمون – حسب القول الإلهي – هم أولئك الذين يتعدّون حدود الله أمّا الإمام الحسين فقد كان يسير على هدي تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله حيث يقول: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلا لحرام الله، تاركاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فعمل في عبادة الله بالإثم والعدوان ثمّ لا يغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[2].

إنّ أعظم الدروس السياسية التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام لأُمّة الإسلام هي أن لا يجعل القائد نفسه وذويه في مأمن عندما تتعرّض نفوس الآخرين للخطر، وهو عندما جاء إلى كربلاء وصحب معه جميع نسائه وأولاده وإخوته وأبنائهم حيث استشهد جميع الذكور باستثناء الإمام زين العابدين عليه السلام الذي

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

(٢) الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ٥: ٨١.

وانظر: مقتل الحسين لأبي مخنف: ٨٥ وتاريخ الطبري ٤: ٣٠٤ والكامل في التاريخ ٤: ٤٨.

كان مريضاً، وأنقذه الله من الموت، هذه هي شجاعة ومصداقية وإيمان الإمام الغير المحدود إمام عدل قضيته وإمام واجب دينه يمثّل بها جدّه رسول اللهﷺ الذي وقى أصحابه قدّ السيوف بأهل بيته الكرام حيث قتل عبيدة بين الحارث في بدر والحمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة[١].

نحن نقول إن ثّورة الحسين هي عطاء عظيم، وتصحيحٌ عقلي وفكري لأُمّة الإسلام آنذاك حيث كان التمييز مشوهاً ما بين الحاكم الإسلامي الشرعي والحاكم المنحرف، وكان الكثيرون يدينون للباطل دون إدراك أو تمييز.

إنّ ثورة الحسين تنير الدرب للمؤمنين الشرفاء وتُذكّرهم دائماً بوجوب تصحيح المسار والتبرئة من النفاق والمنافقين، وليعرفوا من هم أولوا الأمر الذين قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿ **أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[٢].

إن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليعني الحكّام المتسلّطين، ولكن هم الذين يحددّهم ويزكّيهم حتّى يكونوا بمستوى ولاية الرسول بعد الله تعالى.

من هو الحسين: الحسن والحسين أسماءٌ خصّهما بها الله تعالى دون سواهما، ولم يسبق لأحد من قبل أن سمّى كذلك إلّا ولدا هارون أخو نبي الله موسى ووصيه، وكان الاسم بالعبرانية شبراً وشبيراً وترجمتهما في العربية حسن وحسين[٣].

---

(١) انظر نهج البلاغة ٣: ٩، كتاب رقم٩.

(٢) النساء (٤): ٥٩. نزلت في عليعليه السلام وفي بعض الأخبار معه الحسن والحسينعليهما السلام انظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ١٨٩ – ١٩١ الأحاديث ٢٠١ – ٢٠٣ ومناقب علي ابن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه: ٢٣٠، حديث٣٢٧ و٣٢٨، وينابيع المودة ١: ٧٤.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٩٧ – ١٩٨. وانظر: مسند أحمد ١: ١١٨ والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٦٥ والسنن الكبرى للبيهقي ٦: ١٦٦ والمصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٣، حديث١١.

كنيته عليه السلام أبو عبد الله، وألقابه: سيد شباب أهل الجنّة[١] والسبط[٢] الوفي ثمّ المظلوم[٣].

جاء الرسول صلى الله عليه وآله إلى ابنته فاطمة عليها السلام قبل أن تلد بأيام قليلة وقال لها لا تُرضعي المولود حتّى أعود فلما ولدت جاء إليها وقال: أين ولدي؟ فناولته لأبيه فوضع لسانه الشريف في فمه، وأذّن في أذنيه ثمّ بدأ يضع إبهام يده اليسرى في فم الحسين يمتصها فسئل: لماذا يا رسول الله؟ قال: حتّى ينمو جسمه من نبض قلبي[٤].

وعلى ذلك فقد غذت هذا الغلام أكفّ الحقّ، وأرضعته ثدي الإيمان، وقيل أيضاً أنّه حين ولد الحسين نزل جبريل عليه السلام بأفواج وصفوف من الملائكة ليهنّئوا رسول الله صلى الله عليه وآله بمولده[٥] وامتزج الدمع في عيني الرسول الكريمتين بالفرحة في وجهه الكريم حين أخبره جبريل أنّ ولده الحسين يذبح مظلوماً[٦] وكان صلى الله عليه وآله كثيراً ما يصاب بالحزن والأسى ويبكي عندما ينظر إلى الحسين كثيراً ما.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٧٧ ومسند أحمد ٣: ٣ و٦٢ و٦٤ و٨٢ و٥: ٣٩١ و٣٩٢ وسنن ابن ماجة ١: ٤٤ وسنن الترمذي ٥: ٣٢١ حديث٣٨٥٦ و٣٢٦ حديث ٣٨٧٠ وفضائل الصحابة للنسائي: ٥٨ والمستدرك للحاكم ٣: ١٦٧ و٣٨١.

(٢) الإرشاد ٢: ١٢٧ ومسند أحمد ٤: ١٧٢ وسنن ابن ماجة ١: ٥١ وسنن الترمذي ٥: ٣٢٤ والمستدرك للحاكم ٣: ١٧٧ والمصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٥ وصحيح ابن حبان ١٥: ٤٢٨ والمعجم الكبير للطبراني ٣: ٣٣، حديث٢٥٨٩.

(٣) كمال الدين: ٢٥٩، حديث٥.

(٤) انظر الإمامة والتبصرة: ٥٢.

(٥) بحار الأنوار ٤٣: ٢٤٩، حديث٢٤.

(٦) كفاية الأثر للخزاز القمي: ١٨٨.

أخي القارئ الكريم إنّ الملائكة لا تنزل بالبشارة والبركة إلّا لمن خصّهم الله سبحانه بمحبّته وأحاطهم بلطفه وعطائه. ووضعهم في المكانة الرفيعة التي يستحقّونها في حمل رسالة الأُمّة وجاءت الوثيقة الإلهية بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[١].

عن سلمان الفارسي قال: (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا الحسين على فخذه وهو يقبل خديه ويلثم فاه ويقول: «أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام وأنت حجّة ابن حجّة أخو حجّة، أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم المهدي»[٢].

إنّ آية التطهير الكريم كما تقول كلّ صحاح المسلمين إنّما نزلت بحق أهل البيت وإن النبيّ صلى الله عليه وآله دعا بكساء وجلّل به علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثمّ قال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ونزلت الآية الكريمة شهادةً من الله تعالى بحقّهم وبطهارتهم وسمو مكانتهم[٣].

ونزلت فيهم آية المباهلة: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٤].

وذهب أهل التفسير والعلم أنها عندما اتفق نصارى نجران مع رسول

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ٢٩١، حديث٨.

(٣) الأمالي للصدوق: ٥٥٩، حدث٤ والخصال: ٤٠٣، حديث١١٣ ومسند أحمد ١: ٣٣١ وسنن الترمذي ٥: ٣٠ والمستدرك للحاكم ٢: ٤١٦ و٣: ١٣٣ و١٤٦ و١٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي٢ : ١٥٢ وصحيح مسلم ٧: ١٣٠.

(٤) آل عمران (٣): ٦١.

اللهﷺ أن يبتهل كلا الطرفين إلى الله تعالى أن يهلك من كان في دعوته على الباطل فخرج الرسول بأهل بيته وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن. وفاطمة تسير خلفه وعليّ يمشي خلفهم والرسول يقول: «إذا دعوت فأمّنوا» لكن النصارى حين رأوا تلك الوجوه الزكية التي يشع منها نور الطهر والإيمان وتؤطرها هالةٌ من الجلال، اعتذروا للرسولﷺ عن المباهلة واعترفوا بنبوته ودفعوا له الجزية[١].

انظر إلى الآية تجدها تعبِّر عن الحسنين بالأبناء للرسول وعن علي (أنفسنا) نفس الرسول (ونساءنا) فاطمة التي تمثل نساء المسلمين جميعاً، ذلك هو ما يحظى به أهل البيت من مقام رفيع عند الله لا يمكن أن يرقى إليه سواهم أحد من البشر.

قال الرسولﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[٢].

---

(١) انظر روضة الواعظين: ١٦٤ والأمالي للصدوق: ٦١٨ والخصال ٥٧٦، حديث١ وصحيح مسلم ٧: ١٢٠ وسنن الترمذي ٤: ٢٩٣، حديث٤٠٨٥ وفتح الباري ٧: ٦٠ وتحفة الأحوذي ٨: ٢٧٨ ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ٥٠ ونظم درر السمطين: ١٠٨ وتفسير ابن أبي حاتم ٢: ٦٦٨ وتفسير السمرقندي ١: ٢٤٥ وتفسير ابن زمنين ١: ٢٩٢ والكشف والبيان ٣: ٨٥ وتفسير السمعاني ١: ٣٢٧ وشواهد التنزيل ١: ١٥٦، حديث١٦٨ وتفسير البغوي ١: ٣١٠ وتفسير النسفي ١: ١٥٨ وأحكام القرآن لابن العربي ١: ٣٦٠ وزاد المسير ١: ٣٣٩.

(٢) مسند أحمد ٤: ١٧٢ وسنن ابن ماجة ١: ٥١، حديث١٤٤ وسنن الترمذي ٥: ٣٢٤، حديث٣٨٦٤ والمستدرك للحاكم ٣: ١٧٧ ومجمع الزوائد ٩: ١٨١ والمصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٥، حديث٢٣ والأدب المفرد للبخاري: ٨٥، حديث٣٦٩ وصحيح ابن حبّان ١٥: ٤٢٨ والمعجم الكبير ٣: ٣٢، حديث٢٥٨٦ ومسند الشاميين ٣: ١٨٤، حديث٢٠٤٣ ونظم درر السمطين: ٢٠٨.

حسين منّي أي من لحمي ومن سنخي وجلدتي، وأنا من حسين أي أنّ الحسين هو الذي يحافظ على رسالتي ويجدّدها ويثبّت قواعدها وهو الذي يستمرّ الدين بفضل ثباته وجهاده إن الإسلام محمّدي الحدوث حسيني البقاء.

علاقة الإمام بالله: قيل للإمام الحسين عليه السلام يوماً: «ما أعظم خوفك من ربّك؟ فقال: لا يأمن يوم القيامة إلّا من خاف الله في الدنيا»[(١)].

وكان إذا توضأ تغير لون وجهه وارتعدت فرائصه فقيل له في ذلك فقال: «حقٌّ لمن وقف بين يدي الملك الجبار أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله»[(٢)].

لقد طلب الإمام الحسين عليه السلام من جيش العدو الأموي في اليوم العاشر أن يمهله تلك العشية قائلاً: «إننا نريد أن نصلي لربّنا الليلة فإنّه يعلم أنّي أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه»[(٣)].

وكذلك كان الإمام طوال حياته وحتّى في أحلك الساعات وأحرجها كان يطلب من المعتدين أن يوقفوا الزحف لكي يتمكن من الصلاة بين يدي الله تعالى، إنسان يواجه الموت فما ينسيه ذلك واجبه نحو ربه في علاقةٍ عميقة تربط بينه وبين خالقه.

أهداف ثورة الحسين:

عندما علم الإمام الحسين عليه السلام بخلافة يزيد الفاجر قدّر تقديراً صحيحاً مدى خطورة ذلك، على مستقبل الأُمّة الإسلاميّة وقدّر في الوقت نفسه ما

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٣٢٤.

(٢) العوالم ١٧: ٦٢، حديث١.

(٣) اللهوف: ٥٤.

يترتّب عليه هو من الواجب الشرعي إزاء هذا التحوّل الخطير، وبدافعٍ من وعيه وإيمانه راح بكلّ الحرارة والعنف يحاول تبديد ضباب الهجمة الفاجرة الذي حجب الرؤية الرسالية وأمات الضمائر، وعطّل روح الجهاد والانتصار للحقّ لدى فئة كبيرةٍ من أُمّة الإسلام لصالح المتسلطين على رقاب الأُمّة، ولم يكن ليريد في اندفاعه وتضحيته إلّا الانتصار للحقّ، وإحداث هزّة عنيفة في ضمير الأُمّة لتعي واقعها، وما آل إليه من انهيار وتفسّخ وانحراف، فأذاع عليه السلام بيان ثورته الأوّل قائلاً: «وإنّي لم أخرج بطراً ولا أشراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت أطلب الإصلاح في أمّة جدي محمّد صلى الله عليه وآله، أريد آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، أسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، وهو خير الحاكمين»[1].

لقد كان بيان الإمام الحسين بمثابة إعلان رسمي واضح للثورة على الباطل لا هوادة فيها، تدعو إلى حرب على الفساد والانحراف الذي طمس فيه المعروف، وظهر وأعلن المنكر، وقد نزل عليه السلام قبل سيره إلى العراق بدار العباس في مكّة. يحثّ الناس الذين زحفوا متوجّهين لنصرته من كلّ مكان، وكان أهل العراق قد طلبوا إليه ذلك وألحوا في طلبهم مستنكرين حكم يزيد وبطانته المجرمة، ووصل صوت أهل الكوفة عاصمة العراق إلى الحسين يحثّه على المسير، ويعلن له تأييداً سياسياً ثورياً وموالاةً مطلقة ضدّ يزيد بن معاوية، وتسلّطه على رقاب المسلمين بغير الحقّ.

وهكذا تحرّك الحسين من مكّة مارّاً بجميع البلاد والقرى في طريقه معلناً

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤١.

للناس ومبيّناً لهم حال المسلمين الراهن وموقفه منه، وقد لقي خلال ذلك التأييد الكامل حتّى وصل بجميع أهله وبعض أصحابه إلى العراق، لكنّه فوجئ بأنّ العدو الجائر كان قد أغرق الناس في جو إرهابي دموي، وغيَّر الموازين إلى حدّ بعيد لصالح الفاجر يزيد إمّا بالتهديد أو بالمال أو بإغراء المنصب حتّى استبدّ القنوط بكثير من الناس، وأصبحت القبيلة تمنع زعيمها من التصدّي للسلطان، والأمّهات يمنعن أولادهن من الخروج إلى نصرة الحقّ، وتقاطر الطامعون والمنافقون سراعاً إلى قصر الإمارة الأموي طلباً للمال أو المنصب.

وهكذا تشتّت وتمزّق مجتمع الكوفة وانعكس ذلك كلّه خذلاناً لابن رسول الله الحسين عليه السلام، ولم يعد عندهم من سلاح إلّا الندم والعجز والبكاء على ما فرّطوا بحقّ آل البيت مما حدى بالسيدة زينب أخت الحسين المرافقة له أن تقف فيه خطيبةً ممثّلةً دور كلّ النساء الصالحات اللواتي ينتصرن لنضال الحقّ في مسيرته الخالدة، فقالت: «الحمد لله والصلاة على أبي محمّد وآله الطيبين أمّا بعد: يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة، أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف النطف؟ وملق الإماء وغمز الأعداء...

ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون؟ إي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّي ترحضون مثل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، وملاذ خيرتكم،

ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أيّ كبدٍ لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ حرمة له انتهكتم؟! لقد جئتم بها صلعاء سوداء فقماء. أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفّنكم المهل ؛ فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر وإنّ ربّكم لكم بالمرصاد»[1].

وهكذا تضع زينب الكبرى المتخاذلين من أهل الكوفة أمام مسؤولياتهم، وتعكس لهم جسامة الخطر، وحراجة الموقف الذي هم فيه بعد قتلهم الحسين عليه السلام.

أمّا الإمام فيواصل مسيرته إلى العراق متسلّحاً بقراره في الدفاع عن الحقّ، ولا يحاول النكوص والتراجع، ولم يتأثّر بنكث الناس لعهدهم، رغم اتخاذ السلطة الأُموية كلّ الإجراءات لقطع الطريق على الحسين ودخوله إلى الكوفة، فمنعت الدخول والخروج من الكوفة وإليها، بأمر من الوالي عبيد الله ابن زياد الذي نشر قواته على جميع الطرق المؤدّية إلى الكوفة في خطٍّ يمتدّ من القادسية حتّى خفان، وخطّ آخر يمتد من القادسية حتّى قطقطانة، ويمتدّ انتشار الخطوط حتّى جبل لعلع فنجحوا في خطّتهم الخبيثة هذه بقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وحجبوا عن العباد نور الله.

---

(١) اللهوف: ٨٧.

الإمام زين العابدين عليه السلام

تتملّكنا الدهشة عندما نستمع إلى الوحي يأمرنا بالولاية لأهل البيت! ونتساءل ما هذا التوكيد المتواصل والبالغ الأهمية: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[1].

يأمرنا القرآن الكريم بطاعة أولى الأمر الشرعيين، والتسليم لأمرهم، وعندما نتدبّر تلك الآيات يوسوس لنا الشيطان في أنفسنا عمّا إذا كانت هذه الآيات تحدّثنا عن بشر من مثلنا أم عن ملائكة خلقوا من نور قدرته تعالى؟ فما هي الحقيقة الواقعة التي تبيّن لنا سيرة حياة هؤلاء الذين أمرنا الله سبحانه باتباعهم، ألم يكونوا عباد الله الأبرار، وأوليائه الأطهار، الذين أمرنا الله أن نبتغي الوسيلة إليه عبر ولايتهم، وأن نطلب منه الهدى، كما هدى الذين أنعم عليهم، فنركع مع الراكعين، ونرجو اللحاق بركب الصالحين.

إنّ ولاية مثل هؤلاء تدفعنا إلى أن نتلمّس سيرة حياتهم الوضّاءة لنتعرّف إليهم عن كثب، وإنّنا عندما نشرح للناس ونعرّفهم على حياة الأئمّة سواء كان ذلك عن زين العابدين أو غيره من الأئمّة ؛ فإنّنا نبيّن حقيقةً واضحةً لا تحتاج إلى بيان، لكن إهمال الناس في تحري الحقائق عبر التأمّل المنصف، ومطالعة تاريخ الأئمّة، ذلك الإهمال يدعونا أن نبيّن من هو الإمام وما هي مهمّته الرسالية؟

---

(١) النساء (٤): ٥٩.

الإمام زين العابدين عليه السلام هو سيد العابدين، وقبلة العارفين، وقدوة الموحدين، هو ابن الحسين عليه السلام الباقي الوحيد لأبيه بعد قتل إخوته وأهله يوم كربلاء، وكان عمره ثلاثة وعشرين سنة، وكان متزوّجاً، وله ابن اسمه محمّد الباقر الذي احتضنه جدّه الحسين عليه السلام لمدّة سنتين.

أمّا أُمّ زين العابدين فكانت (شهربانو أو شاه زنان) بنت أكبر ملوك عصره الملك الفارسي يزدجرد بن شهريار بن كسرى[1].

وقال أبو الأسود الدؤلي:

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم[2]

وعجباً لنا لا نعرف أهل البيت ولا نقتدي بهم ولا ننصرهم! بينما يفاخر الأعاجم حتّى أبد الآبدين بانتساب هذا الإمام إليهم من طرف أُمّه.

مولده وحياته:

ولد عليه السلام في المدينة المنوّرة سنة ٣٨هـ، وتزوّج عدّة زيجات، وله من الأولاد خمسة عشر ما بين ذكر وأنثى[3]، وعاش الإمام عليه السلام في عهد يزيد بن معاوية ثلاث سنين الذي هلك سنة ٦٤هـ[4].

وفي حكم ابنه معاوية الأصغر الذي حكم أربعين ليلة فقط[5] تبرأ فيها

(١) انظر مواليد الأئمة لابن الخشّاب: ٢٣ وتاريخ الأئمة للكاتب البغدادي: ٢٤ والإرشاد ٢: ١٣٧.
(٢) الكافي ١: ٤٦٧، حديث١ ومناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٥.
(٣) الإرشاد ٢: ١٥٥ – ١٥٨.
(٤) شرح نهج البلاغة ٦: ١٥٢.
(٥) المصدر السابق.

من أعمال أبيه وجدّه ثمّ مات فاستلم الحكم بعده مروان بن الحكم لتسعة أشهر في عصر الإمام.

ثمّ تلاه عبد الملك بن مروان الذي مات سنة٨٦هـ ثمّ الخليفة الوليد بن عبد الملك[١] الذي مات الإمام في عهده مسموماً.

كان الإمام عليه السلام سليل النبوة، وكان نافذةً من النور، وأفقاً بيّن الدرب الصحيح الذي يتقرّب فيه العباد إلى الله وتراباً يتمرّغ فيه الزهّاد شوقاً إلى عالمهم الآخر، ولقد كتب عنه المنصفون قديماً وحديثاً، وقالوا عنه الكثير عن عفوه وحلمه وكرمه وعطائه وتواضعه، ودوّنوا له أدعيةً هي ينبوع من عالم الحقيقة، مفسّراً فيها كلّ معضلة، وموضّحاً كلّ إبهام، وواضعاً الدواء لكلّ داء، مناجياً بكلام الحقّ وجمع أدعيته تحت عنوان: «الصحيفة السجادية»[٢].

وانتشرت علومه عن طريق الدعاء؛ لأنّها كانت مراقبة ومحاصرة بشدّة من قبل السلطة السياسية الأموية، فاضطرّ أن يبيّن للناس أعظم العلوم الأخلاقية والروحية والتوحيدية والسياسية عن طريق الدعاء الذي لا يستطيع أن يصل إلى مثل مستواه أحد لولا الألطاف الإلهية التي خصّ الله بها من اختارهم لقيادة العباد، وسياسة البلاد، وحمل لواء الدعوة، ذلك هو الإمام زين العابدين عليه السلام.

إن هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة عبد الملك والوليد، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر، فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه،

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٤.

(٢) الذريعة ١٥: ١٨.

وأطاف به أهل الشام فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجّادة، كأنّها ركبة عنز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحّى الناس حتّى يستلمه، هيبة له وإجلالاً، فغاظ هشاماً فقال رجلٌ من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرجوا له عن الحجر؟

فقال هشام: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق - وكان حاضراً - لكنّي أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأته	والبيتُ يعرفه والحلّ والحرمُ
هذا ابنُ خير عبادِ الله كلّهم	هذا التقيُّ النقيُ الطاهرُ العلمُ
هذا عليٌّ رسول الله والدُهُ	أمسى بنور هداه تهتدي الظلمُ
إذا رأته قريشُ قال قائلُها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والعجمُ
يكاد يمسكه عرفانَ راحته	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
يغضي حياءً ويغضى من مهابته	فما يكلم إلا حين يبتسمُ
ينشقّ نور الدجى عن نور غرّته	كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلمُ
بكفه خيزرانٌ ريحه عبق	من كفّ أروع في عرنينه شممُ
مشتقة من رسول الله نبعته	طابت عناصره والخيم والشيمُ
حمّال اثقال أقوام إذا فدحوا	حلو الشمائل تحلو عنده نعمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
هذا ابن فاطمة الغرّاء نسبته	في جنّة الخلد يجري باسمه القلمُ

الله فـــضّله قـــدماً وشرّفـــه ... جـرى بـذاك لـه في لوحـه القلـمُ
مـن جـدّه دان فـضل الأنبيـاء لـه ... وفـضل أمّتـه دانـت لهـا الأمـمُ
عـمّ البريـة بالإحـسان فانقـشعت ... عنهـا الغيابـة والإمـلاق والظلـمُ
كلتـا يديـه غيـاث عـمّ نفعهـما ... يـستو كفـان ولا يعروهمـا عـدمُ
سـهل الخليقـة لا تخـشى بـوادره ... يزينـه اثنـان حسن الخلـق والكـرمُ
لا يخلـف الوعـد ميمـونٌ نقيبتـه ... رحـب الفنـاء أريـب حـين يعـترمُ
مـن معـشر حبّهم ديـن وبغـضهم ... كفـرٌ وقـربهم نجـى ومعتـصمُ
يـستدفع الـسوء والبلـوى بحبّهم ... ويـستزاد بـه الإحـسان والـنعمُ
مقـدّم بعـد ذكـر الله ذكـرهم ... في كـلّ بـدء ومختـوم بـه الكلـمُ
إن عـدّ أهـل التقـى كـانوا أئمـتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ
لا يـستطيع جـوادٌ بعـد غـايتهم ... ولا يُـدانيهم قـومٌ وإن كرمـوا
هـم الغيـوث إذا مـا أزمـة أزمـت ... والأسد أسد الشري والنـار تحتدمُ
يـأبى لهـم أن يحـل الـذمّ سـاحتهم ... خـيمٌ كـريمٌ وأيـد بالنـدى هـضمُ
لا ينقص العسر شيئاً مـن أكفهـم ... سيّان ذلـك إن أثـروا وإن عـدموا
أي الخلائـق ليـست في رقـابهم ... لأوّليّـة هـذا أولـه نعـمُ
مـن يعـرف الله يعـرف أوّليّـة ذا ... والـدّين مـن بيت هـذا نالـه الأمـمُ

قـال فـذهب هـشام وأمـر بحـبس الفـرزدق، فحـبس بعـسفان بـين مكّـة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسينعليه السلام، فبعث إليه باثنتي عشرة ألف درهم وقال: أعذرنا يا أبا فراس لو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردّها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت إلّا غضباً لله ولرسولهصلى الله عليه وآله وما كنت لأرزأ عليـه شـيئاً

فردّها إليه وقال له: بحقي عليك ما قبلتها فقد أنار الله مكانك وعلم نيتك فقبلها[١].

عاش الإمام السجاد عليه السلام يمارس في ظلال والده الإمام الحسين عليه السلام دور الزيادة في مواجهة الردة الجاهلية الأموية فعمل جاهداً على تطهير القلوب التي امتلأت بحبّ الجبت والطاغوت وأعوانهم والنهي عن الطاعة العمياء للظالمين، وكان مجلسه ملتقي للعلماء والفقهاء الذين حفظوا عنه المواعظ والأدعية وفضائل القرآن الكريم وتعرّفوا إلى الحلال والحرام في الشريعة، وكان الإمام عليه السلام شديد الاحترام لطلبة العلم الذين يتوافدون عليه في المدينة من شتّى أقطار العالم الإسلامي ليتزوّدوا من طلعته الربّانية التي تفيض بخشية الله وليأخذوا عن عقله وعن لسانه الذي لا يفتر عن ذكر الله.

لقد كانت الفتوحات الإسلاميّة تضم في كلّ يوم بلداً جديداً إلى جسد أُمّة الإسلام، لكن ذلك الجسد كان بحاجة ماسّة إلى زخم إيماني وتربوي يصهر مختلف الثقافات والتقاليد والمصالح في بوتقة الأُمّة الواحدة، وقد تصدّى الإمام عليه السلام وأصحابه لهذه المسؤولية فكان شديد الاحترام للموالي الذين دخلوا حديثاً في الإسلام في زرع القيم الإلهية فيهم، ويتعامل معهم بأفضل الطرق ثمّ يعتقهم بعد أن يوفّر لهم الحياة الكريمة ويجعل من كلّ واحد منهم ركيزةً إعلامية بين بني قومه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله[٢].

---

(١) الاختصاص: ١٩١ – ١٩٤.

(٢) الإرشاد ٢: ١٤٢.

رسالة الإمام في دعائه:

الحصار الذي كان مضروباً من قبل الأمويين على أهل البيت حدّ كثيراً من فعالية الإمام وعرقل مسيرته الرسالية بشكل مكشوف فاضطرّ إلى أن يتخذ أسلوباً جديداً في الدعوة إلى الله بعد استشهاد أبيه، أسلوب يتناسب مع الظرف السياسي الذي هو فيه ويحقّق له نشر مبادئ الإسلام وحمل لواء دعوته عن طريق الأدعية والمناجاة التي هي تجليات الوحي على أفئدة الهداة المهتدين من عباد الله المقرّبين وانعكاس لمعارف الوحي على القلوب الزكيّة والألسنة الصادقة.

وقد أجمع العلماء الربّانيون من أهل البيت أن دعاء الإمامعليه السلام كان يحمل في طياته جميع أهداف الدعوة والرسالة، وكان دعاؤه معلّماً في كيفية العبادة والتضرّع إلى الله وفي السلوك الحسن والأخلاق المحمدية والتبرأ من الظالمين، والتمسّك بحبل الله المتين. لقد كانت أدعيتهعليه السلام شرحاً لطريقة الداعية إلى الله في علم العلوم الغيبية تبيّن للناس قوانين الله في الآفاق وفي أنفسهم ليتأملوا قدرة الله وعظمته وشمولية علمه وحكمته.

من أدعيته: «سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرّة»[1].

ليس من المدهش أو الغريب أن يتكلّم الإمام بهذه العلوم التي لم يكتشفها العلم إلّا مؤخّراً، وليس من العجيب أن يعرف وأن يكتشف القضايا

(١) الصحيفة السجادية: ٢٤.

العلمية الدقيقة ذلك ؛ لأنّه إمام الأُمّة وابن رسول الله، ومن الذين هم عدل القرآن، فإذا تكلّم فإنّما يتكلّم بما سبق به القرآن الكريم كلّ العلوم، وهو الذي عرف منطق القرآن، وتأويله لقد ذكر وزناً للهواء وللضوء والفيء، ونحن وإن لم يكن هذا من اختصاصنا لكنّنا نأخذ التعبير البسيط والشيء الواضح مثل وزن الهواء الذي لم يفكّر به أغلب الناس عندئذٍ.

ومن الدلائل التي أثبتها العلماء أنّ وزن الإنسان ينقص بعد وفاته وخروج روحه من الجسد، وهذا دليل على أن الطاقة الروحية هي مادّة ذات وزن وكتلة ؛ لأنّ كلّ طاقة تعادل ثقلاً، والثقل هو الوزن، فاندفاع الريح مثلاً يضغط على الأجسام بقوّة مشابهة للقوّة التي يولدها الثقل على راحة اليد ولذلك قال: «سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرّة».

وأهل البيت جميعاً عليهم السلام كانوا كذلك، وعلى هذه الدرجة من العلم، ولقد اجترحوا الكثير من العجائب، والإمام زين العابدين عليه السلام رسول المحبّة وحامل راية الدعوة، كان يغتنم كلّ فرصة ليقوم بهذا الواجب، فلقد قدّم عن طريق الدعاء كلّ ما يستطيع من إرشاد وهداية ودعوةٍ إلى مقارعة الظلم والظالمين، فكان نِعم الإمام ونِعم حامل راية الدعوة، ولقد سمّي عليه السلام لرقّة عاطفته وعظيم حماسه بأحد البكّائين الخمسة في الدنيا، وكان يجعل من البكاء ومن دموعه الطاهرة ومن مشاعره المتحرّقة الصادقة نداءً يوقظ كلّ مؤمن وينبّهه إلى واجب محاربة الظالمين المجرمين، وبكى على أبيه الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين[1]. وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى حتّى قال له مولى له: يا ابن

(١) روضة الواعظين: ١٧٠.

رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟!

فقال له: «ويحك إنّ يعقوب النبيّ عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله عنه واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، وأحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حياً في الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني[(١)]؟!

وكان عليه السلام يبكي فيبكي الناس من حوله ويعولون، وبهذه الطريقة اللطيفة والقوية كان يحرّك ضمائر الناس وينبّههم على مظلومية الحسين عليه السلام.

سبايا آل محمّد إلى الشام:

أكاد لا أصدّق وإنّ عيني لتنكران هذا العنوان، وإنّ قلبي لينخلع اشفاقاً ومحبّةً وإجلالاً لهذه السلالة كما يمتلئ كرهاً وحقداً وضغينةً واحتقاراً على المجرمين، عندما انتهت معركة كربلاء بمقتل الحسين وأهل بيته الذين لم يبق منهم إلّا الإمام زين العابدين عليه السلام لأنّه كان عليلاً فنجا بحكمة ربّانية حيث أراد شمر قتله يوم عاشوراء فمنعه عمر بن سعد قائلاً: «ولا يعرضنّ لهذا الغلام المريض»[(٢)] وأمر ابن زياد بقتله فتعلقت زينب به وطلبت من ابن زياد أن يقتلها معه فقال ابن زياد: «دعوا الغلام ينطلق مع نسائه»[(٣)].

ولتبقى سلسلة الإمامة محفوظة ومستمرّة، وبعد القضاء على صفوة أهل النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ المجرمون غلاظ الأكباد عديموا الإيمان النساء المطهّرات

(١) الخصال: ٥١٨ – ٥١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٤: ٨٢.

الشريفات سبايا ومعهُنّ عدد من الأطفال إلى الكوفة ثمّ إلى الشام، وقبل أن يصلوا إلى الشام كانوا قد ملئوا المدينة إعلاماً مضلّلاً ودعاية أرادوا بها التعتيم على الحقيقة قائلين إنّ هؤلاء الذين جاؤوا بهم هم من الخوارج المتمرّدين على خلافة يزيد وولاية عبيد الله بن زياد ولسوف ينالون كما قالوا جزائهم العادل بالسبي والسجن. لقد ضلّوا الناس بهذا الإعلام الكاذب ثمّ أنزلوا النساء والأطفال في خربةٍ مكشوفة[1]، وأخذوا الإمام مقيّداً بسلاسل الحديد من عنقه ويديه.

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد:

روي أنّ يزيد لعنه الله أمر بمنبر وخطيب ليخبر الناس بمساوي الحسين وعلي عليهما السلام وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد لعنهما الله فذكرهما بكل جميل، قال: فصاح به علي بن الحسين: «ويلك أيها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق»، فتبوأ مقعدك من النار ثمّ قال علي بن الحسين عليه السلام: يا يزيد ائذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً فقال: إنّه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنّه من أهل بيت قد زقوا العلم زقا قال: فلم يزالوا به حتّى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ خطب خطبة أبكى

(١) روضة الواعظين: ١٩٢.

منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثمّ قال: أيها الناس أعطينا ستا وفضّلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة والفصاحة، والشجاعة، والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبيّ المختار محمّداً، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأُمّة، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي أيها الناس أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء...، وأبو السبطين: الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب ثمّ قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، فلم يزل يقول: أنا أنا، حتّى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام فلما قال المؤذن الله أكبر الله أكبر قال علي: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، قال علي بن الحسين: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن أشهد أن محمّداً رسول الله التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمّد هذا جدي أم جدك يا يزيد؟ فإن زعمت أنّه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدي فلم قتلت عترته؟ قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة وتقدم يزيد فصلى صلاة الظهر[1].

نلاحظ أن خطب الإمام وأدعيته كانت مصدر قلق مستمرّ للأمويين كما كانت دافعاً محرضاً على الثورة ضدّ الظالمين الذين أوصلوا الأُمّة إلى هذا التشتيت والضعف، إنّ خطب الإمام وأدعيته كانت تشحن العقول والنفوس بكلّ ما هو خير وتحمّل المؤمنين مسؤولياتهم الدينية.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٧ – ١٣٩. وانظر مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٧٦ – ٧٨.

رحم الله سيدي الإمام البكّاء الثائر زين العابدين الذي كان قدوةً للناس في صحّة العقيدة وقوّة الإيمان والدعوة إلى الثورة غير آبه بالسجن أو الموت أو بأي نتائج كانت، وإنّ من يطالع خطب وأدعية الإمام التي كانت سلاحه الوحيد في تلك الظروف سيجد فيها الدليل على صحّة ما نقول، وستبقى أبد الدهر مشعلاً وضّاءً وطريقاً قويماً إلى مقارعة الظلم والظالمين.

الإمام الباقر عليه السلام

إنّ دراسة مناهج أئمة أهل البيت عليهم السلام والسير في دقائق خطّهم في الحياة ومعرفة ما عانوه من آلام ومصاعب وما تحمّلوه من ظلم واضطهاد ممن كان بيدهم مقاليد الأمور في مراحل عيشهم تكشف للمسلم الرسالي بوضوح مدى عطاء الإمام الباقر عليه السلام، ومدى تضحيته وجهاده في حياته، وتشعرنا أنّ الإسلام لا يتقوّم ولا يقوم إلّا على كاهل المجاهدين الثابتين على الخطّ الرسالي الصحيح.

إنّنا نعيش اليوم صحوةً دينية ويقظة إسلامية في العالم كلّه، وهذه الصحوة لم تأت عبثاً وإنّما كانت نتيجة لجهود كبيرة بذلها المسلمون الرساليون حتّى تشكّلت خلال أربعة عشر قرناً من الجهاد والبطولات والتضحيات بدءاً بالحسين عليه السلام ومروراً بأهل البيت وما قدّموه من الدماء الزكية والأرواح الطاهرة ليبقى خطّ الرسالة حيّاً متمرّداً ثائراً على الظلم والنفاق والجريمة. ولقد أورث الحسين عليه السلام هذا المسلك الملتزم إلى العلماء الربّانيين المجاهدين على خطّه، وغذّى ذلك في أهل بيته الأطهار إماماً بعد إمام فحملوا لواء النبوة والرسالة، وجعلوا من أنفسهم سياجاً منيعاً للصحوة الإسلاميّة الصحيحة، وضماناً لاستمرارها، وبتضحيات كبيرة خلقت جيلاً مؤمناً وصل بحماسه اليقيني وإحساسه بالمسؤولية الجهادية إلى أعلى الذرى.

ذلك هو ما أورثه سيدي الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن علي المرتضى عليه السلام، وتبعه ابنه الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام الذي لم تسمح له

ظروفه أن ينشر علومه في المجتمع المسلم الذي عاش فيه، وذلك بسبب المراقبة والتضييق والحصار على أهل البيتعليهم السلام من السلطات الحاكمة فلجأ إلى نشر علمه وخدمة دعوته عبر الأدعية والابتهالات التي صاغ بها حياة المجتمع الرسالي التابع لخطّ أهل البيت.

ثمّ جاء من بعده الإمام الباقر بن الإمام زين العابدينعليه السلام والذي سمّي بالباقر لأنّه بقر العلم ووصل إلى جوهره ولبابه كما قال جابر بن عبد الله الأنصاري بأن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال له: «بأنّك ستدرك رجلاً منّي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً»[1].

ولد محمّد الباقرعليه السلام من أبوين علويين، وذلك قبل واقعة كربلاء بأربع سنوات عام٥٧هـ[2]، وعاش في ظلّ جدّه الحسين هذه السنوات الأربعة حتّى جاءت الفجيعة الكبرى كربلاء جريمة التاريخ، والتي تركت في نفس الباقر الطفل صوراً من الأهوال شاهدها لحظة بلحظة.

بقي الإمام الباقرعليه السلام مع والده السجّاد تسع عشر سنة، وهو يستقي منه معاني الحياة الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والمثل الأعلى للصبغة الربّانية، وراح يضيء بعلمه دروب السالكين إلى الله حتّى يومنا هذا.

ونقل عن ابن الزبير محمّد بن مسلم المكّي أنّه قال: «كنّا عند جابر بن عبد الله فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمّد، وهو صبي، فقال علي لابنه قبّل رأس عمّك فدنا محمّد بن علي من جابر فقبّل رأسه فقال جابر من هذا، وكان

---

(١) الكافي ١: ٤٦٩، حديث٢.

(٢) الإرشاد ٢: ١٥٨.

قد كفّ بصره فقال له علي: هذا ابني محمّد، فضمّه جابر إليه وقال: يا محمّد، محمّد رسول الله يقرأ عليك السلام، فقالوا لجابر: كيف ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين في حجره، وهو يلاعبه، فقال: يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعلي ابن يقال له محمّد يا جابر إن رأيته فاقرأه منّي السلام وإعلم أنّ بقاءك بعد رؤيته يسير، فلم يعش جابر بعد ذلك إلّا قليلاً ومات[1].

مما لا شكّ فيه أنّ الإمام الباقر عليه السلام قد استأثره جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر تحديد اسمه ولقّبه بالباقر أي المتبحر بالعلم المستخرج لغوامضه ولبابه وأسراره، والمحيط بفنونه مما منحه أهلية النهوض بأعباء الإمامة للأُمّة بعد أبيه عليه السلام. لقد كان الإمام الباقر عليه السلام كما وصفه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بنى أعلى صرح المعارف الإسلاميّة وحافظ على القاعدة التوحيدية بعد أن تصدّعت ثمّ أحاطها بالعلوم الإلهية من تفسير وفقه وعلم كلام وحديث متسلّحاً في كلّ ذلك بنور العقل الذي يتوهّج بالإيمان والإلهام ذلك العقل الذي لم يؤت منه بقية الناس إلّا قدر ضئيل لكن الله سبحانه أكمله بنبيه وأوصيائه وتلك حكمته التي يريدها عند طائفة من الناس دون غيرهم فيجعلهم نوابغ وعظماء كباراً وهذا يقودنا ويهدينا إلى معاني العلم الكوني الذي يضعه ربّنا في روح الصفوة من أوليائه. يقول الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ**

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣٣١.

(٢) السجدة (٣٢): ٢٤.

فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[١].

وجاء الحديث المأثور عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لجابر بن عبد الله: «يا جابر إنّا لو كنّا نحدّثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم»[٢].

إنّ الظروف السياسية القاسية التي مرّت على الأئمّة من حصار وتضييق ومراقبة وعداء وإرهاب قد اتسمت بانفراج نسبي بالنسبة للإمام الباقر عليه السلام، وذلك لظروف داخلية أرغمت السلطة آنذاك على إعطائه هامشاً في حرّيّة التدريس فكان يعلّم الناس، ويحاجج المخالفين ليهديهم سواء السبيل، وقد بثّ عليه السلام علمه للناس في كلّ حاجاتهم الدينية والدنيوية حتّى سمّي باقر العلم. وقد أخذ عنه كثير من العلماء الذين عاصروه من مثل عبد الله بن المبارك[٣] والزهري[٤] والأوزاعي[٥] وأبو حنيفة[٦] وابن جريج[٧] والأعمش[٨] وغيرهم كثيرون[٩].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّي كنت أمهّد لأبي فراشه فانتظره حتّى يأتي

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٢) الاختصاص: ٢٨٠.

(٣) معالم العلماء لابن شهرآشوب: ١٨٦.

(٤) تهذيب الكمال ٢٦: ١٣٩ والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢: ٢٠٢.

(٥) نفس المصدر.

(٦) تذكرة الحفّاظ ١: ١٦٨.

(٧) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢: ٢٠٢ وتذكرة الحفّاظ ١: ١٢٤.

(٨) تذكرة الحفّاظ ١: ١٢٤ وسير أعلام النبلاء ٤: ٤٠٢.

(٩) تهذيب الكمال ٢٦: ١٣٨ – ١٣٩.

فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وإنه أبطأ عليّ ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه، وذلك بعدما هدأ الناس، فإذا هو ساجدٌ، وليس في المسجد غيره، وسمعت حنينه وهو يقول: سبحانك اللّهم أنت ربّي حقّاً حقّاً، سجدتُ لك تعبّداً ورقّاً، اللّهم إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي، اللّهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم»[1].

قال عبد الله بن عطاء المكّي: «ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين عليهم السلام»[2].

وقال عماد الدين بن عمر بن كثير: «أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب...، وسمّي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم، وكان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوّة، رفيع النسب عال الحسب، وكان عارفاً بالخطرات كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدل والخصومات».

عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر الأنصاري قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ**﴾[3] عرفنا الله ورسوله فمن هم أولو الأمر؟

قال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ علي بن الحسين ثمّ محمّد بن علي...»[4].

---

(١) الكافي ٣: ٣٢٣، حديث٩.

(٢) الإرشاد ٢: ١٦٠.

(٣) النساء (٤): ٥٩.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١: ٢٤٢ وانظر ينابيع المودّة ٣: ٣٩٨ – ٣٩٩، حديث٥٩.

إنّ دراستنا لحياة أئمّة أهل البيت عليهم السلام تعطينا اليقين أنّهم لا يختلف الواحد منهم عن الآخر في نمط تفكيره وطراز حياته وأسلوب تعامله مع قومه إلّا بقدر ما تفرض ذلك الظروف والمشاكل الاجتماعية والسياسية التي تمرّ على كلّ واحد منهم في جوّها الخاص فتجعله متبايناً عن غيره في العمل والحركة، بينما هم سبيكة واحدة، أكّدها الرسول صلى الله عليه وآله لولده الحسين عليه السلام حين قال: «إنّ الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمّة، تاسعهم قائمهم، وكلّهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء»[1].

وتتكشّف لنا روحانية الإمام الباقر عليه السلام في انفتاح على أعلى مستويات الوعي الذي ليس له نظير إلّا عند الأنبياء مع أنّه كان في وضع اقتصادي صعب لا يحسد عليه، وقد وصفه ابنه الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «كان أبي أقلّ أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة»[2].

ويروى عن سموّه الأخلاقي وسعة صدره بالتي هي أحسن «إنّ نصرانياً اعتدى عليه بأفحش القول حيث خاطبه قائلاً: أنت بقر؟ قال: بل أنا باقر. قال [النصراني]: أنت ابن الطبّاخة؟ قال [الإمام]: ذاك حرفتها. قال [النصراني]: أنت ابن السوداء الزنجية؟ قال الإمام عليه السلام: إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك. فما كان من النصراني بعد أن سمع كلام الإمام وملاطفته له وعظمة الرسالة التي يتبنّاها والأخلاق التي يعيش بها إلا أن أعلن إسلامه بين يدي الإمام»[3].

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ٣٩٥، حديث ٤٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٨٥.

(٣) انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٣٣٧.

لقد كانت منزلة الإمام الباقر العلمية في عصره أرفع بكثير من غيره من العلماء في جميع الأصعدة العلمية، وكانت مثار إعجاب القمم الفكرية في زمنه وما بعده، فعبد الله بن عمر بن الخطاب عندما يُسأل عن مسألة ويعجز عن الإجابة كان يرشد سائلها إلى الإمام الباقر عليه السلام قائلاً له: أذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمني بما يجيبك، فيجيبه الباقر، ويعود السائل بعدها إلى ابن عمر ليخبره بما جنى من ثمر فيعلّق ابن عمر على ذلك بقوله: «إنّهم أهل بيت مفهّمون»[1].

لم يكن فكر الباقر عليه السلام ليعمل على صعيد واحد وإنّما كان شمولياً متعدّد الأبواب والإغراض والمضامين يجسّد ذلك زعامته لمدرسة أهل البيت بعد أبيه عليه السلام، وقد كانت تُشد إليه الرحال من أقطار العالم الإسلامي كافّة، ويقصده رجالات الفقه والفكر وأصحاب المدارس التفسيرية والفقهية ليناقشوه وليستفيدوا من واسع علمه، ومنهم الحسن البصري[2] وطاووس اليماني[3] ونافع بن الأزرق[4] وعبد الله بن نافع[5] وغيرهم كثير[6].

إنّ الظروف القاسية التي عاشها الإمام الباقر في ظل السلطات المنحرفة قد عرقلت وجمدت نشاطه خلال ثلثي فترة إمامته التي كانت مشعلاً ربّانياً

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٩.

(٢) الاحتجاج ٢: ٦٢.

(٣) المصدر السابق: ٦١.

(٤) الكافي ١: ٨٨، حديث١ وروضة الواعظين: ٢٠٤ والإرشاد ٢: ١٦٤.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٢.

(٦) الاحتجاج ٢: ٥٥.

للعقول، لو أنّها أعطيت الحرية في القول والعمل ولم تحاصر في آخر عهد الوليد بن عبد الملك الأموي وحتّى فترة من حكم هشام بن عبد الملك الذين كانوا منشغلين بدروب شتّى من ألوان الترف واللهو والمجون، والذين كانوا يوجّهون التهم والإهانات ويزجّون في أعماق السجون كلّ من لا يسبّح بحمدهم ولا ينسج على منوالهم، ومع ذلك فقد عاش الإمام الباقر عليه السلام مكرساً كلّ جهوده وحسب ما تسمح له الظروف إلى عمله التغييري المقدام من خلال تبنيه السياسة التعليمية ودفعه للحركة التثقيفية رافداً حركة الهداية والتغيير بمزيد من الكوادر الرسالية الواعية.

ويشير تلميذه محمّد بن مسلم إلى عظمته المعرفية قائلاً:

سمعت من أبي جعفر عليه السلام ثلاثين ألف حديث»[١].

وقال جابر الجعفي: «حدّثني أبو جعفر عليه السلام سبعين ألف حديث»[٢].

من أقواله وحكمه عليه السلام: «إياك والكسل والضجر ؛ فإنّها مفتاح كلّ شرّ، من كسل لم يؤدِّ حقّاً، ومن ضجر لم يصبر على حقٍّ»[٣].

ومن أقواله عليه السلام: «ما من شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل، وإنّ أسرع الشرِّ عقوبة البغي، وإنّ أسرع الخير ثواباً البرّ والعدل، وكفى بالمرء عيباً أن يُبصر من الناس ممّا يعمى عنه عن نفسه، أو ينهى الناس عمّا لا يستطيع التحوّل عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه»[٤].

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٩٢، حديث ٢٨٠.

(٢) الاختصاص: ٦٦.

(٣) تحف العقول: ٢٩٥.

(٤) المحاسن ١: ٢٩٢، حديث ٤٤٧.

يقول الباقر عليه السلام: «يا جابر استكثر لنفسك من الله، قليل الرزق تخلّصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراء على النفس، وتعرّضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشرّ بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل. وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدّة التيقظّ. واستخلب شدة التيقّظ بصدق الخوف. واحذر خفي التزيّن بحاضر الحياة. وتوقِ مجازفة الهوى بدلالة العقل. وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم. واستبقِ خالص الأعمال ليوم الجزاء. وانزل ساحة القناعة بإتقاء الحرص...»[(١)].

ويقول عليه السلام: «الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة»[(٢)].

ومن أقواله عليه السلام: «لا يكون العبد عالماً حتّى لا يكون حاسداً لمن فوقه ومحتقراً لمن دونه»[(٣)].

عاش الإمام محمّد الباقر عليه السلام كما اسلفنا في عهد الأمويين فترةً عسيرة من حياته تحت ظلال التهديد والارهاب والمضايقة فلم يأخذ ما يستحقه من الحقوق إلّا في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي أعاد إلى أهل البيت بعض حقوقهم رغم قصر زمن خلافته فقد أرجع أرض فدك إلى الإمام الباقر عليه السلام[(٤)]، ومنع اللعنة والسبّ على المنابر[(٥)]، وأمر أن يُتلى بدلاً عن ذلك:

(١) تحف العقول: ٢٨٥.

(٢) الكافي ١: ٣٢، حديث ٤.

(٣) تحف العقول: ٢٩٤.

(٤) الخصال: ١٠٥ وانظر معجم البلدان ٤: ٢٣٩.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٢ والكامل في التاريخ ٥: ٤٢.

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

ثمّ أعطى أهل البيت عطاءً كبيراً[٢] وأولاهم الإجلال والاحترام كله ولم يعترف لهم بأحقيتهم في القيادة لأنّ الملك عقيم.

وجاءت بعد خلافة عمر خلافة هشام بن عبد الملك الذي أشخص الإمام الباقر عليه السلام من المدينة إلى الشام[٣].

وسمّه إبراهيم بن الوليد بن يزيد[٤]. فسلام على الإمام الباقر يوم ولد ويوم رحل إلى ربّه ويوم يبعث حيّاً. والحمد لله ربّ العالمين.

أخي القارئ ونحن نسرد غيضاً من فيض من سيرة هذا الإمام العظيم نرى فيها آيات من الإيمان الصادق والعمل الصادق والاستعداد للتضحية في سبيل الله، ونتلمّس الحكمة الربّانية في أقواله وعظاته حتّى لنقف مذهولين مندهشين أمام هذا المثل الأعلى الذي يستحقّ عن جدارة لقب واحدٍ من أعظم العظماء بتاريخ البشرية ولا عجب في ذلك ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم واصطفاهم وطهّرهم تطهيراً، وأهلهم لخدمة الدين ودنيا المسلمين والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا أبا جعفر وعهداً لنسيرن على دربك ولنحذونّ حذوك غير مبالين بأضاليل الضالّين ودعايات المنافقين المرجفين ؛ لأنّ لنا من حياتك وفي موتك قدوةٌ حسنة وأسوةٌ أحسن يا سيدي يا أبا جعفر.

---

(١) النحل (١٦): ٩٠.
(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٣٩١.
(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٤ ودلائل الإمامة: ٢٣٧.
(٤) المصدر السابق: ٣٤٠.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

نحن جميعاً وكلّ مسلم بحاجة إلى دراسة التاريخ دراسة علمية، وإلى دراسة المذاهب الفقهية والسياسية دراسةً عميقة لكي نستطيع أن نتبيّن مواطن الخطأ ونقول يا فلان أنت مخطئٌ، ولكي نتبيّن أيضاً مواطن الحقّ ونقول يا فلان أنت محقّ، وذلك بعد البحث العلمي والتمحيص وعدم الوقوع في أحابيل اللعب السياسية من أموية وعباسية ضدّ أهل البيت الكرام أو من نسج على منوال المفترين حتّى يومنا هذا.

إنّنا ننظر إلى حال الشيعة فنعجب ونذهل لما لاقو من الاضطهاد في العهود السوداء ولقرون عدّة، وتصيبنا الحيرة في أنّهم أي الشيعة كيف تمكّنوا برغم كلّ ذلك الاضطهاد أن يحافظوا على علمهم ومناهجهم وسيرتهم ورسالتهم واستمرّوا يحملون لواء الجهاد ضدّ كلّ الحكّام المنحرفين والظالمين لشعوبهم متبعين العقيدة الصحيحة التي استقوها من منهلها الأوّل منهل الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام متمسكّين بها بكلّ القوّة والإيمان والثبات ذلك ؛ لأنّها امتزجت عندهم مع الدم واللحم امتزاج الإيمان مع النفس المؤمنة كما وأنّهم (أهل البيت) لم يقفوا عند حدود التقليد والقول باللسان على عواهنه، بل كان دأبهم في الليل والنهار أن ينشروا علومهم وأن يبثّوا الروح الثورية روح رسالة الإسلام في نفوس المستضعفين وما تزال آثار هذه الدعوة تزداد يوماً بعد يوم بنور الحقّ حتى يومنا هذا.

ولقد كانت أفضل الفرص التي مرت في تاريخ الأئمّة وحقّقوا فيها تحوّلات كبيرة وسطّروا فيها صفحات خالدة هي الفرصة التي عاشها سليل أهل البيت ونسل النبوة وعالم زمانه كلّه وفقيه العلماء والمحدّثين الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

لقد أراد الله سبحانه أن يهدي بنوره هذه الشخصية الملهمة وأن يمدّها بعنايته حتّى استطاعت أن تسيطر بكلّ وضوح على علماء العصر وفقهائه ونوابغه بحيث كان يشعر الواحد منهم إلى جانب حضرة الإمام أنّه إناء صغير إلى جوار بحر زخار، ومن المعروف أن أهل البيت الكرام لم يدرسوا على يد أحد ولم يتتلمذوا على يد أستاذ لأنّهم درسوا على يد آبائهم وأخذوا عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله فاحتاج الناس إلى علمهم وفضلهم ولم يحتاجوا هم إلى أحد.

مطهّرونَ نقياتٌ ثيابهمُ	تجري الصلاةُ عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبهُ	فمالهُ في قديم الدهرِ مفتخرُ
فالله لما برى خلقاً فأتقنهُ	صفّاكم واصطفاكم أيّها البشرُ
فأنتم الملأُ الأعلى وعندكمُ	علمُ الكتابِ وما جاءتْ بهِ السورُ[1]

ما أشبه التاريخ بمرآة صافية تأخذ الصور ثمّ تحفظها للأجيال من كلّ الأمم، وهذه الصور هي مسجلّة كما هي عليه في الحقيقة إذا كانت اليد التي قامت بالتصوير نزيهةً وشريفة، ولكن من المؤسف أنّ المصالح السياسية والأهواء الشخصية تلعب دوراً هاماً في تشويه تلك الصور، وتسلبه حريته في

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٥. وهذه الأبيات لأبي نؤاس يمدح بها الإمام الرضا عليه السلام.

أداء الأمانة محاولة السيطرة على نظام التاريخ ومنعه من أن يوصل الحقيقة للأجيال، والحقيقة دائماً هي المفخرة، ها نحن نحاول بكلّ جهد أن نمسح عن الصور الحقيقة للتاريخ مالحق بها من تشويه لنبيّن لأهل القرآن قبساً من حياة الإمام الصادق الذي حاول كلّ الحاقدين والمنافقين وسذّج العقول أن يطمسوا سيرته، وأن يبدّلوا الأسماء والصور بغير حقيقتها، والله يعلم أنّهم لكاذبون، إنّ من يدرس حياة الإمام الصادقعليه السلام يصاب بضرب من ضروب الحذر والتكتّم ؛ لأنّ ما يقرؤه كان مكتوباً إمّا عن طريق التعتيم والتضييق على أهل البيت وبالتالي فهو دراسة سطحية ومغرضة يتبنّاها ويصدّقها من لا يمتلك الإيمان والإرادة والإدراك العقلي.

أقوال العلماء في الإمامعليه السلام :

زيد بن علي: «في كلّ زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمّد لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه»[1].

وقال اليعقوبي في تاريخه: «وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله»[2].

وقال عنه أبو زرعة: - عندما سئل من أيّهم أصحّ منهم الإمام جعفر بن محمّدعليه السلام - «لا يقرن جعفر إلى هؤلاء»[3].

فقال أبو حاتم الرازي موضحاً مقصوده: «يريد جعفراً أرفع من هؤلاء في

(١) الأمالي للصدوق: ٦٣٧، حديث٨٥٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨٣.

(٣) الجرح والتعديل ٢: ٤٨٧.

كلّ معنى»[١].

وفي ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: «وقد نقل أنّه يتكلّم بغوامض الأسرار والعلوم الحقيقية وهو ابن سبع سنين»[٢].

ولد الإمام عليه السلام في المدينة المنوّرة سنة٨٣هـ، وعاش خمساً وستين سنة، وتتلمذ على يد والده الباقر عليه السلام، وأُمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر[٣]، فكان إماماً صادقاً، ومفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي، يزيد في الزهّاد زهداً، ويكسب العلماء علماً، ويهدي ويطمئن المضطرب القلق، ويشجّع المقتحم بهدف هدم جدران الظلم والظالمين ليبني صرح العدالة.

وقال أبو نعيم: «الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، نهى عن الرئاسة والجموع»[٤].

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام: إن مدرسة الصادق عليه السلام هي جامعة إسلامية عظمى خلّفت للمسلمين ثروةً علميةً هائلة، وخرَّجت من العلماء مالا يحصره العدّ، وأنجبت خيرة المفكّرين، وصفوة الفلاسفة، وجهابذة العلم، وقد صنّف الحافظ أبو العبّاس ابن عقدة كتاباً جمع فيه من تخرّج من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام فبلغوا الأربعة آلاف كلّهم رووا عنه، فكانت مدرسته منارة للحضارة الإسلاميّة وللفكر العربي اللذان يدينان بفضلهما وبفضل عميدها

(١) المصدر السابق.
(٢) ينابيع المودّة ٣: ٢٢٢.
(٣) الإرشاد ٢: ١٧٩ – ١٨٠.
(٤) حلية الأولياء ٣: ٢٢٥.

الإمام الصادق عليه السلام حتّى أبد الأبدين.

أمّا السلطة الحاكمة آنذاك فقد اتخذت جميع التدابير لمحاربة تلك المدرسة التي اختصّت باستقلالها الروحي، وعدم خضوعها لنظام السلطة، وهذا ما أقضّ مضاجعهم وبعث في قلوبهم الوجل والخوف من نشاط هذه المدرسة، فوضعوا كلّ المخطّطات والمبرّرات والتدابير الممكنة حتّى يصلوا إلى إغلاق أبوابها والقضاء على عميدها الإمام الصادق عليه السلام، وبذل الخليفة العباسي المنصور كلّ ما في وسعه لكسب رضا الإمام والفوز به متقرّباً إليه ولكنّه لم يفلح.

كان من التلامذة المشهورين في هذه المدرسة العظيمة أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي الذي يقول: «ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمّد»[١].

وقوله أيضاً: «لولا السنتان لهلك النعمان»[٢].

ومن تلاميذه مالك بن أنس[٣] الذي كان وثيق الصلة بالإمام الصادق عليه السلام، وسفيان الثوري[٤] الذي روى الكثير عن الصادق، وسفيان بن عيينة[٥]، وفضيل بن عياض التميمي[٦]، وحاتم بن إسماعيل[٧]، وحفص بن غياث[٨]...

---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ٢: ١٣٢ وتهذيب الكمال ٥: ٧٩ وتذكرة الحفّاظ ١: ١٦٦ والوافي بالوفيات ١١: ٩٩.

(٢) المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الاثنى عشرية: ٢٨.

(٣) و(٤) و(٥) تهذيب الكمال ٥: ٧٥.

(٦) خلاصة الأقوال: ٣٨٧.

(٧) و(٨) تهذيب الكمال ٥: ٧٥.

وكلّ هؤلاء هم ممن تروي عنهم صحاح المسلمين كالبخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

الإمام الصادق عليه السلام وأنصاره:

نشأ الإمام عليه السلام في عصر كان أشدّ بلاء على المؤمنين الصادقين، عصر تتنازع فيه الأهواء، وتضطرب فيه الأفكار، وتزداد موجة الحقد والانتقام، وتتلاطم أمواج الظلم والإرهاب، يتقرّب الناس فيه إلى ولاة الأمور بالوشايات وقذف الآخرين، فلا حرمة للنفوس، ولا قيمة للدين، لكنّها الفوضى بعينها حيث الأمراء يحكمون بما شاؤوا والرعية العوبة بين أيديهم، وكان أشد الناس بلاء هم آل محمّد وشيعتهم وأنصارهم يلاقون شتّى أنواع النوائب والمصائب والبلايا، لكنّهم يواجهونها بقلوب مطمئنة ونفوس راضية بما وعد الله الصابرين.

وكانوا أثناء دخولهم إلى المساجد وخروجهم منها يسمعون شتم علي عليه السلام وأبنائه بكلمات وعبارات تعبّر عن سوء سريرتهم الخبيثة المنافقة، وكان الإمام عليه السلام يسمع ويرى ما يجري من هتك لدينه وإهانة لأبيه وجدّه[1]، ولكنّه ظلّ قدوة للمسلمين، وإماماً صالحاً للأمّة، تحمّل من السجن والتشريد والقتل، فكان المدرسة المثلى لكلّ داعية ولكلّ حامل عقيدة صافية، كان مثالاً لتحمّل المسؤولية ومثالاً للصابرين، ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾[2].

أمّا سيف المنصور فقد فعل الأفاعيل بالمسلمين، وقد سلبت الرحمة من قلبه فلم يراع القربى أو حرمة النسب، وكان يعتقد أن ليس لملكه دوام أو بقاء

---

(١) انظر المحاسن ١: ٢٥٩ – ٢٦٠، حديث٣١٣.

(٢) البقرة (٢): ١٥٥.

إذا ما بقي من أهل البيت وأنصارهم أحدُ على قيد الحياة، فأودع المنصور أبناء رسول الله في باطن الأرض، وسلّط عليهم زبانيته ليفعلوا بهم مالا يفعله الحيوان المفترس بفريسته، وكانوا يموتون في السجون وتبقى الجثث فيما بينهم، وهم صابرون يقيمون الصلاة ويقرؤون القرآن حتّى فرغ صبر المجرم المنصور ويأس منهم فأمر بأن يهدم عليهم السجن، وماتوا جميعاً تحت أنقاضه[١]، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾[٢]، وهو بقدرته وعظمته ردّ كيد الظالمين عن الإمام الصادقعليه السلام حتّى تبقى الإمامة بنورها الساطع خالدة في قلوب المؤمنين أو لم يقل الرسول الكريم في حديثه الشريف: «لو لم يبق في الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي، يوطئ اسمه اسمي، يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٣].

فالإمام الصادقعليه السلام هو الحريص رغم كلّ الصعاب على تمهيد الخط الرسالي ورفع رايته والذي يستمد من رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى ظهور المهدي المنتظرعليه السلام.

في العام الذي حج فيه الخليفة المنصور إلى بيت الله كثرت أقاويل الوشاة على الإمام الصادق فاستدعاه الخليفة وهو يتوعده قائلاً: «ابعث إليّ جعفر بن محمّد من يأتينا به متعباً، قتلني الله إن لم اقتله» وجاءوا بالإمام عنوة فتلقّاه المنصور بكلمات بذيئة قاسية قائلاً: «لقد اتخذك أهل العراق إماماً

(١) انظر مقاتل الطالبيين: ١٢١ – ٢٦٦.

(٢) الحج (٢٢): ٤٠.

(٣) روضة الواعظين: ٢٦١. وانظر مسند أحمد ١: ٩٩ وسنن أبي داود ٢: ٣٠٩ – ٣١.

يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك».

فقال الصادقعليه السلام: «يا أمير المؤمنين، سليمان أعطي فشكر، وإنّ أيوب ابتلي فصبر، وإنّ يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك النسخ» فكانت هذه الكلمات مزيلة للغيظ من قلب الخليفة الذي ناداه قائلاً: «إليّ وعندي يا أبا عبد الله أنت البريء الساحة، السليم الناحية القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم».

ثمّ تناول يده وأجلسه معه على فراشه، ثمّ قال: عليّ بالمنجفة فأتى بدُهن فيه غالية، فغلفه بيده حتّى خلِتُ لحيته قاطرة.

قال: يا ربيع الحق أبا عبد الله جائزته وكسوته.

كان الكثير من حرّاس المنصور من محبّي أهل البيتعليهم السلام، وقد قال لهم الإمام إنّي دعوت بدعاء جعله الله حصناً لي من القتل، قالوا ماذا دعوت: قال: عندما أدخلوني إليه قلت: «اللّهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك علي اللّهم إنك أكبر وأجل ممن أخاف - وأحذر، اللّهم بك ادفع في نحره واستعيذ بك من شره»[1].

وعاش الإمامعليه السلام سنوات طويلة يعاني في سبيل رسالته السماوية من الاتهامات والعذابات والسجون حتّى قتله الخليفة المنصور.

العباسيون وسياستهم: في بدء الثورة العباسية ضدّ الأمويين أيّدهم المسلمون جميعاً في كلّ البلاد ؛ لأنّهم أعلنوا أنّ الثورة هي ثورة أهل البيت،

(١) صفوة الصفوة ٢: ٤٩٨ - ٤٩٩.

والتحق الناس بهم وناصروهم، ولكن عندما استتبّ لهم الأمر وتوطدت أركان ملكهم تنكّروا لأهل البيت وادّعوا أنّهم هم أهل البيت، لكن أُمّة الإسلام لا تخفى عليها هذه اللعبة الماكرة فتململ الناس وأخذوا بتنظيم وتحريك الحركات والثورات السرية في كلّ مكان، وعندما اقترب الخطر من عروش العبّاسيين عمدوا إلى الحيلة يستعينون بها على تهدئة الأوضاع، واستخدموا بعض العلماء لبثّ الدعاية لهم، وسمحوا مكرهين للإمام الصادقعليه السلام أن يفتح مدرسته التي تهافت عليها المسلمون وازدحموا على أبوابها لينهلوا من علوم الإمامعليه السلام وليقتبسوا من أنوار معارفه، وأقبل طلبة العلم ومحبّو أهل البيتعليهم السلام من جميع الأقطار الإسلاميّة حتّى أصبح عددهم أربعة آلاف من الثقات، وألف ابن عقدة كتاباً ذكرهم فيه[1].

وذكر الشيخ الطوسي في رجاله أكثر من ثلاثة آلاف رجل ممن رووا عن الإمام الصادقعليه السلام[2].

وكثيرون منهم صاروا من أصحاب المذاهب، وقد مرّ ذكرهم.

وكثر التأليف في عصر الإمامعليه السلام ودوّن فقه أهل البيت وحديثهم بصورة واسعة حتّى أحصي أربعمائة مؤلّف ألّفها من سمع الحديث من الإمام ودوّنه وعرفت باسم الأصول الأربعمائة[3].

وهذا يوضّح لنا أن المذهب الجعفري هو أقدم المذاهب لأنّه تخطّى العصر الأموي ودخل في العهد العباسي رغم كلّ الظروف المضادّة من الحكمين.

---

(١) خاتمة مستدرك الوسائل ١: ٥١.

(٢) رجال الطوسي: ١٥٥ – ٣٢٨.

(٣) المعتبر ١: ٢٦.

كانت الدولة العباسية تعارض انتشار مذهب أهل البيت من خلف ستار لأنّه ليس بإمكانها الجهر بالمعارضة خوفاً من نقمة وثورة الجماهير المسلمة ولأنّهم أيضاً كانوا يحاولون استمالة أعيان الشيعة والاستعانة بزعمائهم لتثبيت أركان دولتهم بشتّى الحيل والأساليب.

إنّ الإمام الصادق عليه السلام رصيدٌ ديني وأخلاقي وإنساني كبير وخالد للإنسانية، وبحر زاخر تنهل منه البشرية، وقمّة شاهقة يقترب منها ويحاول الصعود كلّ من أراد المعالي، ثمّ إنّه مركبٌ نوراني يُطاف به لكشف الغوامض في آفاق الحياة.

هذا الجبل الشامخ بل هذا الإمام العملاق عاش مع الولاة الظالمين مرتكبي واقعة الطفّ المؤلمة[1]، وجريمة الحرّة الفاجعة، كان الإمام عليه السلام يعيش معهم وينظر إليهم، والآلام تأكل قلبه، وطوق الرقابة السلطوية والتضييق والتهديد فوق رأسه وحول عنقه، ومع ذلك راح يؤدّي رسالته بشجاعة وإقدام وإخلاص المؤمن محاولاً إصلاح أمور الأُمّة الإسلاميّة وقيادتها إلى طريق الهداية والرشاد، ونشر العلوم، وكان يحثّ أصحابه على التمسّك بالدعوة الصامتة وإزالة أسباب ورواسب الخلافات بينهم ليكونوا قدوة وقوّة متكاتفة تقف في وجه الظلم والظالمين.

لقد أعطى الإمام عليه السلام كلّ ما يملك من حكمة وعلم ورجاحة عقل حتّى جعل الناس يتصدّون بشجاعة لكلّ اعوجاج في الدين أو التواء في المنهج.

بقيت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ثابتة المبدأ متصلة الكفاح ترتقي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤٣ وتاريخ الطبري ٤: ٣٠١.

بالأرواح وتسمو بالعقول إلى أوج المعرفة والكمال حتّى يومنا هـذا. أما بيته فكان جامعة إسلامية لكلّ الوافدين من أمصار وأقطار أُمّة الإسلام، وبقي نهجه مورداً ينهلون عنه جواب كلّ ما أشكل عليهم في حياتهم الخاصة والعامة.

يقول مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي: «اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلّا على ثلاث خصال إمّا مصلّ وإمّا صائم وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلّا على طهارة»[١].

كان الإمام عليه السلام في دروسه للناس المزدحمين على بابه يحثّهم على طلب الرزق والكسبّ الشريف ليبعدهم عن مزالق الانحراف وليقيهم أخطار الحاجة محافظاً على مستوى الأخلاق والقيم الروحية.

فكان يقول لأصحابه: «لا تدعوا التجارة فتهونوا، اتجروا بارك الله لكم»[٢].

وقال عليه السلام: «لا ينبغي أن يذل. نفسه قيل: وكيف؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه»[٣].

وقال عليه السلام: «إيّاكم أن يحسد بعضكم بعضاً ؛ فإنّ الكفر أصله الحسد»[٤].

وقال عليه السلام: «إيّاكم أن تعينوا على مسلم مظلوم يدعو الله عليكم ويستجاب له فيكم فإن أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ دعوة المسلم المظلوم مستجابة»[٥].

---

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٨٩.

(٢) الكافي ٥: ١٤٩، حديث٨.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ١٨٠، حديث٣٦٩.

(٤) تحف العقول: ٣١٥.

(٥) المصدر السابق.

وقال عليه السلام: «صدّقة يحبها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[١].

وقال عليه السلام: «لا تمارينّ حليماً ولا سفيهاً، فإنّ الحليم يقليك والسفيه يؤذيك»[٢].

وقال عليه السلام: «من زرع العداوة حصد ما بذر»[٣] ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله.

وقال عليه السلام: «إيّاكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلّا هلك وأهلك»[٤].

وقال عليه السلام: «ما من عبدٍ كظم غيظاً إلّا زاده الله عزّ وجلّ عزاً في الدنيا والآخرة»[٥].

وصاياه لأصحابه: وصيته لحفص بن غياث:

قال: «إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليكم إن لم يثنِ الناس عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تبارك وتعالى... إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنّع ولا تداهن»[٦].

---

(١) الكافي ٢: ٢٠٩، حديث١.
(٢) المصدر السابق: ٣١٠، حديث٤.
(٣) تحف العقول: ٣٧١.
(٤) الكافي ٢: ٢٩٧، حديث٣.
(٥) المصدر السابق: ١١٠، حديث٥.
(٦) المصدر السابق ٨: ١٢٨، حديث٩٨.

وصيته لسفيان الثوري:

«الوقوف عند كلّ شبهة خير من الاقتحام في التهلكة، وترك حديث لم تروه أفضل من روايتك حديثاً لم تحصه، إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله خذوه، وما خالفه فدعوه»[1].

أمسك به سفيان صدفة وقال له يابن رسول الله أوصني قال: «يا سفيان لا مروءة لكذوب، ولا أخٍ لملول، ولا راحة لحسود، ولا سؤدد لسيء الخلق، قال يابن رسول الله زدني، فقال لي: يا سفيان ثق بالله تكن مؤمناً، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، ولا تصحب الفاجر يعلّمك من فجوره، وشاور في أمرك الذين يخشون الله ﷻ فقلت: يابن رسول الله زدني، فقال لي: يا سفيان من أراد عزّاً بلا عشيرة وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّة طاعته»[2].

أيّها القرّاء الأعزاء من أراد أن يأخذ درساً في حقيقة الإيمان، من أراد أن يأخذ قدوة في عظيم الخلق، من أراد أن يتعلّم الصبر والجلادة ومقارعة الظلم والظالمين ليتأمّل حياة هذا الإمام ولينظر في سلوكيته.

إنّهم أهل البيت الذين أبعد الله عنهم الرجس وطهّرهم، إنّهم النبراس المضيء، والمشعل الوهّاج، والسلف الصالح، والقدوة الحسنة لكلّ مؤمن بل ولكلّ إنسان شريف متعلّق بفضيلة الخلق وفضيلة العمل.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨١.

(٢) الخصال: ١٦٩.

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

إنّ الكثير ممّا جاء في القرآن الكريم يرتبط بالرسول وبالأئمة الأطهار عليهم السلام، وعندما نقرأ القرآن الكريم ونطلّع على ما أجمع عليه الثقات نشعر بحاجة شديدة إلى وجوب توضيح سيرة هؤلاء السادة والقادة الذين ترتبط بهم وبحياتهم كلّ جوانب مبادئنا وحياتنا، إنّ هؤلاء الأئمّة الأبرار وإن اختلفوا في أوضاعهم وظروفهم الزمانية والمكانية لكنّهم لا يختلفون في قدراتهم ولا يتفاوتون في إيضاح الشريعة الصحيحة للناس ولا في إقدامهم على حمل راية الثورة والجهاد لكن اختلاف القدرات بينهم ينتج عن ظروف تاريخية سياسية تتحكّم بهم فيكون مدى التحرّك ومقدار العطاء على قدر ما تسمح به تلك الفرص والظروف في ظلّ الإرهاب والسيف المسلّط على رقابهم.

لقد تكلّمنا عن الأئمّة الستة السابقين عليهم السلام وها نحن نبيّن اليسير من حياة الإمام السابع موسى الكاظم عليه السلام إنّ جميع الأئمّة جاهدوا صادقين ضدّ أنظمة الجور والفساد، فمنهم من شهر السيف وجاهد به مضحّياً بكلّ غالٍ ونفيس، وتاركاً للناس من بعده الدروس العظيمة في واجب الرسالة والتضحية.

ومن الأئمّة آخرون جاهدوا بالسرّ ليبعدوا الناس عن طاعة الظالم، وذلك عن طريق الأدعية والعلوم الدينية، فكان جهادهم مختلفاً متنوّعاً في الأداء وفقاً لمقتضيات الظروف وطبيعة الزمن.

مولده ونشأته: هو الإمام الكاظمعليه السلام، ولد سنة١٢٨ه بالأبواء[١]، والده الإمام جعفر الصادقعليه السلام، ووالدته حميدة المصفّاة ابنة صاعر البربري، يقال إنها أندلسية، أم ولد تكنى لؤلؤة[٢].

وقد قال الإمام الصادقعليه السلام: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتّى أدّيت إليّ كرامة من الله لي والحجّة من بعدي»[٣].

بقي الإمام الكاظمعليه السلام تحت رعاية أعظم شخصية في عصره وهو والده الإمام الصادقعليه السلام، بقي عشرين سنة في ظلّ هذه الرعاية.

وقد قال عنه أبوه وهو صغير: إنّ هذا هو صاحب الأمر من بعدي وهو لا يلهو لا يلعب[٤].

عاش الإمام موسى الكاظم ما يقارب خمسة وخمسين عاماً، عشرون منها مع والده، والبقية في العهد العباسي.

وبدأت إمامته منذ شهادة الإمام الصادق سنة١٤٨ه.

وعاصر من الخلفاء في إمامته:

١) أبو جعفر المنصور (١٣٨ه – ١٥٨ه).

٢) محمّد بن المنصور المعروف بالمهدي (١٥٨ه – ١٦٩ه).

---

(١) الإرشاد ٢: ٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٨: ١.

(٣) الكافي ١: ٤٧٧، حديث٢.

(٤) انظر المصدر السابق ١: ٣١١، حديث١٥.

٣) الهادي (١٦٩هـ - ١٧٠هـ).

٤) هارون الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ)[١].

حكم ثلاثاً وعشرين سنة وفي هذه الفترة قضى الإمام الكاظم أغلب حياته متنقّلاً من سجن إلى آخر حتّى إنّه استطاع أن يؤثّر على السجّانين الذين كانوا يحرسونه في مختلف السجون حيث امتنعوا من حبسه وقتله لما رأوه من عبادة الإمام وتقواه ولما سمعوه من مواعظه الحكيمة الصحيحة[٢].

عن طريق المنافقين والخونة المجرمين عمل هارون الرشيد بوسائل كثيرة على محاولة قتل الإمام غيضاً وحسداً وخوفاً لما يرى من موقعه الاجتماعي ومكانته الدينية وحبّ الناس له وتقديسهم لمكانته العلمية ولنسبه الشريف.

وكان المأمون عندما يُسأل عن مذهبه يقول أنا شيعي من أشياع محمّد وآل محمّد، فيسألونه من أين عرفت هذا؟ فيقول: «علمنيه الرشيد قيل له: وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على الملك لأنّ الملك عقيم ولقد حججت معه سنة فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال: لا يدخلن عليّ من أهل المدينة ومكة من أهل المهاجرين والأنصار وبني هاشم وساير بطون قريش إلّا نسب نفسه...

فانا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين على الباب رجل يزعم أنّه موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والأمين والمؤتمن وساير

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء: ٢٥٩ - ٢٩٦.

(٢) انظر الإرشاد ٢: ٢٣٩ - ٢٤١.

القواد فقال: احفظوا على أنفسكم ثمّ قال لآذنه: أئذن له ولا ينزل إلّا على بساطي فانا كذلك إذ دخل شيخ مسخد قد أنهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم من السجود وجهه وأنفه فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد: لا والله إلّا على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل ونظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام فما زال يسير على حماره حتّى صار إلى البساط والحجاب والقواد محدقون به فنزل فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبل وجهه وعينيه واخذ بيده حتّى صيره في صدر المجلس وأجلسه معه وجعل يحدثه ويقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله...

ثمّ قام فقام الرشيد لقيامه وقبل عينيه ووجهه ثمّ اقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال: يا عبد الله ويا محمّد ويا إبراهيم امشوا بين يدي عمكم وسيدكم خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله فاقبل على أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام سرا بيني وبينه فبشرني بالخلافة فقال لي: إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي ثمّ انصرفنا وكنت أجرى ولد أبي عليه فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته وأجللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثمّ أمرتنا بأخذ الركاب له؟! قال: هذا إمام الناس وحجّة الله على خلقه وخليفته على عباده فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: انا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر وموسى بن جعفر إمام حق والله يا بني أنّه لا حق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً ووالله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك فان الملك عقيم...[1].

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٨٤ – ٨٦، حديث١١.

يبدو أنّ هذه القصّة أثّرت كثيراً في نفسية المأمون وهو صبي صغير، ولذلك كان يبدي الاحترام والتجلّة للإمام حتّى إنّه قال: «برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير... وإنّ أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب»[١].

عند استلامه الخلافة بعد أبيه لكنه كان متردداً لا يقف على رأي واحد، وظلّ على هذه الحال حتّى هلك، وكانت له مواقف إيجابية جيدة وأخرى سلبية سيئة مع الأئمّة الأطهار الذين عايشهم، إن من يقرأ قراءة متأنية حياة أهل البيت ويطّلع بشمولية، على الأوضاع التي مرّت بهم من قبل الحكّام المتسلّطين الظالمين سوف يسهل عليه أن يفهم السرّ العميق في سبب دعوة القرآن الكريم إلى حبّ أهل البيت والانتصار لهم والالتزام بخطّهم الرسالي وسيكتشف أيضاً السبب الذي من أجله كان الرسول الكريم يجهد نفسه في حياته بالحثّ على حبّ أهل البيت والولاء لهم حيث يقول عليه السلام لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»[٢].

وما أكثر القصص المأثورة التي تبيّن لنا مدى تعلّق الناس بآل البيت الأطهار وهذه القصة واحدة منها:

قال صفوان بن مهران الجمال: «دخلت على أبي الحسن الأوّل عليه السلام فقال لي: يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً قلت: جعلت فداك أي شيء؟ قال: اكراؤك جمالك من هذا الرجل يعني هارون، قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد ولا للهو ولكني أكريه لهذا الطريق يعني طريق مكّة، ولا أتولاه بنفسي ولكن أنصب غلماني. فقال لي: يا صفوان أيقع

(١) تاريخ الإسلام ١٥: ٦.

(٢) الأمالي للطوسي: ٣٣٦، حديث ٦٨٠ والمستدرك للحاكم ٣: ١٤٩.

كراؤك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال لي: أتحب بقائهم حتّى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحب بقائهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار. قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون، فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك؟ قلت: نعم، فقال: لم؟ قلت: أنا شيخ كبير وأن الغلمان لا يفون بالأعمال. فقال: هيهات هيهات أني لأعلم من أشار عليك بهذا موسى بن جعفر، قلت: مالي ولموسى بن جعفر، فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك»[1].

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٤٠.

الإمام علي الرضا عليه السلام

إنّ أسمى ما نحرص عليه خلال رحلتنا الفكرية مع حياة أئمتنا الأطهار عليهم السلام هو أن نأخذ عنهم الفكر الإسلامي نقياً من منابعه الأصلية، وهم الأمناء على دين الله، وهم الذين قضوا حياتهم مجاهدين في سبيل الحفاظ على سلامة الفكر الإسلامي وخطه الرسالي من الانحراف والتشويش وتطهيره من الأدران التي يدسّها أعداء الدين.

إنّ حياة المعصومين الاثني عشر زاخرة بالحكمة والمعرفة والتبصّر وإن كان ما بلغنا عن بعضهم أكثر من البعض الآخر لا لفضل من أحدهم على غيره، وإنّما كان ذلك بسبب الفرص السانحة التي تسمح في أداء وبيان ما يقوم حقيقة الشريعة والعمل بها، وإنّ من أولئك الذين أتيحت لنا فرصة الاهتداء إلى المزيد من فضائلهم والاستعانة بسيرتهم الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، لقد كانت حياة هذا الإمام فتحاً جديداً في حياة الشيعة آنذاك حيث انطلقوا بأفكارهم وأعمالهم من مرحلة الكتمان إلى الظهور والإعلان، وسادوا جميع البلاد والأمصار ولم يبقى لهم معارض أبداً آنذاك.

نسبه: هو ابن الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن محمّد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

والدته: هي أمّ ولد، واسمها تكتم، ويقال لها: خيزران المريسية وأمّ

البنين وسكن النوبية[١].

وقد اشترتها حميدة أمّ الإمام موسى الكاظم، وتربّت على يدها أفضل تربية، ثمّ أوصت ابنها موسى عليه السلام أن يأخذها زوجاً له وقالت: «يا بني إنّ تكتم جارية ما رأيت جارية قط أفضل منها، ولست أشكّ إنّ الله سيظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص بها خيراً»[٢].

فتزوجها الإمام وولدت له الإمام الرضا عليه السلام، وقد مدح الشاعر الإمام الرضا عليه السلام وذكر أنّ اسم أمّه تكتم:

لا إنّ خير الناس نفساً ووالداً ... ورهطاً وأجداداً عليٌّ المعظّمُ

أتتنا به للعلم والحلم ثامناً ... إماماً يؤدّي حجّة الله تكتم[٣]

وقد أشهد والده الإمام الكاظم عليه السلام جماعة على إمامة ابنه الإمام علي الرضا عليه السلام[٤] وذلك للاحتياط وحتّى لا يدعي الإمامة أحد ولو لزرع الفتنة والخلاف.

وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة وقبض بطوس من أرض خراسان في صفر سنة ثلاث ومائتين، وله يومئذٍ خمس وخمسون سنة»[٥].

زوجاته: من زوجاته أم حبيب بنت الخليفة المأمون[٦]، وقد زوّجه إيّاها

(١) روضة الواعظين: ٢٣٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٢٤، حديث٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٥.

(٤) الكافي ١: ٣١٢، حديث٧.

(٥) الإرشاد ٢: ٢٤٧.

(٦) عيون أخبار الرضا ٢: ١٥٨ – ١٥٩، حديث١٩.

يظهر عن طريق هذا الزواج أنّه مع أهل البيت.

كان الإمام الرضا عليه السلام بمثابة القرآن الناطق لأنّ القرآن معجزة الله لخلقه ييسره ربّنا لمن يستقيم عليه ويصبح غريباً عمن لا يطلع عليه. كان الإمام الرضا عليه السلام حجّة الله في الأرض يهتدي به من يتبعه ويضل عنه من يتركه ويركن إلى غيره.

لقد كان القرآن الكريم خلقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من ميزات الإمام الرضا أنّ له أذناً واعية وبصيرة مدركة لمعاني القرآن ذلك لأنّه جزء من أحد الثقلين، القرآن والعترة الطاهرة الذين كانوا مشكاة نور القرآن ومعدن الرسالة ومهبط الوحي، ولقد تمثّل النور بكلّ وجوده حتّى جاء في الحديث عن أبي ذكوان قال: «سمعت إبراهيم بن العباس يقول: إنّي ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء قط إلّا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان من الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كلّه وجوابه وتمثيله بآيات من القرآن»(١).

إمام أطاع الله حق طاعته طيلة حياته فأحبّه الله وأضاء قلبه بنور المعرفة والهداية وكان فرعاً طيباً نضيراً من الشجرة الطيبة التي أكرمها الله وبارك فيها لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾.

يقول اليسع بن حمزة: «كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدثه وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام إذ دخل عليه رجل

(١) الأمالي للصدوق: ٧٥٨.

طوال آدم فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله رجل من محبيّك ومحبّي آبائك وأجدادك عليهم السلام مصدري من الحج، وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ مرحلة فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي ولله علي نعمة فإذا بلغت بلدي تصدّقت بالذي توليني عنك فلست موضع صدقة.

فقال له: أجلس رحمك الله وأقبل على الناس يحدّثهم حتّى تفرّقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيثمة وأنا فقال: أتأذنون لي في الدخول؟ فقال له سليمان: قدّم الله أمرك، فقام فدخل الحجرة وبقي ساعة ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: أين الخراساني؟ فقال: ها أنا ذا، فقال: خذ هذه المائتي دينار واستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبرّك بها ولا تصدّق بها عنّي واخرج فلا أراك ولا تراني، ثم خرج.

فقال له سليمان: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟ فقال: مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «المستتر بالحسنة يعدل سبعين حجّة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له».

كان علي بن يقطين أحد أتباع وتلامذة الإمام الكاظم عليه السلام وقد استطاع بكفاءته أن يصل إلى منصب الوزير الأوّل في حكومة العبّاسيين فراح يعمل جاهداً على مساعدة الكثير من أتباع أهل البيت بقضاء حاجاتهم وتيسير أمورهم أو بالزاد والنفقة من ماله الخاص.

لقد ساء حال الحكم العباسي في خلافة المأمون حيث واجهه أخطار كبيرة بسبب الثورات العلوية، وقد اضطرّ المأمون أن يفكّر في تدابير وإجراءات تساعده على الاحتفاظ بمكانته وعلى سلطانه الذي هو أعزّ ما

بالوجود عنده وبما أنّه يخشى أن يخوض نزاعاً مسلحاً مع الثوار العلويين فقد عمد إلى أسلوب الدبلوماسية سواء مع الإمام أو مع الثورة الشعبية فأعلن البراءة من معاوية بن أبي سفيان وممن يذكره بخير[١]، معترفا بذلك أنّ الخلافة من بعد الرسول الكريم هي لعلي بن أبي طالب والأئمة من بعده وراح يخدع الناس ويمالئهم برغم مرارة هذا الدواء الذي هو مكره على شربه.

إنّه لم يهادن ولم يعترف بأحقية الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده عن قناعة وعن رضا ولكن كان ذلك لأنّه أحسّ بلسع لهيب نار الثورة الشعبية وهي تقترب من عرشه يوماً بعد يوم فعمد إلى إعطاء ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام وأمر الناس بالبيعة له من بعده مع أنّ الإمام عليه السلام ليس من أهله وذوي قرباه بل من أسرة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي الأعظم شأناً والأقوى خطراً عليه معترفاً للإمام بالإمارة على بني هاشم طرّاً عباسييهم وطالبييهم وكتب له الوثيقة التي أعلنها للناس وفيما يلي بعض من نصّ هذه الوثيقة: «وأمّا ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى عليه السلام بعد استحقاق منه لها في نفسه، واختيار منّي له، فما كان ذلك منّي إلّا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم باستدامة المودّة بيننا وبينهم، وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب ومواساتهم في الفيء يسير ما يصيبهم منه»[٢].

«حتّى قضى الله بالأمر إلينا فأخفناهم، وضيّقنا عليهم وقتلناهم أكثر من قتل بني أُميّة إيّاهم، ويحكم إنّ بني أميّة إنّما قتلوا منهم من سلّ سيفاً وإنّا معشر بني العباس قتلناهم جملاً فلتسألنّ أعظم الهاشمية بأيّ ذنب قتلت،

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٨٧.
(٢) بحار الأنوار ٤٩: ٢١٣، حديث٣.

ولتسألنّ نفوس ألقيت في دجلة والفرات، نفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء. وهيهات إنّه ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١].

سبب نقل مركز الخلافة إلى خراسان ذلك لأنّ يد المأمون كانت فارغة من بني أبيه ومن قوة البرامكة ومن العرب فلم يبقى له معين وأراد بنقلها إلى خراسان أن يوحي للناس أنّه يحبّ أهل البيت ومن يحبّونه، ويكره أعداء أهل البيت، ثم قدّم الدليل على إدعائه وتظاهره هذا أن أعطى ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام بعد أن استحضره من المدينة وأرغمه على القبول والرضوخ لهذا الأمر[٢]، محاولاً تهدئة الأوضاع منتظراً مجيء الوقت المناسب لكي يكيد له ويغدر به بعد أن استنفذ شتى الأساليب والحيل عمد إلى دسّ السمّ له عن طريق زبانيته اللئام[٣].

قال ابن السماك في الفقيد الكبير هذين البيتين بعد أن ألحدوه قبره:

مات الإمام المرتضى مسموماً — وطوى الزمان فضائلاً وعلوماً

قد مات في الزوراء مظلوماً — كما أضحى أبوه بكربلاء مظلوماً[٤]

وقال ابو فراس الحمداني شاعر زمانه:

يا جاهداً في مساويهم يكتّمُها — غَدْرُ الرشيد بحيي كيف ينكتمُ

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا — مأمونُكم كالرضا إن أنصف الحكمُ

---

(١) الزلزلة (٩٩): ٧ – ٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٠، حديث٢.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٧٠.

(٤) حياة الإمام الرضا ٢: ٢٧٨ – ٢٧٩.

ذاق الزبير ي غِبَّ الحنثِ وانكشفت عـن ابـن فاطمـة الأقـوال والـتهمُ

بـاؤوا بقتـل الرضـا مـن بعـد بيعتـه وابصروا بعض يوم رشدهم وعموا

يا عُصْبةً شقيت من بعـدما سـعدت ومعشراً هلكوا من بعـد مـا سـلموا

لبئـــسما لقيـــت مـــنهم وإن بليـــت بجانب الطفّ تلك الأعظـم الـرمُ

الإمام الجواد عليه السلام

الحمد لله الذي شرح صدورنا بمعارف القرآن ونوّر قلوبنا بضياء الفرقان وأرشدنا إلى معالم الإسلام وهدانا إلى متابعة السنن والأحكام وبعث الأنبياء ليبين عدله ونصّ الأوصياء ليظهر فضله ونشكره على جزيل نعمائه ونحمده على مزيد آلائه.

أما بعد فنحن معشر الفقراء إليه تعالى نقول: بعد أن مضى المصطفى صلى الله عليه وسلم وآله إلى جوار ربّه خلّف للمسلمين القرآن والعترة قائلاً: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وأمر الناس باتباعهما وقال: إنّهما لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض، وما زال يوصي بهما حتّى وافته المنية[1].

لقد خصّ الله سبحانه وتعالى بالفضائل أهل البيت ونزهّهم عن النقائص وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2].

---

(١) انظر مسند أحمد ٣: ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩ وسنن الدارمي ٢: ٤٣٢ وفضائل الصحابة: ١٥ و٢٢ والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٠٩ و١٤٨.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٣٣. نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقد تواترت النصوص عليه من الفريقين: مسند أحمد ١: ٣٣١ و٣: ٢٥٩ و٢٨٥ و٤: ١٠٧ و٦: ٢٩٢ وصحيح مسلم ٧: ١٣٠ وسنن الترمذي ٥: ٣٠، حديث٣٢٥٨ وكمال الدين: ٢٧٤ – ٢٧٨، حديث٢٥ وفيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأم سلمة: «أنت على خير، إنّما أنزلت فيّ وفي أخي (علي) وفي ابني الحسن والحسين وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصّةً ليس معنا أحد غيرنا».

وتـدلّ هـذه الآيـة الـشريفة علـى أنّ أهـل البيـت مطهّـرون مـن جميـع الأرجاس، وهم صفوة عباده وخيرتهم الذين فـرض مـودّتهم علـى المـسلمين بقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾[١].

فهم الشجرة الطيبـة والغمامـة الـصبيبة، والعلـم الزاخـر، والبحـر الـذي لـيس يدرك له آخر. إذا عدت الفضائل فهم بنوا نجدتها وإن ذكرت المعالي فهـم بنـوا بجدتها أو دارت الحرب فهم الأقطاب أو تحاورت المقاول فهم فصل الخطـاب، ومن هذه العترة الطاهرة والشجرة الطيبة المباركة التـي أصـلها ثابـت وفرعهـا فـي السماء الإمام الطاهر «الجواد»عليه السلام، وإنّنا نسوق الكلام هنا لإيضاح المركـز الهـام الذي رسمه الله سبحانه بتنصيب الإمام للمسلمين بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ولنبـيّن الأمـر الثابـت والحقيقـي مـن خـلال غربلـة الأحـداث التاريخيـة ودراستها دراسة موضوعية واعية لنستطيع السير بوعي كامل على نهج القرآن والعمل بالسنّة المطهرة، ولنكون أُمّة واحدة كالجسد الواحد تترسم خطى نبيها العظيم صلى الله عليه وآله وتتبع الدستور القرآني النيّر ؛ لأنّ الظلم الذي حلّ بتاريخ الإسلام المشرق ونزل بساحة سنّة النبي العظيم، والأئمة المعصومين كـان أفـدح ظلـم وأقبح عمل مرّ بتاريخ البشرية لأنّ الظالمين حالوا دون ظهور حقائق الإسلام، وعملوا علـى أن لا يتركـوا موضـع قـدم للإمامـة فـي حـقّ الخلافـة الإسـلامية المنصوص عنها من قبل الله ورسوله كما قال سبحانه: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ**

(١) الـشورى (٤٢): ٢٣. نزلـت فـي علـي وفاطمـة وأبنائهمـا، المعجـم الكبيـر للطبرانـي ٣: ٤٧، حديث٢٦٤١.

(٢) النساء (٤): ٥٤.

وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾[١].

حياة الإمام الجواد عليه السلام: ولد الإمام في شهر رمضان عام١٩٥هـ في المدينة المنورة وتوفي سنة ٢٢٠هـ في بغداد[٢] بعد أن دسّ له الخليفة العباسي المعتصم السم في طعامه وقتله[٣].

والدته السيدة سبيكة النوبية[٤] ويقال إن الرضا عليه السلام سماها خيزران[٥].

في عقيدتنا الإمام الذي يختاره الله لكي يكون قدوة صالحة يقتضي أن يكون كاملاً من جميع الوجوه بعيداً عن النقص والعيب في الفكر أو الجسم، ويذكر أن الإمام الرضا عليه السلام كان قد بلغ السابعة والأربعين ولم يرزق بولد فشدّ ذلك انتباه الناس وحرّك الألسن بالقول إنّه عقيم لن يكون له ولد معتبرين إن هذا نقص في عدد الأئمة الاثنى عشر وراحت الحيرة بالناس حتّى «كتب ابن ياما إلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟! فأجابه أبو الحسن الرضا عليه السلام – شبه المغضب –: وما علمك أنّه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيّام والليالي حتّى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق به بين الحق والباطل»[٦].

أمّا أتباع الإمام المخلصون فكانوا يعيشون حالة انتظار وارتقاب؟

---

(١)الأنعام (٦): ٨٩.

(٢)الإرشاد ٢: ٢٧٣.

(٣)تفسير العياشي ١: ٣١٩ – ٣٢٠، حديث١٠٩.

(٤) الإرشاد ٢: ٢٧٣.

(٥) تاج المواليد: ٥٢.

(٦) الكافي ١: ٣٢٠، حديث٤.

منتظرين مقدم المولود، وجاءت الليلة المباركة التي ولد فيها الإمام الجواد عليه السلام وقد قال والده فيه: «هذا المولود الذي لم يولد أعظم على شيعتنا بركة منه»[١] عندها ذهبت ادعاءات الواقفية أدراج الرياح وذابت ذوبان الملح في الموجة الهادرة.

«الواقفية: وهم كل من وقف في الإمامة على موسى بن جعفر عليه السلام وينكر موته ويدّعي أنّه قائم الأئمة عليهم السلام»[٢].

عاش الإمام الجواد عليه السلام طفلاً تحت رعاية والده الإمام الرضا عليه السلام كما يعيش الورد على كنف الينبوع فنهل من والده العلوم كلّها، وخصّته البركة الإلهية بالإيحاء القلبي النوراني الذي أعطاه الله لأئمة الهدى ليغدوا سيّداً وإماماً:

سبق الدهر كله في حيائه ومشى الدهر خادماً من ورائه

عندما بلغ الإمام الجواد عليه السلام الخامس من عمره استدعى الخليفة العباسي المأمون الإمام الرضا إلى خراسان وأعلن للناس أنّه وليٌّ لعهد الخلافة من بعده ذلك لأن المأمون أراد بذلك مآرب متعدّدة منها إخماد ثورات الذين يحبّون أهل البيت. ترك الإمام الرضا المدينة مرغماً مستجيباً لأمر الخليفة وتوجّه إلى خراسان تاركاً طفله الإمام الجواد الذي ارتقبته القلوب كثيراً، تركه وعمره خمس سنوات ولكن بعد أن غرس فيه كلّ ما يمكن غرسه، وكان هذا الولد من ضياء الله العجيبة علماً ومعرفة فهو مذ كان بهذا العمر والناس تحيط به وتسأله وتقرّ بإمامته بعد أبيه وراح والده يغذيه من خراسان عن طريق الرسائل

---

(١) الإرشاد ٢: ٢٧٩.

(٢) رياض المسائل ٩: ٣٢٥.

التي يقرأها الطفل بتبصّر وإمعان فيزداد بها علماً ومعرفةً في كلّ وجه من وجوه الدين والحياة، وكان من وصاياه في رسائله لابنه:

«يا أبا جعفر... فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد شيئاً إلّا أعطيته... إنّي أريد بذلك أن يرفعك الله، فأنفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً»[١].

وكان والده يعدّه ويربيه وهو بعيد عنه في المدينة ثلاث سنوات حتّى قصد ذات الطفل المبارك الناس من كلّ حدب وصوب، يسألونه عن غوامض الأمور وأعقدها فيجيب بأسرع الإجابات وأحكمها، وكان العلماء يقفون حيارى أمام إجاباته فيتعلّمون منه ويبدون له كلّ تجلة واحترام.

زوّج المأمون بنته أم حبيب لوالد الجوادعليه السلام[٢] ليعلن للناس حبّه ومودّته لأصحاب أهل البيت، لكنّه عندما رأى شدّة افتتان الناس بالرضا ومحبّتهم له دسّ له السم في الطعام فقتله[٣]. ثم انتقل إلى بغداد سنة٢٠٤هـ[٤]، والمأمون كان يتخوف من الإمام الجوادعليه السلام ومن حب الناس له كما تخوف من قبل من أبيه الرضا فاستدعاه من المدينة المنورة إلى بغداد حيث نظم له الخليفة هناك استقبالاً عظيماً محاولاً أن يستميل قلبه إليه وطلب إليه أن يزوجه ابنته الأخرى أم الفضل كما زوج أباه من إختها واعترض كثير من المنافقين من بني العباس قائلين: «إنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقّه في

(١) الكافي ٤: ٤٣، حديث٥.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٤٩.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٧٠.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

الدين ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك فقال لهم: ويحكم إنّني أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله وموادّه وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايات الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر»[١].

فامتحنوه وعرفوا قدره ومكانته وتمّ زواجه بأمّ الفضل ابنة المأمون، لكنّه لم يطق البقاء في قصور بغداد حيث الترف واللهو والبذخ فعزم على الرحيل إلى المدينة المنوّرة.

دخل حسين المكاري عليه ببغداد فلمّا رأى طيب حاله قال في نفسه لا يرجع أبداً إلى موطنه، فقال: «خبز شعير وملح جريش وحرم الرسول أحبّ إلي مّما ترى»[٢].

وذهب إلى المدينة ليواصل فيها أداء مسؤولياته الخطيرة حيث أنشأ مدرسة فكرية فأتت جامعة لكل العلوم حتّى وفاة المأمون الذي استلم الخلافة من بعده المعتصم العبّاسي الذي أشخص الإمام من المدينة في مطلع عام ٢٢٠هـ إلى بغداد[٣].

وكان المعتصم عارفاً بمحبّة الناس للإمام وأنّه خطر على ولايته فخبث ظنه وبدأ يفكّر في كيفية يقتل بها الإمام الجواد وأخيراً دسّ له السمّ في الطعام وقتله[٤]. مطفئاً بذلك المشعل الوهّاج بظلم، تاركاً أمة الإسلام تندب وتبكي

(١) الإرشاد ٢: ٢٨١ – ٢٨٤.
(٢) الصراط المستقيم ٢: ٢٠٠، حديث٧.
(٣) الإرشاد ٢: ٢٨٩.
(٤) تفسير العياشي ١: ٣١٩ – ٣٣٢، حديث١٠٩.

إمامها المقتول مثلما الأرض تبكي مغيب الشمس.

إمامته: مفهوم الإمامة في عقيدة الشيعة يختلف عنه عند الآخرين فهو يعني الخلافة المطلقة لشخص الرسول صلى الله عليه وآله وعلومه ومعارفه ومؤهّلاته وصلاحياته ومسؤولياته (صورة كاملة للنبوة) بفارق واحد أن الإمام لا يوحى إليه بينما النبي يوحى إليه، فلا نبوة بدون وحي، ومع أنّ الإمام لا يوحى له إلّا أنّه صورةٌ كاملةٌ ولكن مصغّرة عن النبي، وكما تصحّ النبوة للصبي كذلك الإمام تصحّ للصبي فالعمر ليس مقياساً عند الله كما هو عند الناس، وليس الطاعن في السنّ هو العظيم دائماً، فربَّ شيخ بغيض عند ربّه، ورُبَّ طفل أو شاب محبوب عند بارئه، النية الصالحة والعمل الصالح هما المقياس الأول في منطق القرآن.

وقد بيّن سبحانه وتعالى للبشرية ما أدهشها عندما بعث الله يحيى نبياً وهو صبي، ليدرك الناس معنى النبوة، وأنّها ليست موهبةً عادية تتبع الشروط البيئية والتربوية وإنّما هي خرق للمألوف، خرق لسنّة الكون، ونداءٌ جديد ليس يشابهه نداء ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾[1].

عن صفوان بن يحيى أنّه قال: «قلت للرضا عليه السلام قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: «يهب الله لي غلاماً» فقد وهبه الله لك وقرّ عيوننا به، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر – وهو قائم بين يديه – فقلت له: جعلت فداك، وهذا ابن ثلاث سنين قال: وما يضرّ من ذلك، قد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقل من ثلاث سنين»[2].

---

(١) مريم (١٩): ١٢.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٧٦.

آيـة: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[١].

بعض من أحاديثه:

«إيّاك ومصاحبة الشرير فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره»[٢].

«كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة»[٣].

«العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم»[٤].

كيف يضيّع من الله كافله؟! وكيف ينجو من الله طالبه؟! ومن انقطع إلى غير الله وكّله الله إليه، ومن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح، القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال، من أطاع هواه أعطى عدوه مناه، من هجر المداراة قاربه المكروه، ومن لم يعرف الموارد أعيته المصادر، ومن انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للتهلكة وللعاقبة المتعبة، ومن عتب من غير ارتياب أعتب من غير استعتاب، راكب الشهوات لا تستقال له عثرة»[٥].

«لا يضرّك سخط من رضاه الجور»[٦].

«العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء»[٧].

---

(١) القصص (٢٨): ٥.

(٢) بحار الأنوار ٧١: ١٩٨، حديث٣٤.

(٣) المصدر السابق ٧٢: ٣٨٠، حديث٤٢.

(٤) كشف الغمة للأربلي ٣: ١٤١.

(٥) بحار الأنوار ٧٥: ٣٦٣ – ٣٦٤، حديث٤.

(٦) المصدر السابق: ٣٦٥، حديث٥.

(٧) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ٢: ١٠٥٥.

«يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»[١].

ومن وصايا الإمامعليه السلام يبدو بكلّ وضوح أنّه كان يعد أصحابه وأتباعه للعمل الرسالي في آنٍ معاً لكنه كان يحذّرهم من الإنسياق وراء الانفعال أو مجابهة التيار العنيف بالاستعداد الضعيف لئلا يخسر الموقف ويعطي فرصة الانتصار للخصم وكان دائماً يحث أصحابه على عدم الثرثرة ويوصيهم: «مقتل الرجل بين فكيه»[٢].

لقد أدى الإمام الجوادعليه السلام مهمّته الرسالية والسياسية في الحدود التي سمحت بها ظروف العسف والجور والطعام المسموم والسيف المسلّط، أداها بلا أيّ تخاذل أو جبن أو خوف أو ضعف أو خور.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الإمام الهادي عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ هي من أقوى أدوات الحصر والتوكيد، وقد أكّدت إرادة الله سبحانه وتعالى في إذهاب الرجس من أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل الكساء لا أهل القرابة والنساء. إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم أنّ إرادة هؤلاء المطهّرين لا تجري إلّا وفق ما شرّعه لهم من أحكام وهم على ما هم فيه من الإمكانيات الذاتية والمواهب المكتسبة نتيجة لتربيتهم وفق تعاليم الشريعة وقد استوعبوا أحكامها علماً وخبرة، وهم الذين أفاض الباري عليهم من لطفه وتخصيصه فما يريدون لأنفسهم شيئاً من دنس الدنيا وشوائبها ومتاعها الغرور، وبهذا يتضح معنى اصطفاء الخالق جلّ وعلا لهم واختيارهم للقيام بحمل الرسالة المقدّسة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[٢].

قال أبو نؤاس:

مطهـــرون نقيـــاتٌ ثيـــابهمُ ... تجـري الـصلاة علـيهم أينما ذكـروا

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) آل عمران (٣): ٣٣ - ٣٤.

مــن لم يكــن علويــاً حــين تنــسبه	فـما لـه مـن قـديم الـدهر مفتخـرُ
فــالله لمــا بــرى خلقــاً فأتقنــه	صـفّاكمُ واصـطفاكم أيّهـا البـشرُ
وانــتم المــلأ الأعــلى وعنــدكمُ	علم الكتاب وما جاءت به السورُ(١)

إذا كانت العظمة هي قوة الإرادة وشرفها وردع النفس عن الهوى امتثالاً لأوامر الله فإنّ في هذه الآية الكريمة إشارة واضحة إلى العصمة التي نزلت بحقّ أهل البيت من اصطفاهم ربّهم لقيادة الدين والدنيا فهم أهل الكساء الذين دعا لهم رسول الله بعد أن جلّلهم بكساء وقال: «اللّهم إنّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

ثمّ جاءت زوجه أم سلمة فرفعت الكساء محاولة أن تدخل معهم إلا أن الرسول الكريمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ جذبها قائلاً: إنّك إلى خير»(٢).

ونحن اليوم نستضيء باليسير من سيرة الإمام العاشر من أئمّة أهل البيت علي الهاديعليه السلام ابن الإمام محمّد الجوادعليه السلام.

ورث الإمام هذه القيادة الرشيدة من والده الجوادعليه السلام الذي انتهى إليه ميراث رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾(٣).

وكذلك كان كلّ من استلم منصب الولاية الإلهية ميزاناً للحق وفرقاناً

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ١٥٥.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٩٢ و٣٠٤. وانظر: سنن الترمذي ٥: ٢٩ – ٣٠، حديث٣٢٥٨ والمستدرك للحاكم ٢: ٤١٦ وكتاب سليم: ٢٠٠ وكمال الدين وتمام النعمة: ٢٧٤ – ٢٧٨، حديث٢٥.

(٣) فاطر (٣٥): ٣٢.

ونوراً يضيء للناس دروبهم إذا تشابهت عليهم المذاهب واختلفت عندهم السبل والآراء. تميّز الإمام الهاديعليه السلام بالقدرة على قيادة الخطّ الرسالي على جميع الأصعدة وذلك بالرغم من الإرهاب العباسي الذي كان قد توسّع في إيذائه لأهل البيت وخاصّةً في فترة الصراع الذي دار بين الأخوين الأمين والمأمون، وعندما أراد المأمون تزويج ابنته أم الفضل إلى الإمام الجواد والد الإمام الهادي ثارت ثائرة بني العباس وقالوا كيف تزوج صبيّاً في التاسعة من عمره وهؤلاء أعداؤنا ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه فإنّا نخاف أن تخرج به عنا أمراً قد ملكنا إياه الله وتنزع منّا عزّاً قد لبسناه، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً[١].

وراحوا يحاولون بكل الأساليب ويصبون حقدهم وحنقهم على أهل البيت وعلى الإمام الذي برز بعد أبيه، وكان الإمام الرضاعليه السلام ضحية لهذا الخلاف بين الأخوين من جهة وبين حقد المنافقين للسلطان من جهة أخرى خوفاً على كراسيهم ومكانتهم، لا يمكن أن نعمد إلى تشخيص كلّ إمامٍ على انفراد، وكذلك خطّ الإمامة وامتدادها في العمل ليس أمراً عفوياً ولا قضية يضعها يقنّنها الأتباع كما يصنع أفراد القبيلة في أعراف الزعامة المتوارثة، بل إنّه كان امتداداً وتتابعاً مرتبطاً باللطف الإلهي وبقضية الشريعة والأُمّة الإسلاميّة فكان كلّ إمام من خلال الظروف التي تحيط به يحاول بكلّ جهده أن يقوم بدوره وأن يكون محور الصراع ومركز الصدارة وموقع المرجعية والإمامة العلمية بحيث لم يكن ليجهلها أو ينكر عليهم ذلك أحد لا من الحكّام ولا من العلماء ولا حتّى من عامة الناس.

---

(١) الاختصاص: ٩٨.

فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام تحمّلوا دور الكفاح المسلّح والصراع السياسي المباشر من موقع الخلافة أمّا زين العابدين السجاد والباقر والصادق عليهم السلام فقد كانت مواقفهم ومهامّهم مختلفةً في بعض جوانبها عن آبائهم إذ اتجهوا نحو العلم والمعرفة فنشروا معارف الإسلام وبيّنوا للناس واجب الجهاد وفضيلته.

أمّا الإمام الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام فقد كان دورهم السياسي أكثر وضوحاً ومثّلوا المرحلة الثانية من حياة أهل البيت عليهم السلام.

عودة إلى الإمام الهادي عليه السلام فقد بدأت إمامته وحياته السياسية في أواخر عهد المعتصم العباسي الذي تولّى الخلافة سنة٢١٨هـ وتوفى سنة٢٢٧هـ ونقل مركز خلافته إلى مدينة بناها على بعد ١٢٠كم إلى الشمال من بغداد سمّاها سُرَّ مَنْ رأى[١].

بعد المعتصم عاش الإمام الهادي عليه السلام في عهد ابنه الواثق بالله تولّى الخلافة في عام٢٢٧هـ وتوفي في نهاية عام٢٣٢هـ[٢].

هذه الفترة أو الفرصة سمحت للإمام أن يتفرّغ للعلم والتدريس وهو في سنّ الشباب رافعاً مشعل رسالته قائداً للناس في درب الحقّ والفضيلة بينما تتلاعب بالدولة الحاشية والقادة من الأتراك، وتمتلئ القصور بالجواري والمغنّين وأجواء الفساد.

لقد اغتنم الإمام هذه الفرصة وركزّ كلّ جهوده على دور العلم واستطاع

(١) تاريخ الخلفاء: ٣٣٤ – ٣٣٥.

(٢) المصدر السابق: ٣٤٤.

بذلك أن يزرع الوعي والمعرفة الحقّة عند الناس، وأن يكتسب الكثير من الأتباع إلى أن جاء حكم الخليفة المتوكّل وقتل سنة٢٤٧هـ وقد كان أشدّ أهله عداوةً لأهل البيت فقد هدّم قبر السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام سنة ٢٣٢هـ وهدم ما حوله من الدور وأمر أن يعمل مزارع، ومنع زيارة قبره الشريف[١]، وأمر بسجن كلّ من يزوره ثمّ أمر بمنع العطاءات وقطع الحقوق عن أهل البيت من دون الناس جميعاً لعلّهم يموتون جوعاً.

وضيّق الحصار على الإمام علي الهادي عليه السلام وأمر بجلبه سنة٢٤٣هـ من المدينة إلى سامراء وبقي فيها إلى شهادته سنة ٢٥٤هـ[٢].

«وإنّما أشخصه المتوكّل من مدينة رسول الله صل الله عليه وسلم لأن المتوكّل كان يبغض علياً وذرّيته فبلغه مقام علي [الهادي] بالمدينة وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة وانظر حاله وأشخصه إلينا.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس مثله، خوفاً على عليّ، وقامت الدنيا على ساق ؛ لأنّه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

فلمّا قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري - وكان والياً على بغداد فقال لي: يا يحيى، إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكّل من تعلم، فإن حرّضته عليه قتله، وكان رسول الله صلى الله

(١) المصدر السابق: ٣٤٧.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٠٩ - ٣١٢.

عليه وسلم خصمك يوم القيامة، فقلت: والله ما وقعت منه إلّا على أمر جميل...

فلمّا دخلت على المتوكّل فسألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته ؛ وسلامة طريقته ؛ وورعه وزهادته، وإنّي فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وإنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكّل... وأنزله مدينة سُرّ مَن رأى»[١].

وفي سامراء قام العبّاسيون بتشديد الرقابة والتضييق على الإمام واتباعه وكانوا يهاجمون داره متّى شاؤوا متهمينه بوجود أسلحة في داره لكن العناية الإلهية كانت ترعى الإمام رغم أنوف الظالمين ورأس الفساد والفاسدين[٢].

وقتل المتوكّل سنة٢٤٧ﻫ ابنه المنتصر الذي خفّف الحصار عن العلويين وسمح بزيارة قبر الحسين عليه السلام وأعاد أرض فدك[٣].

وبعد وفاته٢٤٨ﻫ استلم المستعين بالله الذي كثرت في عهده الخلافات والفتن الداخلية والتي كان من نتيجتها فتح السجن الرهيب في سامراء وخروج المظلومين منه[٤].

كانت وفاة الإمام علي الهادي عليه السلام سنة٢٥٤ﻫ في داره التي دفن فيها[٥]، وله مزار شامخ هناك يأمّه الأحباب والأتباع زائرين ذاكرين حتّى يومنا هذا.

---

(١) تذكرة الخواص ٢: ٤٩٣ – ٤٩٥.

(٢) تذكرة الخواص ٢: ٤٩٦ – ٤٩٧.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٣٥٦ – ٣٥٧.

(٤) المصدر السابق: ٣٥٨.

(٥) الإرشاد ٢: ٣١١.

والدته جارية اسمها سمانة المغربية[١] كانت من القانتات الصالحات، وأولاده كانوا أربعة من الذكور وبنت واحدة[٢].

مما تقدّم نرى أنّ طبيعة الحكم العبّاسي في سلوكيته وأخلاقيته وصلت إلى حالة من الخلافات والتدهور والانحطاط إلى درجة لم تصل إليها الفترات السابقة فالابن يقتل أباه من أجل الخلافة، والأخ يؤتى له برأس أخيه من أجلها كذلك، وعمّت الفتن والجرائم والفوضى وكان التخلّف هو الحالة العامة المسيطرة على عموم الناس، ولذلك كانت مهمّة الإمام الهادي عليه السلام مهمّة كبيرة وصعبة تحتاج إلى الذكاء والفطنة السياسية الحكيمة والإقدام الشجاع للتوجيه وإعادة الناس إلى الخطّ الرسالي الصحيح مثل الإمام في ذلك مثل كلّ الأئمّة من قبله في الحكمة السياسية والدعوة إلى الهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) بحار الأنوار ٥٠: ١١٤.

(٢) الإرشاد ٢: ٣١١ – ٣١٢.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

عندما تمرّ بنا ذكرى شهادة أو وفاة أحد الأئمّة الأطهار عليهم السلام نستذكر ونتذكّر مدى اتساع الفجوة بين حياتنا والحياة التي عاشها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وتجلّت فيها سيرته المصحوبة بالوحي الإلهي، وهو الذي قرن مع سيرته الشريفة سيرة أهل بيته، وإنّها لمصيبة كبرى أنّ الكثير منّا لا يعرف إلّا النزر اليسير عن حياة أهل البيت عليهم السلام ولا يتمكّن من خلال مثل هذه المعرفة البسيطة أن يتبيّن الطريق السليم والصحيح وأن يأخذ بنهجهم القويم وإنّه لحاجز مضلّل وحجاب مظلم أن لا نعرف وأن لا نتبيّن من هم أهل البيت ثمّ ما هي صفات وسلوكيات وافتراءات أعدائهم أعداء الحقّ والشريعة والإنسانية.

في هذه الأسطر القليلة من سيرة الإمام الجليل الحادي عشر وأبي خاتم الأئمّة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والذي هو والد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، في هذه السيرة نعيش.

ولادته: ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٣٢هـ في المدينة المنورة[١] لأبيه الإمام علي الهادي عليه السلام ولأم اسمها حديث[٢]، وبقي مع والده

(١)الإرشاد ٢: ٣١٣.

(٢) المصدر السابق.

في المدينة أحد عشر سنة ثمّ رحل معه إلى العراق إلى مدينة سامراء حيث سكن في منطقة العسكر ؛ ولذلك غلب عليه اسم الحسن العسكري[١]، وكانت له ألقاب شريفة أخرى منها الهادي والسراج[٢].

كان للإمام الحسن عليه السلام أخٌ أكبر منه يسمّى محمّداً وكان عظيم الشأن وجليل المنزلة تتجه إليه أنظار أبناء الطائفة وترمقه ظنّاً من الناس أنّه هو الإمام من بعد والده، لكن الإمامة ليست في الأكبر أو الأصغر وإنّما هي اختيارٌ وقع من قبل باختيار من الله ورسوله إلى أبناء الرسول وبإشارات ربّانية تبيّن من هو الإمام وما هي الخصائص الدالّة عليه[٣].

كان الإمام علي الهادي عليه السلام يشير إلى خواصّ أصحابه وشيعته أنّ صاحب العهد من بعده هو ابنه الأصغر الحسن العسكري[٤] وبسبب وجود أخيه الأكبر محمّد وكرم شمائله داخل الناس بعض الريب لكن حكمة الله فوق كلّ شيء إذ توفّي الأخ الأكبر[٥] بعد فترة وجيزة عندها تنفّس الناس الصعداء وعرفوا أنّ كلام والده هو الحقّ عندما قال لهم أن العهد لابني الأصغر وهو إمامكم من بعدي[٦]، ودفن الابن الأكبر محمّد ما بين بغداد وسامراء وعلى مرقده هناك مزار كبير يزوره الناس متبركين ويطلبون بالبركة

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٤١، باب١٧٦.

(٢) تاج المواليد: ٥٧.

(٣) الكافي ١: ٣٢٧، حديث١٠.

(٤) المصدر السابق: ٣٢٥، حديث١.

(٥) المصدر السابق: ٣٢٦، حديث٤.

(٦) انظر المصدر السابق: ٣٢٥ – ٣٢٦، حديث٢.

حاجاتهم إلى الله وتأكد الناس من إمامة الأخ الأصغر الذي قال له أبوه كلمة مشهورة: «يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً»[1].

يعني بذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يكذّبه عندما أوصى بالإمامة إليه قبل أخيه الأكبر، وكتب الإمام لأصحابه ما يؤكدّ لهم فيه أن ابنه هذا هو الإمام من بعده، وهو الخلف الذي ينتهي إليه عرش الإمامة وأحكامها فإن أردتم شيئاً تحتاجونه فاسألوه يجبكم، واستلم الإمام مهامه الإلهية بعد وفاة والده سنة ٢٥٤هـ وعاصر من الخلفاء العباسيين المعتز بالله بن المتوكّل (٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ) ومن بعده المهتدي بن المتوكّل (٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ) ثمّ المعتمد بالله (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ). الذي حكم ثلاثاً وعشرين سنة. أما وفاة الإمام فكانت سنة ٢٦٠هـ حيث كان عمره ثماني وعشرين سنة[2]، وهو في ريعان الشباب ولم تطل مدة إمامته إلّا لستّ سنوات.

تميّز هذا الإمام بحسن طلعته وجلالته وهيبته، وكان في نشاطه الرسالي كالبحر الزاخر، وله قصّة عجيبة مع الخليفة العباسي الذي أودعه السجن وأوكل به حرّاساً أشداء غلاظ القلوب وأوصاهم بالتضييق عليه إلّا أن رئيس الحرّاس جاء إلى الخليفة ذات يوم وقال له: إنّ أمر هذا الرجل لعجيب أنني بقدر ما أوصي الحراس في معاملته بقسوة والتضييق عليه لا أجد عندهم إلّا محبّته والإيمان به ولقد أصبحوا بسببه من العبّاد الزاهدين فجمعهم الخليفة وسألهم: ويحكم كيف أوصيكم أن تضيقوا عليه لكنكم تصبحون له أصحاباً؟ قالوا: ماذا نعمل وماذا نقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كلّه ولا يتكلّم

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٦، حديث ٤ و٥.

(٢) الإرشاد ٢: ٣١١.

ولا يتشاغل بغير العبادة فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا منه مالا نملكه من أنفسنا، فتركهم الخليفة وشأنهم[١].

ومرة أخرى أوكل الخليفة للإمام أكثر حراسه شراسة وظلماً وسوء خلق وكان اسمه نحرير وكان يمتلك سباعاً في قفص فأراد إلقاء الإمام في وسطهن، وقالت له زوجته: يا نحرير اتق الله في هذا الرجل ولا تظلمه فإنك لا تعلم مكانته عند الله. أجابها نحرير: والله لألقينه للسباع وأمر زبانيته فألقوا بالإمام وسطهن وغادروه ثمّ رجعوا بعد فترة فوجدوه آمناً بين السباع وهو قائم يصلي[٢]، وهكذا قضى الإمام عليه السلام مدة من حياته في السجون أو تحت التهديد والإرهاب والتضييق والمراقبة الشديدة من حوله، ولقد زاد الطين بلة أي زادت نقمة الحاكمين عليه عندما شاع بين الناس أن المهدي المنتظر من سيهدي هذه الأمة هو من صلب هذا الإمام فسلكوا نفس سلوك فرعون مع بني إسرائيل عندما قيل له أنّه سيولد فيهم صبيٌ يكون زوال ملك فرعون على يده فأمر فرعون بقتل جميع الأولاد وأمر بالتفتيش عن النساء الحوامل ومراقبتهن ولقد قام جهاز الخلافة العباسي بنفس ما قام به فرعون وفي ذلك قال المولوي: هجمت نحو حصن الغيب كي تسد الدرب عن رجال الغيب.

إنّه لتفكير ضعيف ضحل أن يعدل الخليفة العباسي إلى الوقوف في وجه الإرادة الإلهية لأن الله سبحانه وبحكمته وقدرته قام بحماية زوج الإمام العسكري والدة الإمام المنتظر وكانت ولادته سراً رغم العديد من النساء الجاسوسات اللواتي يترددن إلى بيت الإمام حتّى أن الشكوك راودتهم مرة

---

(١) انظر الكافي ١: ٥١٢، حديث٢٣.

(٢) انظر المصدر السابق: ٥١٣، حديث٢٦.

في أحدى الجواري وأنها حامل فأوقفوها سنتين كانت فيها تحت المراقبة ثمّ أطلقوا سراحها بعد ذلك عندما تبيّن لهم بطلان الحمل[١].

كان القتل عن طريق دس السم من أشهر وسائل الاغتيال عند السلاطين في ذلك العهد وخشيتهم وخوفهم من القادة العظام والمصلحين الكبار من أمثال الإمام فقد كانوا يعمدون إلى تصفيتهم والخلاص منهم بهذه الطريقة الغادرة وقد عمد المعتمد إلى قتل الإمام الشاب في ريعان شبابه (٢٨سنة) بدس السمّ له[٢] وتظاهر بالبراءة من دمه وبتكريمه وخوفاً من ثورة شعبية ضده أمر أقطاب السلطة أن يصلوا عليه وأن يكفنوه بالشكل الذي يليق بمكانته ثمّ كشف وجهه للناس ليشاهدوه محاولاً بذلك أن يزيل عنه تهمة قتله بالسم وقال أعوان السلطة لقد مات الحسن بن علي حتف أنفه[٣].

رحل الإمام عليه السلام ولكن بعد أن خلّف وراءه سيرة وضّاءة تهتدي بنورها الأجيال، ودفن في مقامه الشريف بمدينة سامراء عند قبر والده[٤]، أمّا المسلمون المؤمنون فسيظلون يتوافدون على ضريحه لزيارته والتبرّك به وإحياء ذكراه على مرّ الأجيال. فسلام الله وسلام الأبرار على أهل البيت يوم ولدوا ويوم استشهدوا ويوم يبعثون أحياء.

---

(١) بحار الأنوار ٥٠: ٣٢٩.

(٢) انظر أعلام الورى ٢: ١٣١.

(٣) الكافي ١: ٥٠٥، حديث١.

(٤) إعلام الورى ٢: ١٣١.

من كلامه وأقواله:

«خير إخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك إليه»[١].

«أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته»[٢].

«جُعلت الخبائث في بيت والكذب مفاتيحها»[٣].

«من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة»[٤].

«قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه»[٥].

«لا تكرم الرجل بما يشق عليه»[٦].

صراع أبدي بين الخير وأهله والحقّ وأهله وما بين الشرّ وأهله والشيطان وذويه، فبعدما قدّمت من سطور حول حياة الإمامعليه السلام ما الذي استطيع أن أقول فيه وفي أهله الأئمّة الأبرار وهم الذين أبعد الله تعالى عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، لن أقول إلّا أنني آمنت بكم أهل البيت وبخطّكم الرسالي وبأحقيّتكم في قيادة أُمّة الإسلام، ومهما دجت الظلمات فإنّ الله سبحانه مظهر نوره ولو كره الكافرون.

---

(١) و(٣) و(٤) و(٥)بحار الأنوار ٧٥: ٣٧٩.

(٦) تحف العقول: ٤٨٩.

الإمام المهدي المنتظر عليه السلام

ليس في قضية المهدي عليه السلام أي خلاف بين مفكّري وعلماء الإسلام، بل إنّهم اتفقوا وإن اختلفت مفاهيمهم على التسليم بظهور المهدي[1]، وأنّه من أهل بيت النبوة[2]، ومن ولد فاطمة[3]، يدلّ على هذا حديث الرسول الكريم: « لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[4].

تؤكّد هذه الفكرة الحقيقة القرآنية التي تؤكّد على أنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[6].

---

(١) مسند أحمد ٣: ٢١.

(٢) المصدر السابق ١: ٨٤.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨، حديث٤٠٨٦.

(٤) كمال الدين: ٢٨٠، حديث٢٧، وانظر سنن أبي داود ٢: ٣٠٩، حديث٤٢٨٢.

(٥) الأنبياء (٢١): ١٠٥.

(٦) النور (٢٤): ٥٥.

هذه الحقائق تنسجم مع واقع إلهي رسمه الخالق البارئ للخليقة عندما وضعهم تحت الاختبار والابتلاء والتمحيص وأعطاهم نور العقل والمعرفة وحرّية العمل والعبادة، وهو سبحانه يعلم أنّ هذه الظروف سوف تفرز صراعاً دائماً بين الخير والشرّ وتبقى المعركة سجالاً بين خطّين خطّ الهدى وخطّ الأنبياء وخطّ الجاهلين الطغاة، ولكي تكون حجّة الله بالغة على عباده يظهر فيها عدله أنّه لن يعذّب أحداً إلّا بحقّ، فقد بعث لهم الرسل والأنبياء مزوّدين بالمناهج والمعجزات، وكان آخرهم وخاتمهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي اختتم الله سبحانه وتعالى برسالته المحمّدية رسالات السماء، وهي قانون إلهي كلّه معجزات ولا يأتيه الباطل والتحريف من بين يديه ولا من خلفه فإذا ما عملت البشرية به وأدركت مراميه ومعجزاته فستنال سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

ارتحل النبيّ الكريم إلى الرفيق الأعلى بعد أن بيّن كلّ شيء، وبقي القرآن الكريم مؤكّداً على كلّ ما قاله وعمله رسول الله وحافظاً لسنته التي لا يمكن أن تخالف القرآن ونستقرىء في سيرة حياته صلى الله عليه وآله كما نفهم من ثنايا القرآن الكريم أنّ الصراع باق أبداً بين الخير وأهله والشرّ وأهله، لكن الشرّ مهما انتصر فلابدّ ولا مناص من أن يتحقّق وعد الله الحقّ المتمثّل بظهور المهدي المنتظر عليه السلام محطماً أوثان الجهل والجاهلية وعروش الظلم والظالمين، وليملأ هذه الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً، وسيكون هذا المصلح المبعوث المنتظر من ولد فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله ومن ذريتها المباركة بإجماع المفسرين لقوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾[1].

(١) القصص (٢٨): ٥.

إنّ وراثة الأرض لابدّ وأن تكون للصالحين المجاهدين الذين استضعفوا من قبل الجبابرة الطغاة، ولابدّ أن تكون الغلبة في النهاية لمن يدافع عن الحقّ وأهله مؤمناً بما جاء به القرآن الكريم وبما بلغ عنه رسول الهدى.

إنّ الجهاد في صفّ المستضعفين والانتصار لحقّ أهل الحقّ هو واجب على كلّ مسلم مؤمن بظهور المنقذ، منقذ البشرية من الظلم والفساد، وحتّى يتحقّق ذلك يجب أن يبقى المسلم المؤمن في جاهزية تامة متسلّحاً بإيمانه وبفضيلته ريثما يلتحق بإمامه القادم المنتظر، مثله في ذلك مثل من يعلم أنّ حاكماً كبيراً سوف يأتي لزيارته فهو سيكون بانتظاره بأفضل اللباس واللياقة المناسبة اللائقة بالزائر العظيم، يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «أفضل أعمال أُمّتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ»[1].

إنّ المسلمين لا يختلفون حول موضوع ظهور المهدي فهو أمر مسلّم به ولكن الاختلاف يدور حول هل أنّه سوف يلد ولادة في بعض العصور ويظهر كما أمره الله سبحانه، أم أنّه ولد في زمن سابق كما تقول شيعة أهل البيت مستندين في ذلك إلى أقوال الرسول المؤكّدة أنّه ابن الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عليه السلام وأن الله قد غيّبه مرتين، وأنّه عاش فترةً وغاب أخرى، وكان يدعو الناس ويعلمهم أمور دينهم عن طريق رجال خاصين كانوا رسلاً بينه وبين الناس، فأيّ الرأيين هو الحقيقة؟ وفيه ما يقبله العقل والشرع: هل أنّه موجود بيننا ومغيّب، أم أنّه سوف يولد مستقبلاً؟ فإن كان سوف يولد مستقبلاً فهذه قضية لا تحتاج إلى نقاش أمّا الثانية فتحتاج إلى براهين وأدلّة.

(١) كمال الدين: ٦٤٤، حديث٣.

حقيقة الظهور: إنّ الذي خلق الكون اللامحدود بكلّ ما فيه من عجائب وآلاء ومعجزات، وخلق السماوات والأرض وجعل فيها ملائكة يسبحون لا يسأمون ثمّ خلق الجنّ ومنهم فريق الشياطين الذين نصيبهم إغواء الناس وفتنتهم وجعل في هذا الكون ملايين القضايا الغيبية، وجعلنا نؤمن أنّ دعوة المظلوم تخترق السماوات وتقطع مليارات الأميال في لحظة واحدة، إذ ليس بينها وبين الله حجاب ثمّ جعلنا نؤمن بالوحي الذي ينزل على الأنبياء أسرع من الحسّ والإدراك ومن الفكر والحركة فكيف نقول أن هذا الأمر غير مقبول لا عقلاً ولا شرعاً؟!

إنّه إذا كانت القضية تتعلّق بطول العمر حتّى ألف أو ألف وخمسمائة سنة فهذا أمر لا يرفضه العلم ولا العقل ولا الشرع، لأنّ العلم في عصرنا هذا قد توصّل إلى تنمية الخلايا على صعيد الإنسان والحيوان والنبات وأعطاها ما يجعلها تعيش أكثر من العادي والمألوف، ويؤكّد العلم أنّ حياة الإنسان وإن كانت مرتبطة ببعض الأسباب كالهرم مثلاً فإنّ العلم يستطيع أن يمدّ في حياة الخلايا الجسدية، وأن يجدّدها لتستمرّ في البقاء مدّة أطول، وذلك بالأسلوب العلمي وبالأدوية اللازمة وبتنظيم الحياة في الغذاء والنوم والرياضة والعمل، أمّا أن نقول إنّ الزمن أو الوقت محدود بالنسبة للإنسان فهذا يخالف العقل والشرع ؛ لأنّ الذي يهلك نفسه يموت قبل أوانه، ولنأخذ مثلاً على ذلك حوادث السيارات أو التأثيرات والنتائج السلبية للدخان والخمر والمخدّرات والتخمة، فهذه كلّها عوامل تقصر في حياة الإنسان قال الإمام الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب فجعل لكل شيء سبباً»[1].

(١) بصائر الدرجات: ٢٦، حديث٢.

النتيجة: إنّ من لا يؤمن بحقيقة الإمام الثاني عشر المنتظر يخالف رسول الله صلى الله عليه وآله ويخالف القرآن الكريم ؛ لأنّ جميع كتب الصحاح تمتلئ بالروايات المتواترة والأحاديث المتضافرة على حقيقة ظهور المهدي، وإنّ الذين ينكرون هذه الحقيقة لا يصدرون في ذلك عن عقل ولا عن سند شرائعي ولكنّهم وجدوا على ذلك أبائهم الأولين فاتّبعوا عقائدهم وسننهم وخضعوا لبيئتهم خضوعاً أعمى، أو لم يقل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتّى يملك رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[١].

والروايات تقول إنّ الغيبة الكبرى للإمام المهدي الذي يجدّد دين الله وسنة جدّه رسول الله قد انقطع فيها اتصال عن الأُمّة بعد أن أعلم بذلك وأوصى بالرجوع إلى الفقهاء بقوله عليه السلام: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم»[٢] حتّى تتهيأ له ظروف الظهور وممارسة مهمة الإصلاح الإسلامي وإقامة دولة العدل الإلهي الكبرى على وجه الأرض بقيادة هذا الإمام الذي اختاره الله لأصعب الأدوار في الحياة، إنّه الإمام المنتظر ابن رسول الله وأن الأحاديث المتعلقة بذلك والواردة عن الرسول الكريم تؤكد الامتداد الطبيعي لدور آبائه الكرام وربطهم بهذه السلسلة وأنهم اثنا عشر خليفة[٣] كمثل قوله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٤].

---

(١) كنز العمّال ١٤: ٢٦٣، حديث ٣٨٦٥٥.

(٢) كمال الدين: ٤٨٤.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٣.

(٤) إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي: ٨، حديث ٦ وانظر الحديث ٧ و ٨.

وقولهﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»[١].

محنة الأُمّة الإسلاميّة في هذا الزمان هو أنها إما أن تصدق أن الأئمّة هم اثنا عشر وآخرهم هو المهدي المنتظر وإما أن تكذب وجود أهل البيت الذين أقرهم القرآن الكريم وعندما يكون إنكارهم للأئمة وللمهدي وللنص القرآني الشريف ويكون إخفاء الناس للحقيقة هو من أجل الدنيا وحياءً من الناس ومجاملة إذ كيف يخالفون ما شاهدوا عليه آبائهم الأولين كما بينا منذ قليل.

قصة: يقول كميل بن زياد تلميذ الإمام عليعليه السلام: أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بيدي فأخرجني إلى ظهر الكوفة فلمّا أصحر تنفّس ثمّ قال: «يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، أحفظ عنّي ما أقول لك: الناس ثلاثة عالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح...

ها إنّ ههنا - وأشار بيده إلى صدره - لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة...

اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجّة إمّا ظاهر مشهور أو خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيّناته»[٢].

إنّ مسألة المهدي المنتظر من أكبر القضايا الإسلاميّة من حيث الأهمية والمكانة لأنّها تشكّل منعطفاً خطيراً بين الإيمان بغيبته وظهوره أو عدم الإيمان به وبعد وفاة والده العسكري ونظراً لأهمية مرحلة الاتصال بين الإمام المهدي

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢: ٣٤٣ و٣: ١٥١.

(٢) كمال الدين: ٢٩٠ - ٢٩١.

وبين رسائله وسفرائه والاتصال الحسي والسري المنظم بهم والذي اتصف بالدقة والضبط التنظيمي فإنه كان يتصل بأربعة من سفراءه ويوصل من خلالهم الأوامر والتوجهات إلى إتباعه الذين كانوا يعيشون مرحلة السرية والكتمان ويعملون في ظل الاضطهاد والإرهاب السلطوي العباسي فإن هذا العلم يهيء لنا صورة واضحة حتّى نهيّئ أنفسنا لاستقباله وإقامة دولة المهدي الكبرى.

اللّهم اجعلنا ممن تشملهم رحمتك وعنايتك في الدنيا والآخرة.

اللّهم إنّما نقسم عليك بذاتك المقدّسة وبحقيقة أوليائك الكرام أن تجعلنا من الذين يليق بهم هذا الأمل الكبير وأنت أصدق الصادقين وأنت سبحانك من إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

خاتمة

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[1].

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، ولا نتمسّك إلّا بحبله المتين، وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين، وعلى أبنائه المطهّرين، الأئمّة الأخيار الذين وجبت ولايتهم ونصرتهم شرعاً، ويجب معرفة الإمام لقوله صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[2].

ذلك لأنّ الولاية هي نظام المجتمع في قاعدته وفي قمته، ولابدّ لكلّ مجتمع من عملية تجمّع يكون على رأسها قائد ولي تجتمع فيه شروط الولاية التي عرفناها عن طريق القرآن الكريم وعن طريق سنّة نبيه العظيم وأحاديثه الشريفة، أمّا في غير هذه الحالة الصحيحة فيصبح التجمّع غير شرعي ولا محكومٍ بحكم الله بل بحكم شياطين الأهواء ومردة المصالح.

ومع مرور الزمن السيئ والصعب بلياليه الحالكة السوداء وظروفه الخانقة

(١) الفرقان (٢٥): ٢٧ – ٢٩.

(٢) اكمال الدين: ٤٠٩، حديث٩ وانظر مسند أحمد ٤: ٩٦.

صار الناس يرون رؤيةً مشوهة، فيحسبون الحقّ باطلاً، والباطل حقّاً، وعمّ الخلط والتشويه في سيرة شيعة الأئمّة الأطهار، وبمرور الزمن أيضاً سوف تنعدم النعمة الإلهية عن هؤلاء الناس المشوهين المشوَهين حتّى يأتي يوم يصبح فيه المسلم مقولباً مصنوعاً في مصانع الافتراءات، وفريسةً سهلة للأخطاء والضلالات، وهو -المسكين المغرور- ما يزال يظنّ أنّه هو المؤمن الحقيقي وهو التقي النقي الطاهر، بينما في واقعه بعيد كلّ البعد عن الخطّ الرسالي وطهره ونقائه، وإنّ مثل هذا المسلم المخدوع والمغرّر به مع أمثاله من مشايخه الجهلة اللاهثين وراء متاع الدنيا.

«ومنهم قوم نصّاب لا يقدرون على القدح فينا، يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجّهون عند شيعتنا وينتقصون [بنا] عند نصابنا ثمّ يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها فيستقبله المستسلمون من شيعتنا على أنّه من علومنا فضلّوا وأضلّوهم وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه»[1].

جاء في مستدرك الصحيحين. وغيره من الصحاح والمسانيد: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[2] صدق رسول الله صلى الله عليه وآله.

وجاء في صحيح الترمذي ورواية عمران بن معين، ومسند أحمد، وفي

(١) تفسير الإمام العسكري: ٣٠١.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢: ٣٤٣ والمعجم الأوسط ٥: ٣٥٥ و٦: ٨٥ والدر المنثور ٣: ٣٣٤ وانظر مجمع الزوائد ٩: ١٦٨ ونظم در السمطين: ٢٣٥ والجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٧٣، حديث٢٤٤٢ وكنز العمال ١٢: ٩٤، حديث٣٤١٤٤.

الفضائل الخمسة والمحب الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن علياً مني، وأنا منه، وهو ولي كلّ مؤمن من بعدي»[1] صدق رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد استطاع شارب الخمر وخدين الجواري، وجليس القردة والمجرمين، يزيد بن معاوية أن يعيد كلّ ما في الجاهلية من معان بغيضة، وأن يمارسها ممارسةً عملية في ساحة كربلاء فأمر بقطع الرؤوس وحملها على الرماح، وأمر بسبي نساء آل بيت النبيّ، وأسر أطفاله، وسلب ما على جسد الحسين الطاهر من ثياب، ورضّ جسده والتمثيل به، بلى لقد قام ابن معاوية، وقائده المجرم المارق ابن زياد بكلّ هذا وبأكثر منه، وكلّ ذلك - يا ويليهم - زعموا أنّهم إنّما عملوه تنفيذاً لأوامر الله والقرآن، متخذين من الشريعة سلاحاً يقتلون به الشريعة، وفي ظلّ مثل هذا الإرهاب الذي لا حدود له، سقطت الكثير من الضمائر في سوق النخاسة الأموية، وقيل للكثيرين أنّ كلّ شيء قد انتهى، وأنّهم أراحوا واستراحوا من أهل البيت، وأنّ الساحة قد خلت من كلّ معارضة أو مقاومة، متجاهلين أنّ هذه الممارسات الظالمة الرعناء والبربرية النكراء كانت تحمل في طياتها وأعماقها نواةً ثورية، نواةً حيّة يريد لها سبحانه وتعالى أن تندثر وأن تموت، وأخذت النواة تكبر وتتعاظم حتّى أصبح دم سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام يغلي ويفور في قلوب المؤمنين وأرواح الأحرار والصادقين وصارت كربلاء علماً في رأسه النار التي يستهدي بها كلّ ثائر على الظلم والطغيان.

وأخيراً سوف تنتصر بإذن ربّها كربلاء الدماء والدموع والقلق والخوف

---

(١) مسند أحمد ٤: ٤٣٨ وسنن الترمذي ٥: ٢٩٦، حديث٣٧٩٦ وفضائل الصحابة: ١٥.

والعطش والجوع، وسيظلّ سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام يخاطب المؤمنين من ذوي العقول المنيرة والقلوب السليمة، فيعلّمهم كيف تكون الشهادة سبيلاً إلى الحياة، وكيف يكون الموت رسالةً تدكّ ممالك البغي والطغيان وعروش الجرائم والآثام.

أخي المؤمن، أخي القارئ الكريم، إنك لو شاهدت شريطاً سينمائياً أو تلفازياً ورأيت وشاهدت منابر الظلم والضلال تشتم وتلعن علي ابن أبي طالب، لأصابك القرف والاشمئزاز والاحتقار، ولقلت لنفسك: إنّ ما أراه كذب ونفاق ومغالاة ما بعدها غلواء، وإن الأغراض الدنيوية والمآرب الرخيصة تقف خلف هذا التجديف والبهتان الذي يتعارض ويتضاد مع عظمة الحقّ والبطولة والشجاعة والعلم والسماحة في سيرة علي وآل بيته والأئمّة الأطهار ونحن نقول لمن أراد أن يكون نعامةً تدفن برأسها في الرمال: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾[١]، ونقول لمن يحب الحقيقة أينما كانت وكيفما كانت وأنى كان السبيل إليها، ﴿ **وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ** ﴾[٢].

أخي المؤمن، أخي القارئ الكريم، لقد بذلت قصارى جهدي في هذا الكتاب الصغير بحجمه، والكبير العظيم في موضوعه ومحتواه، مدفوعاً إلى ذلك ليس بمحبّتي وحدها وتقديسي لرسول الله الكريم، ولأخيه ووزيره ووليه من بعده، بطل التاريخ الإسلامي علي بن أبي طالب، ولآل بيته الأئمّة الأطهار الأبرار من بعده، لكنّني كنت مدفوعاً في عملي أيضاً بأمر الرسول الكريم: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع

(١) القصص (٢٨): ٥٦.

(٢) الزمر (٣٩): ٣٧.

فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١].

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفّقاً

والله سبحانه وتعالى يعلم أنّني أقول الصدق، فلا أداري، ولا أماري بل أحاول أن أقوم بهذا الواجب الديني والأخلاقي والإنساني والتاريخي إنصافاً للحقّ والحقيقة، ودفاعاً عن الشريعة، وانتصاراً لآل البيت الميامين البررة الذين طهّرهم الباري وأبعد عنهم الرجس، وإنّني في عملي هذا لا أهدف إلى تحقيق مصلحة، أو إلى ربحٍ وكسب دنيوي رخيص، ولا إلى إرضاء سيدٍ أو كبير، اللّهم فلتكن وحدك من وراء القصد، اللّهم إهدنا سواء السبيل، سبيلك وسبيل أحبابك ولا تجعلنا من الذين تتوعدهم بغضبك وعذابك إنّك تعلم السرّ وما يخفى، يا من سوف تسألنا عما عهدت به إلينا لا مما قضيت به علينا يا أرحم الراحمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيّبين الطاهرين إلى يوم الدين.

---

(١) مسند أحمد ٣: ٤٩ وصحيح مسلم ١: ٥٠.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١. المناقب، الموفق بن أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام - الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٢. الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ.

٣. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي السيّد نور الله الحسيني المرعشي التستري الشهيد في بلاد الهند (ت١٠١٩هـ)، مع تعليقات آية الله السيّد شهاب الدين النجفي، تصحيح: السيّد إبراهيم الميانجي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي قم - إيران.

٤. أحكام القرآن، ابن العربي (ت٥٤٣هـ) تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، لبنان - دار الفكر للطباعة والنشر.

٥. أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، عبد السلام محمّد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٦. الإحكام، ابن حزم (ت٤٥٦هـ)، مطبعة العاصمة - القاهرة، قوبلت على

نسخة أشرف علي طبعها الأستاذ العلامة أحمد شاكر.

٧. إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام، جلال الدين السيوطي (ت٨٤٩هـ)، تحقيق الشيخ كاظم الفتلاوي والشيخ محمّد سعيد الطريحي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨. الاختصاص، أبو عبد الله محمّد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري رتب فهارسه السيّد محمود الزرندي المحرمي منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٩. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق ميرداماد الإسترابادي، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ١٤٠٤هـ.

١٠. الأدب المفرد، الإمام الحافظ محمّد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت٣٣٦ - ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بيروت - لبنان.

١٢. الاستيعاب، ابن عبد البر أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمّد أحمد بن عبد البر النمري الفقيه الحافظ الأندلسي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمّد البجاوي، دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٣. الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمّد معوض، قدم له، الدكتور محمّد عبد المنعم البري جامعة الأزهر الدكتور عبد الفتاح أبو سنة الدكتور جمعية طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٤. الأصول الأصيلة، المولى محمّد محسن الفيض القاساني قدس سره، عنى بطبعه ونشره وتصحيحه والتعليق عليه مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ويلي الكتاب رسالة «الحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين» للمصنف رحمه الله: سازمان جاب دانشكاه، ١٣٩٠هـ.

١٥. إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المعروف بأمين الإسلام (٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ.

١٦. الأم، أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م الطبعة الثانية١٤٠٣ - هـ ١٩٨٣م.

١٧. الأمالي، الشيخ محمّد علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، مؤسسة - قم الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

١٨. الأمالي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة - قم الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٩. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، مكتبة الصدر – طهران ١٤١١هـ.
٢٠. الإمامة والتبصرة من الحيرة، أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق (ت٣٢٩هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام – قم، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٢١. الإمامة والسياسة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: الأستاذ علي شيري، انتشارات الشريف الرضي ١٣٧١ ش – ١٤١٣هـ الطبعة الأولى في إيران.
٢٢. إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمّد المقريزي (ت٨٤٥هـ) تحقيق محمّد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٢٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء – بيروت، الطبعة الثانية المصحّحة ١٤٠٣هـ.
٢٤. البحر الزخار.
٢٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاشاني الحنفي الملقب بملك العلماء (ت٥٨٧هـ)، الناشر المكتبة الحبيبية – باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٢٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٧. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد عليهم السلام، أبو جعفر محمّد ابن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: ميرزا محسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي – طهران، الطبعة في سنة ١٣٦٢ش – ١٤٠٤هـ.

٢٨. تاج المواليد في مواليد الأئمّة ووفياتهم، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٥٤٨هـ).

٢٩. تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ – هـ ١٩٨٧م.

٣٠. تاريخ الأمم والملوك،أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان.

٣١. تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

٣٢. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، دار صادر، بيروت – لبنان، الناشر: مؤسسة نشر فرهنك أهل البيت عليهم السلام، قم – إيران.

٣٣. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٤. تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن

عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٥. تاريخ مواليد الأئمّة عليهم السلام ووفياتهم، الحافظ الشيخ أبو محمّد عبد الله ابن النصر ابن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ)، مكتبة المرعشي النجفي - قم١٤٠٦هـ، باهتمام: السيّد محمود المرعشي.

٣٦. تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، من أعلام القرن الرابع، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية١٣٦٣ش - ١٤٠٤هـ.

٣٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمّد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية.

٣٨. تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمّة، يوسف بن قزغلي البغدادي سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ)، تحقيق: حسين تقي زاده، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى١٤٢٦هـ.

٣٩. التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب الباجي المالكي (ت٤٧٤هـ)، تحقيق: أحمد البزار أستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش.

٤٠. تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا.

٤١. تفسير ابن زمنين، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي زمنين

(ت٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمّد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٤٢. تفسير البحر المحيط، أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي الجياني (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمّد معوض، شارك في التحقيق: ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي. ٢) د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤٣. تفسير البغوي، البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت.

٤٤. تفسير الثعلبي، الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق أبو محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٤٥. تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي (ت٣٨٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي – بيروت، دار الفكر.

٤٦. تفسير السمعاني، السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٤٧. تفسير القرآن العظيم، الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الإسلاميّة ، دار المعرفة، بيروت – لبنان١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤٨. تفسير القرآن، الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى مسلم محمّد، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٤٩. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله من أعلام قرني ٣ - ٤هـ، تحقيق: حجة الإسلام العلامة السيّد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم - إيران الطبعة الثالثة.

٥٠. التفسير الكبير، الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة.

٥١. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي (ت٥٣٧هـ).

٥٢. تفسير مجاهد، الإمام المحدث المقرئ المفسر اللغوي أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمّد السورتي، مجمع البحوث الإسلاميّة - إسلام آباد (باكستان).

٥٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، أبو محمّد الحسن بن علي العسكري، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي - قم الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

٥٤. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، للشيخ المفيد، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة - طهران الطبعة الرابعة١٣٦٥هـ.

٥٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة

الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١٣ه ١٩٩٢م.
٥٦. الثقات، الحافظ أبو حاتم محمّد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤ه)، طبع بمساعدة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة العالية الهندية تحت الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند١٤٠٢ه ١٩٨٢م.
٥٧. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١ه)، مقدّمة وتحقيق: السيّد محمّد مهدي الخرسان، منشورات الرضي - قم الطبعة الثانية ١٣٦٨ه.
٥٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمّد بن جرير ا لطبري (ت٣١٠ه)، قدم له الشيخ خليل الميس، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ه - ١٩٩٥م.
٥٩. الجامع الصحيح، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١ه)، دار الفكر بيروت - لبنان.
٦٠. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ه)، دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١ه - ١٩٨١م.
٦١. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر النمري المعروف بابن عبد البر (ت٤٦٣ه)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ه.
٦٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري

القرطبي، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٦٣. الجرح والتعديل، أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ)، الطبعة الأولى.

٦٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني الشافعي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٦٥. حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، باقر شريف القرشي، منشورات سعيد بن جبير، الطبعة الأولى١٣٧٢ش.

٦٦. خاتمة مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى رجب١٤١٥هـ.

٦٧. خزانة الأدب، البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، محمّد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٦٨. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الشافعي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: محمّد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة.

٦٩. الخصال، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٤٠٣هـ.

٧٠. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، العلامة الحلي أبو منصور الحسن

ابن يوسف بن المطهر الأسدي (ت٧٣٦هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى عيد الغدير ١٤١٧هـ.

٧١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس رضي الله عنه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

٧٢. دلائل الإمامة، المحدث الشيخ أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة مؤسسة البعثة – قم الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، الطبعة الثانية دار الأضواء – بيروت.

٧٤. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول محمّد بن جمال الدين مكي العاملي (ت٧٨٦هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم الطبعة الأولى محرم ١٤١٩هـ.

٧٥. رجال الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة الطبعة الأولى شهر رمضان المبارك ١٤١٥هـ.

٧٦. روح المعاني المعروف بتفسير الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ).

٧٧. روضة الطالبين للإمام أبي زكريا، يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت٦٧٦هـ)، ومعه المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي منتقى

الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٨. روضة الواعظين، محمّد بن الفتال النيسابوري (استشهد٥٠٨هـ)، وضع المقدمة: السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم – إيران.

٧٩. رياض المسائل، السيّد علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى شهر رمضان ١٤١٩هـ.

٨٠. الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري (ت٦٩٤هـ)، أخرجه عبد المجيد طعمة، دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٨١. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي القرشي البغدادي (ت٥٩٨هـ)، تحقيق: محمّد ابن عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى جمادى الأولى ١٤٠٧هـ كانون الثاني ١٩٨٧م.

٨٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٨٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٨٤. سنن ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٥. سنن ابن ماجة بشرح السندي، أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي (ت١١٣٨هـ)، وبحاشية تعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للإمام البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٨٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تحقيق: سعيد محمّد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٧. سنن الترمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

٨٨. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: مجدي ابن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨٩. سنن الدارمي، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت٢٥٥هـ)، طبع بعناية: محمّد أحمد دهمان.

٩٠. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر.

٩١. السنن الكبرى المعروف بسنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، (ت٣٠٣هـ)، الطبعة الأولى١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع - بيروت.

٩٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٩٣. السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي (ت١٠٤٤هـ) - بيروت دار المعرفة ١٤٠٠هـ.
٩٤. شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: السيّد محمّد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.
٩٥. شرح الكافي الجامع للمولى محمّد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)، مع تعاليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، تحقيق: السيّد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٩٦. شرح تجريد الاعتقاد لنصير الدين محمّد بن الحسن الطوسي، علاء الدين علي بن محمّد القوشجي (ت٨٧٩هـ)، منشورات الرضي، الطبعة الحجرية.
٩٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - بيروت الطبعة الاولى١٣٧٨هـ.
٩٨. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق

وتعليق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م طهران - إيران.

٩٩. شيخ المضيرة أبو هريرة، تأليف محمود أبو رية، الطبعة الثالثة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، دار المعارف بمصر.

١٠٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م طبعة جديدة مزيدة ومنقحة.

١٠١. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ - ١٩٨١م طبعة بالاوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامة باسطنبول.

١٠٢. صحيح شرح العقيدة الطحاوية أو المنهج الصحيح في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة مع التنقيح، حسن بن علي السقاف القرشي الهاشمي الحسيني، دار الإمام النووي، الأردن - عمان الطبعة الاولى١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٠٣. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٧٨م.

١٠٤. الصحيفة الجامعة لأدعية الإمام السجاد، «علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام» بإشراف: السيّد محمّد باقر الموحد الأبطحي

الإصفهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١١هـ مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر شارع الشهداء، قم - إيران.

١٠٥.الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، العلامة المتكلم الشيخ زين الدين أبو محمّد علي بن يونس (ت٨٧٧هـ)، تحقيق: محمّد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

١٠٦.صفوة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي وحياة شيحا اللاذقي، دار المعرفة - بيروت الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠٧.الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر - بيروت.

١٠٨.علل الشرايع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رحمه الله (ت٣٨١هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

١٠٩.عمدة القاري، العيني (ت٨٥٥هـ) - بيروت دار إحياء التراث العربي.

١١٠.عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (ج١٧) الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني الإصفهاني (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ.

١١١.عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٤هـ.

١١٢.الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الحبر العلم الحجة الشيخ عبد

الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

١١٣.غنية المتملي في شرح قيمة المصلي.

١١٤.فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري لشيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان الطبعة الثانية أعيد طبعه بالاوفسيت.

١١٥.فتح العزيز شرح الوجيز وهو الشيخ الكبير للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمّد الرافعي (ت٦٢٣هـ)، دار الفكر.

١١٦.الفتوح، العلامة أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق علي الشيري، دار الأضواء بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١١٧.الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكي (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١١٨.فضائل الصحابة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي (ت٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١١٩.الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمّد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمّد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٢٠.قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٢١.القطوف الدانية في المسائل الثمانية، السيّد عبد المحسن علاوي العبد الله الحسيني السراوي، تقديم الأستاذ عبد الله عدنان المنتفكي، دار المودّة الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

١٢٢.الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذهبي الدمشقي (ت٧٤٨هـ)، وحاشيته لبرهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمّد سبط ابن العجمي الحلبي (ت٨٤١هـ)، وحاشيته: للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمّد سبط ابن العجمي الحلبي (ت٨٤١هـ)، تحقيق: محمّد عوامة، وخرج نصوصهما: أحمد محمّد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة جدة مؤسسة علوم القرآن جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٢٣.الكافي، ثقة الإسلام أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٢٢٨هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ الطبعة الخامسة ١٣٦٣ش.

١٢٤.الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

١٢٥.الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني

(ت٣٦٥هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٢٦. كتاب التفسير، أبو النظر محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلاميّة - طهران سوق الشيرازي.

١٢٧. كتاب المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت ١٣٧٠هـ)، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: السيّد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، يطلب من دار الكتب الإسلاميّة .

١٢٨. كتاب تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية دار إحياء التراث العربي.

١٢٩. كتاب تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة٥٨٢هـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣٠. كتاب سليم بن قيس، التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦٠هـ)، تحقيق محمّد باقر الأنصاري الزنجاني.

١٣١. كتاب مقتل الحسين عليه السلام، لوط بن يحيى بن سعيد بن سليم الأزدي الغامدي، مع التعاليق النفيسة بقلم: حسن الغفاري.

١٣٢. كتاب من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة الطبعة الثانية.

١٣٣.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عباس ومحمّد محمود الحلبي وشركائه خلفاء ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

١٣٤.كشف الغمة في معرفة الأئمّة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء بيروت - لبنان.

١٣٥.الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

١٣٦.كفاية الأثر في النص على الأئمّة الاثني عشر، أبو القاسم علي بن محمّد بن علي الخزاز القمي الرازي من علماء القرن الرابع، تحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري الخوئي، انتشارات بيدار مطبعة الخيام - قم.

١٣٧.كفاية الأصول، تأليف الأستاذ الأعظم المحقق الكبير الآخوند الشيخ محمّد كاظم الخراساني (ت١٣٢٨هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٣٨.كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي ابن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

١٣٩.كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة علاء الدين علي المتقي

ابن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٤٠.للزهراء شذى الكلمات، تأليف المكتبة الأدبية المختصة.

١٤١.اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسيني (ت٦٦٤هـ)، أنوار الهدى قم – إيران الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٤٢.المبسوط، شمس الدين السرخسي (ت٤٨٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٤٣.مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين قدم له السيّد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان الطبعة الأولى١٩٩٥م.

١٤٤.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٤٥.المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا، محيي الدين بن شرف النووي (ت٦٨٦هـ)، دار الفكر.

١٤٦.مختصر التحفة الاثنى عشرية، شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، نقله من الفارسية إلى العربية سنة١٢٢٧ الشيخ الحافظ غلام محمّد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذّبه سنة١٣٠١هـ السيّد محمود شكري الآلوسي، اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفسيت حسين حلمي بن سعيد

الاسطنبولي، مكتبة ايشيق اسطنبول - تركية ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

١٤٧.مختصر المزني، إسماعيل المزني (ت٢٦٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

١٤٨.المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

١٤٩.مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر - بيروت.

١٥٠.مسند الإمام أبي حنيفة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: نظر محمّد الفارابي، مكتبة الكوثر - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٥١.مسند الشاميين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٥٢.مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، أبو حاتم محمّد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٥٣.مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ابن أبي بكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت٢٣٥هـ)، ضبطه وعلق عليه: الأستاذ سعيد اللحام، الإشراف الفني والمراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر، الطبعة الأولى جمادي الآخرة ١٤٩٠هـ - ١٩٨٩م.

١٥٤. المعارف، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المعروف بابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، ابن قتيبة، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة –القاهرة دار المعارف.
١٥٥. معالم العلماء، محمّد بن علي بن شهرآشوب أبو جعفر السروي المازندراني رشيد الدين (ت٥٨٨هـ).
١٥٦. معاني الأخبار، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي – قم ١٣٦١ش.
١٥٧. المعتبر في شرح المختصر، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: عدة من الأفاضل، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام قم – إيران تحت إشراف آية الله ناصر مكارم الشيرازي ١٣٦٤ش.
١٥٨. المعجم الأوسط، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، قسم التحقيق بدار الحرمين: أبو معاذ طارق بن عوض الله ابن محمّد أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ١٤١٥هـ.
١٥٩. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٦٠. المعجم الكبير، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة.
١٦١. معرفة علوم الحديث، الحاكم أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحافظ

النيسابوري، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المصنف: الأستاذ الدكتور السيّد معظم حسين، رئيس الشعبة العربية والإسلامية بجامعة دكة بنغاله، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة -بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٦٢.المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيان أفضليته على جميع العالمين بعد الأنبياء والمرسلين، أبو جعفر الإسكافي محمّد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

١٦٣. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، قدم له وأشرف على طبعه: كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم -إيران منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

١٦٤.مقتل الإمام الحسين عليه السلام، أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد السماوي، تصحيح ونشر: أنوار الهدى الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٦٥.ملحقات الإحقاق، آية الله العظمى المرعشي النجفي رحمه الله، نشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي الطبعة الأولى -قم.

١٦٦.الملل والنحل، محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، دار المعرفة -بيروت.

١٦٧.مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي بن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف١٣٧٦هـ.

١٦٨.مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي، أبو بكر أحمد

ابن موسى ابن مردويه الإصفهاني (ت٤١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق محمّد حسين حرز الدين - قم دار الحديث١٤٢٢هـ.

١٦٩.المحنة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الاثنى عشرية، عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت١٢٣٩هـ)، اختصار وتهذيب السيّد محمود شكري الآلوسي (ت١٣٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة مكتبة الإمام البخاري - القاهرة.

١٧٠.مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني (ت٩٥٤هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٧١.الموضوعات للعلامة السلفي الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي القرشي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمّد عثمان، محمّد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية - بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

١٧٢.الموطأ، مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٧٣.نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، جمال الدين محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني المتوفى (ت٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

١٧٤.نهج البلاغة، ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي

ابن أبي طالبعليه السلام شرح: محمّد عبده، دار الذخائر، قم، المصوّرة على طبعة دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٧٥.نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلي (العلامة الحلي)، علق عليه: الشيخ عين الله الحسني الأرموي قدم له: السيّد رضا الصدر، منشورات دار الهجرة قم - إيران ١٤١٤هـ.

١٧٦.نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني (ت١٢٥٥هـ)، دار الجيل ١٩٧٣م.

١٧٧.الهداية الكبرى، أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

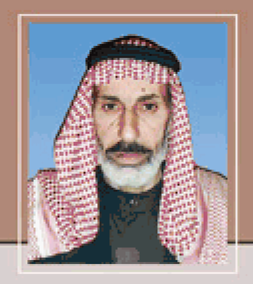
١٧٨.الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٧٩.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس - لبنان دار الثقافة.

١٨٠.وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

١٨١.ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

فهرس المواضيع



- السيد ياسين المعيوف البدراني
- ولد عام (١٩٤٢م) في مدينة «دير الزور» في سوريا.
- نشأ في أسرة محافظة تعتنق المذهب الشافعي.
- استبصر عام (١٩٧١م) وذلك بعد فترة من البحث والتحقيق في الصعيد العقائدي.
- التحق بحوزة الإمام الخميني «رحمه الله» في السيدة زينب عليها السلام بسوريا.
- له مكانة اجتماعية مميزة بين أبناء عشيرته ومنطقته.
- له نشاط ثقافي واسع في مجال التبليغ ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام وقد وفقه الله تعالى إلى بناء مسجد الإمام زين العابدين عليه السلام في دير الزور وذلك بمساعدة المحسنين.
- من مؤلفاته:

١ـ الحجاب منبر ومحراب (مطبوع).

٢- صراطي إلى الله (تحت الطبع).

٣- سفراء الله في الأرض (تحت الطبع).

